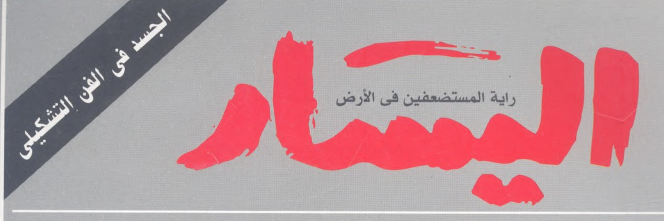


■ اليسار / العدد الثمانون / أكتوبر ١٩٩٦ م / جمادى الأول ١٤١٧ هـ / الثمن جنيهان مصريان ■



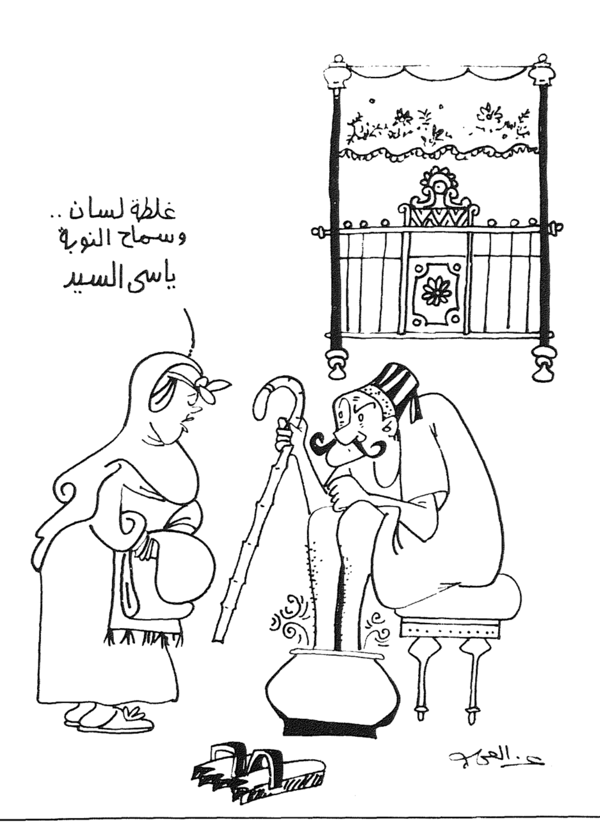
عقد القمة الاقتصادية فى نوفمبر تراجع مشين للسياسة المصرية

الدولة التى حذر منها أحمد بهاء الدين

أزمة الديمقراطية بين مسئولية الحكم .. ومسئولية المعارضة

اجع حكومى عن موقف مصر

من القمة الاقتصادية



في هذا العدد

رئيس التحرير:
حسين عبد الرازق

المشرف الفنى:
أحمد عز العرب

المستشارون:
ابراهيم بدراوى
أحمد نبيل الهلالى
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
عبد الغفار شكر
عبد الغنى ابو العينين
محمود أمين العالم
محمد وفاء حجازى

شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

ALYASSAR 1 KARIM EL DAWLA ST TALAAT HARB SQ CAIRO/ EGYPT

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة
مصر: ٢٤جنيها للأفراد و٦٠جنيها للهيئات.
الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.
العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها.
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الادارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب -القاهرة
ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١
٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨
FAX: 5786298

موقفنا

عقد القمة الاقتصادية فى نوفمبر

ستحق موقف **الرئيس مبارك** والادارة المصرية من قضية عقد "**القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا**" والمقرر له ١٢ نوفمبر القادم بالقاهرة ، دراسة خاصة متأنية ،تحاول فهم ماجرى ويجرى واستخلاص النتائج الصحيحة من مظاهر الارتباك والتذبذب والتناقض الذى ميز الموقف – أو المواقف – الرسمية من هذه القمة.

لقد تحدد موعد هذه القمة" الثالثة" **فى قمة عمان** التى عقدت فى ٢٩ أكتوبر ١٩٩٥ . وكانت بدورها استمرارا لقمة **الدار البيضاء** التى عقدت فى ٣٠ أكتوبر ١٩٩٤ ، فى ذكرى انعقاد مؤتمر مدريد.

وتستهدف هذه القمم الثلاث التى تتم جميعها بمبادرة من"**مجلس العلاقات الخارجية**"بنيويورك و" المنتدى الاقتصادى العالمى "بديفوس بسويسرا ، وتحت رعاية الرئيس الأمريكى "**بيل كلينتون**" ونظيره الروسى "**بوريس يلتسين**" استكمال إقامة نظام إقليمى جديد فى المنطقة – نظام شرق أوسطى – بديلا للنظام الاقليمى العربى . وبعبارة أدق فالمؤتمر – كما يعلن دعاته – **يسعى لاستكمال الأهداف الإسرائيلية الأمريكية فى المنطقة** ،والتى بدأت تتحقق عمليا منذ اتفاقات كامب ديفيد ومؤتمر مدريد ، والمباحثات الثنائيةالتى انبثقت عن مدريد ، والمباحثات متعددة الأطراف ، واتفاق أوسلو واتفاق وادى عربة باسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ، تسعيان لاقامة نظام إقليمى جديد تهيمن عليه إسرائيل – كدولة كبرى إقليمية – عسكريا وسياسيا واقتصاديا . وقد حققت إسرائيل الهيمنة العسكرية فى ظل تفوقها العسكرى على البلاد العربية مجتمعة من الأسلحة التقليدية وفوق التقليدية ، وأسلحة الدمار الشامل ، واحتكارها للسلاح النووى . وتتم الآن الهيمنة السياسية من خلال الاتفاقات الجزئية والفردية التى تمت مع مصر والأردن والسلطة الفلسطينية . وتأتى هذه القمم الاقتصادية لتحقق الركن الثالث – وربما الأساسى – **وهو إدخال إسرائيل فى النظام الاقليمى للمنطقة وفرض سيطرتها الاقتصادية على العرب جميعا** تحقيقا لما أعلنه "**عزرا وايزمان**" رئيس دولة إسرائيل ، عندما قال .." العرب يملكون المال والنفط، واليهود يملكون العقل والعلم . فاذا التقى الطرفان فى علاقة سلام سيحقق كل منهما العجائب لمصلحة الآخر . وماذا تريد إسرائيل أكثر من أن يسيطر اليهود على اقتصاد العالم العربى المتخلف "!.

وبهذا المنطق الإسرائيلى – الأمريكى الواضح ، ثم استبعاد الدول التى لاترضى عنها أمريكا وإسرائيل "**إيران – ليبيا – السودان – العراق** "من السوق الشرق أوسطية ، ومن مؤتمرات القمة الاقتصادية تلك . وقاطعتها **سوريا ولبنان** ، استمرارا لمقاطعتهما للجان المتعددة الأطراف المنبثقة عن مدريد طالما لم يتحقق تقدم حقيقى فى التسوية السياسية والانسحاب الإسرائيلى من الأرض المحتلة.

وقد عارضت القوى السياسية الوطنية فى مصر ، السوق الشرق أوسطية ، ومؤتمرات القمة الاقتصادية ، وشنت حملات سياسية وإعلامية وجماهيرية ، منذ بشر "**يوسف والى**" الأمين العم للحزب الوطنى ونائب رئيس الوزراء المكلف بشئون التطبيع عمليا ، فى ٢٧ فبراير ١٩٩٣ بالسوق الشرق أوسطية .**وطالبت برفض النظام الشرق أوسطى برمته ، والتمسك بالنظام الإقليمى العربى ، وإحياء الاتفاقات الاقتصادية العربية ، وفكرة السوق العربية المشتركة . ودعت إلى مقاطعة مؤتمر الدار البيضاء ومؤتمر عمان.**

وقاد هذه المواجهة أحزاب التجمع والناصرى والشيوعى والعمل والأحرار والاخوان المسلمون وعديد من النقابات والشخصيات ومؤسسات المجتمع المدنى.

ورغم أن الإدارة المصرية اكتشفت بوضوح خلال مؤتمرى **الدار البيضاء** (١٩٩٤) **عمان** (١٩٩٥) الخطة الإسرائيلية الرامية التى تهميش الدور المصرى ، والفصل غير المنطقى بين العلاقات الاقتصادية والتجارية والتطبيع ، وبين التسوية السياسية وقضايا الأمن والتسلح ، مما يهدد المصالح المصرية بصورة حادة ومباشرة ، مما دفع وزير الخارجية إلى التعبير عن اعتراضه على بعض الممارسات والسياسات ، وإثارته لأزمة فى مؤتمر الدار البيضاء عندما طرح قضية السلاح النووى الإسرائيلى ، وأزمة ثانية فى مؤتمر عمان عندما تحدث عن هرولة البعض للتطبيع مع إسرائيل ..**فقد واصلت الإدارة المصرية اندفاعها نحو النظام الشرق أوسطى ، وتجاهلت كل الحقائق** التى رصدتها وقدمتها قوى المعارضة وعديد من مراكز البحث العلمى ، بل وعدد من الخبراء داخل هذه الإدارة نفسها.

ولم تتوقف القوى الوطنية المعارضة عن المقاومة وطرح منطقها وحججها على الرأى العام وعلى الإدارة المصرية .. إلى أن عقدت **القمة العربية** فى القاهرة (٢١ –٢٣ يونيو ١٩٩٦) كرد فعل لفوز اليمين الإسرائيلى بزعامة " **نتنياهو**" ، وموقفه الرافض عمليا لأسس التسوية السياسية الحالية القائمة على الأرض مقابل السلام ، والتى كانت تتعثر بالفعل فى ظل حكومتى **رابين وبيريز** خاصة بعد العدوان الإسرائيلى على لبنان ومذبحة قانا ، والحصار المفروض على الأراضى الفلسطينية المحتلة ، والتوقف عن تنفيذ اتفاقيات أوسلو.

فى مؤتمر القمة العربية ربطت الدول العربية مجتمعة بين تحقيق التقدم فى التسوية السياسية واتخاذ حكومة " **نتنياهو**" خطوات عملية وجدية فى اتجاه التسوية، وبين التطبيع مع إسرائيل .. " فأى إخلال من جانب إسرائيل بهذه المبادئ (مبادئ التسوية) والأسس التى قامت عليها عملية

.. والتراجع المشين للسياسة المصرية

حسين عبد الرازق

السلام ، أو تراجع عن الالتزامات والتعهدات والاتفاقات التى تم التوصل إليها فى إطار هذه المسيرة أو المماطلة فى تنفيذها ، من شأنه أن يؤدى إلى انتكاسة عملية السلام بكل مايحمله ذلك من مخاطر وتداعيات تعود بالمنطقة إلى دوامة التوتر ، ويضطر الدول العربية كافة إلى اعادة النظر فى الخطوات المتخذة تجاه إسرائيل فى إطار عملية السلام ، الأمر الذى تتحمل الحكومة الإسرائيلية وحدها المسئولية الكاملة عنه .. كما جاء فى الإعلان الصادر عن هذه القمة.

ودفع هذا الموقف القوى الوطنية لمطالبة الرئيس مبارك والإدارة المصرية ، أن تقرر - اتساقا مع قرارات القمة العربية - إلغاء قمة القاهرة الاقتصادية الشرق أوسطية ، أو تأجيلها على الأقل ، و" أن يعقد بدلا منها فى نفس الموعد مؤتمر من أجل تنفيذ قرارات القمة العربية الخاصة " باستراتيجيات وخطط عمل اقتصادية واجتماعية متكاملة " أو بعبارة أخرى للعمل من أجل السوق العربية المشتركة والوحدة الاقتصادية".

ولم تكن هناك أى استجابة من الحكم لهذه الدعوى .

ولكن **الرئيس مبارك** وبعد فشل كل المحاولات لدفع **نتنياهو"** للعودة إلى الالتزام بالاتفاقات الموقعة بين إسرائيل والفلسطينيين ومبادئ التسوية السياسية كما اتفق عليها فى مدريد - أعلن فى خطاب بالاسكندرية **فى ٢٢ أغسطس** ربطه بين عقد ونجاح قمة القاهرة الاقتصادية ، وإحراز تقدم فى عملية السلام قبل حلول موعد القمة . **واجمع المراقبون أن تصريحات مبارك تمثل تهديدا واضحا بامكانية إعادة النظر فى إمكان عقد هذه القمة ، مالم يتغير موقف حكومة نتنياهو.**

وتوالت التصريحات الرسمية التى تؤكد نية الحكومة المصرية - والرئيس - تأجيل هذه القمة الاقتصادية مالم يحدث تغيير حقيقى فى ممارسات حكومة نتنياهو.

فأكد **عمرو موسى** وزير الخارجية أن مصر ستأخذ قرارها الخاص بالقمة الاقتصادية بالقاهرة ، فى ضوء المعطيات الحالية والمصالح العربية والمصرية وعملية السلام . وهذه هى الاعتبارات التى ستحدد على أساسها انعقاد المؤتمر ، وكيفية انعقاده ، **والتاريخ المناسب له** .. إننا نتحدث عن متى وكيف يعقد وتحت أى ظرف "

وتحدث د. **أسامة الباز** وكيل أول وزارة الخارجية ومستشار الرئيس للشئون السياسية بصورة أكثر وضوحا وتحديدا ، فقال " **إن القمة يمكن أن تعقد فى موعد آخر** طالما المناخ غير ملائم لعقدها فى موعدها " فى تصريح آخر أشار د. أسامة إلى **إمكان تأجيل المؤتمر إلى الربيع المقبل (عام ١٩٩٧) فى حالة عدم إحراز تقدم فى المفاوضات.**

وتبارى الكتاب والصحفيون الرسميون فى تأكيد هذا الموقف وتأييده وشرح أسبابه.

مثلا كتب **"ابراهيم نافع"** رئيس تحرير الأهرام مقالا هاما فى تأييد وتفسير موقف الرئيس الربط بين انعقاد القمة وتحقيق تقدم فعلى فى المفاوضات قائلا:" لم يفاجأ الكثيرون بهذا الموقف الوطنى المشرف.

لايمكن تصور علاقات طبيعية للتعاون والتنمية المشتركة بين العرب وإسرائيل ، مالم تكن هناك علاقات سياسية طبيعية تحصل فيها كل الأطراف على حقوقها المشروعة ، خاصة الشعب الفلسطينى" ويضيف ابراهيم نافع معلومة هامة مشيرا إلى أن هذا الربط " كان واضحا بجلاء كامل فى الوثيقة التى قدمتها مصر إلى مؤتمر عمان فى العام الماضى .. والتى أفردت لها مقدمة سياسية ذكرت فيها أن أصل السلام هو مبدأ مبادلة الأرض بالسلام .. وأن ذلك بدوره يقوم على ثلاثة مبادئ أساسية :

- **التسوية السياسة**
- **ضبط التسلح والأمن الاقليمى.**
- **التعاون الاقتصادى الاقليمى.**

ويختتم نافع مقاله قائلا.." الواقع أن انعقاد المؤتمر الاقتصادى فى القاهرة لم يكن أبدا هدفا فى حد ذاته..

ولايمكن لعاقل أن يكون على استعداد للمشاركة فى مظاهرة اقتصادية لاتحقق شيئا إلا إعطاء السيد" نتنياهو " فرصة الادعاء بأن كل الأمور فى الشرق الأوسط على مايرام ، بينما هى فى الحقيقة تغلى فوق بركان انتظاراللحظة انفجار قادمة لاشك فيها .

ولهذا كله فإننى أعتقد أن الدول العربية - وفى مقدمتها مصر - تستطيع المشاركة فى مظاهرة إعلامية بلا مضمون حقيقى يحقق الأهداف التى تم الاتفاق عليها . كماأن **مصداقية مصر إزاء شعبها والشعوب العربية بل وشعوب المنطقة كلها لاتسمح لها بالمشاركة فى عملية تزييف الواقع وتلوينه من خلال عقد المؤتمر الاقتصادى.**

يتحتم إلغاء أو تأجيل هذا المؤتمر "

وقد اكتسب هذا الموقف من الرئيس مبارك وإدارته قبولا من القوى السياسية والشعبية فى مصر ، لاستناده إلى حقائق واضحة وثابتة.

**** فعملية السلام - التسوية السياسية - دخلت بالفعل نفقاً مظلماً نتيجة للموقف الإسرائيلى.**

- رفض استئناف مباحثات التسوية مع سوريا ولبنان على أساس الأرض مقابل السلام . وطرح مشروع" لبنان أولا" الذى لايحقق الحد الأدنى من المطالب اللبنانية.
- رفض الانسحاب من مدينة الخليل (اعادة الانتشار) المقرر له مارس من العام الماضى.
- عدم تحقيق المرحلة الثانية من إعادة الانتشار والذى كان مقررا له

٧ سبتمبر الماضى.
– عدم إنشاء الطريق الآمن الذى يربط بين الضفة الغربية وغزة واستمرار الحصار والتجويع للشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة .
– توسيع المستوطنات القائمة
والاستمرار فى تهويد مدينة القدس ، أى اجراء تغييرات جغرافية وديمغرافية تؤثر على أوضاع الفلسطينيين قبل التوصل إلى الحل النهائى.
– الادعاء بوجود انتشار للقوات السورية فى لبنان يهدد إسرائيل ، وبالتالى قيام إسرائيل بحشد قواتها على الحدود السورية.

** وبالنسبة لضبط التسلح .**فمازالت الولايات المتحدة تواصل ضخ الأسلحة فى إسرائيل ، وإقامة تحالف استراتيجى معها ، يؤكد تفوقها العسكرى المطلق** بما يهدد جيرانها جميعا ، ويزداد الأمر خطورة باستمرار احتكار إسرائيل للأسلحة النووية فى المنطقة ودعم أمريكا لهذا الموقف ، ورفض تحويل المنطقة الى منطقة خالية من السلاح النووى وأسلحة الدمار الشامل.

ولكن الموقف المصرى الرسمى سرعان ماانقلب على نفسه ١٨٠ درجة . وجاء هذا الانقلاب – كالعادة – نتيجة لضغوط أمريكية وقحة.

بدأ التحرك الأمريكى بالترغيب ثم الترهيب.

فى أغسطس وأثناء زيارة نائب وزير التجارة الأمريكى "**ستيوارت ايزنشتاين**" لمصر ، تحدث أمام غرفة التجارة المصرية الأمريكية ، داعيا مصر للعمل على عقد هذه القمة وإنجاحها ، رابطا بين عقد القمة والفرص التى ستتاح لدعم مصر اقتصاديا . وتحدث عن أن بلاده تنظر إلى علاقاتها مع مصر باعتبارها أهم حليف لها فى الشرق الأوسط .**وأن الولايات المتحدة " مهتمة بهذا المؤتمر ، ووجهت الدعوة الى مئة مؤسسة اقتصادية أمريكية للمشاركة ، وأن نائب الرئيس آل جور سيرأس الوفد الأمريكى الذى سيضم وزيرى الخارجية وارن كريستوفر ووزير التجارة ميكى كانتور**".. وأن القمة الاقتصادية فرصة مهمة لمصر لجذب أنظار العالم إلى ماتحقق سواء على الصعيد المصرى أو على الصعيد الإقليمى .. وسيحضر المستثمرون الأجانب الى مصر إذا تأكدوا أنها هى القاعدة لتسويق إنتاجهم إلى كل دول الشرق الأوسط و" تريد الولايات المتحدة أن تصبح مصر مثل النمور الأسيوية من أجل شعب مصر".

وعندما لم يفهم حكام مصر مغزى الرسالة ، كشفت الادارة الأمريكية عن وجهها القبيح.

فأدلى المتحدث باسم الخارجية الأمريكية "**نيكولاس بيرنز**" **بتصريح** أكد فيه على أهمية عقد القمة الاقتصادية بالقاهرة فى موعدها المحدد ، وهو ١٢ نوفمبر . وقال "**أن واشنطن لاتوافق على تأجيل انعقاد القمة** حتى يتحقق تقدم فى المسارات السياسية فى عملية السلام بالمنطقة التى تمر بمرحلة صعبة حاليا وهناك خلافات كثيرة فى وجهات النظر بين الأطراف الرئيسية ، وأضاف أن التهديد بتأجيل المؤتمر أو الغائه "**تهديد قصير النظر**" وأنه " واثق من أن وزير الخارجية وارن كريستوفر سيصل إلى القاهرة فى ١٢ نوفمبر المقبل لحضور المؤتمر".

فى نفسه الوقت سربت الخارجية الأمريكية للصحافة أن **الولايات المتحدة ألمحت للحكومة المصرية أنها ستربط تنفيذ بنود اتفاق المشاركة فى مصر المعروف بـ " مبادرة مبارك آل جور" الموقع فى سبتمبر ١٩٩٤ بانعقاد القمة الاقتصادية الثالثة لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . وأن واشنطون عبرت بوضوح عن هذا الموقف خلال اجتماعات الوفد الأمريكى برئاسة مساعدة وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط " جوان سبيرو"** مع المسئولين المصريين للبحث فى ترتيبات انعقاد القمة الاقتصادية ومناقشة موقف مصر فى هذ الشأن . وأن واشنطون تعتبر التصعيد فى المناخ السياسى لايوفر المناخ المناسب لانعقاد القمة ، وسيؤدى إلى عزوف الدول المدعوة عن المشاركة ، والى هروب رأس المال " الجبان بطبعه " ورجال الأعمال من المشاركة خوفا على أموالهم.

وفى اليوم التالى (١٢ سبتمبر) أذيع أن "**جوان سبيرو**" أبلغت المسئولين المصريين قائمة أعضاء وفد بلادها الذى سيشارك فى القمة الاقتصادية برئاسة آل جور .. وقالت لهم " **سيحضر نائب الرئيس الأمريكى الى القاهرة يوم ١٢ نوفمبر المقبل للمشاركة فى المؤتمر وكل الترتيبات اتخذت لحضور جو والمشاركين من الولايات المتحدة**".

وكان المغزى واضحا أمريكا ترفض التأجيل . وسيحضر وفدها فى الموعد المحدد.

ووصلت الرسالة هذه المرة إلى الإدارة المصرية.

وبدأت الهرولة والتراجع دون نظام.

فأعلن الرئيس **حسنى مبارك** يوم ١٣ سبتمبر أن "**مصر لاترفض عقد القمة الاقتصادية فى موعدها** ،لكنها تريد أن تتحرك إسرائيل من أجل تنفيذ الاتفاقات التى تم التوقيع عليها" . وقال فى تصريح آخر إن "**مصر مصممة على عقد القمة فى موعدها** ".

ثم أعلن الرئيس بعد ذلك بأيام " **أن مصر حريصة على انعقاد مؤتمر القمة الاقتصادية فى موعده المحدد. فانعقاد المؤتمر فى موعده ، يمثل دعوة لكل الأطراف بأن تتحمل مسئولياتها والتزاماتها** ،وأن تتفهم معنى الوفاء بالكلمة والالتزام بالمسئولية أمام المجتمع الدولى".

وفى حديث للتليفزيون الإسرائيلى قال مبارك " إننا حريصون على عقد المؤتمر فى موعده .. **فضلت عدم تأجيل المؤتمر ، كى لايستغل أحد هذا التأجيل** .. ولذلك أكدت أننا من جانبنا لانؤجل المؤتمر وحريصون على ذلك ، لكننا نطالب الولايات المتحدة وإسرائيل بالمساعدة فى إنجاحه ..".

وهكذا رفعت الإدارة المصرية **الراية البيضاء** واندفعت بشكل محموم تؤكد أن المؤتمر فى موعده ، وتكاد تعتذر عن مجرد التفكير فى التأجيل.

فبادر **د. كمال الجنزورى** رئيس الوزراء – والذى لم يسمع له صوت من قبل فى هذا المؤتمر – فعقد اجتماعا وزاريا حضره(٢٢) من وزرائه للإعداد للقمة الاقتصادية فى ١٢ نوفمبر ، وليعلن " **إن انعقاد المؤتمر فى موعده يمثل التزام مصر الواضح بمواقفها الثابتة وتعهداتها أمام المجتمع الدولى بجميع مؤسساته**".

ويلتقى وزير الخارجية "**عمرو موسى**" مع أعضاء اتحاد الصناعات المصرية ليؤكد بدوره أن الاستعدادات تجرى لعقد المؤتمر فى موعده .

وتنشر الصحف جميعا شهادة تقدير لهذا القرار (التراجع) من ألمانيا ، فتقول: إن الدوائر الاقتصادية والصناعية الألمانية رحبت بقرار الرئيس حسنى مبارك باقامة القمة الاقتصادية بالقاهرة فى موعدها المقرر يوم ١٢ نوفمبر القادم وأن " هذا القرار الحكيم جاء فى وقته تماما".

وهكذا تتراجع السياسة المصرية مرة أخرى عن بداية موقف صحيح ، خضوعا لارادة البيت الأبيض.

ولايجدى الانكار والقول بعدم وجود ضغوط أمريكية وأن مصر لايمكن أن تتأثر بأى نوع من الضغوط ، كما قال الرئيس مبارك ، أو سفير مصر فى واشنطن أحمد ماهر .. فالحقائق واضحة ومكشوفة تؤكد أن طبيعة العلاقات القائمة بين الادارة المصرية والإدارة الأمريكية تجعلنا فى وضع التبعية.

ولنتذكر أن هذه ليست المرة الأولى التى تحاول الدبلوماسية المصرية اتخاذ موقف سياسى فى قضية تمس المصالح المصرية مباشرة ، ثم تضطر للتراجع بصورة تدعو للأسى فقد سبقتها قضية احتكار إسرائيل للسلاح النووى ورفضها التوقيع على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ومطالبة مصر بعدم مد العمل بهذه الاتفاقية مدا نهائيا ، ثم تراجعت أمام الضغط الأمريكى بنفس الصورة.

ويطرح هذا الموقف الجديد – وبالحاح – **قضيه العلاقات الخاصة التى تربط الإدارة المصرية بالولايات المتحدة أو علاقة التبعية المصرية لأمريكا نتيجة للسياسات التى تتبعها إدارة الرئيس مبارك .**

وهى قضية حان الوقت لطرحها للنقاش العام والتصدى لها ولآثارها المدمرة على مصالح مصر والوطن العربى.

مظاهرة لحزب الله

السباق إلى «ساحة النجمة»

وجه أحد الصحفيين سؤالا إلى الوزير اللبناني وليد جنبلاط قائلا: «هل اقترع الموتى فى دائرتك الانتخابية فى منطقة «الشوف» الجبلية؟» والقى جنبلاط - بدوره- سؤالا وهو ينظر إلى ساعة يده : «كم الساعة الآن»؟ ثم اضاف.. «لا يزال الوقت مبكراً للموتى، فهم لا يقومون قبل الساعة الرابعة بعد الظهر»!.



رفيق الحريرى

ويؤكد مرشحو المعارضة فى الانتخابات النيابية التى جرت خلال شهرى أغسطس- سبتمبر الماضيين ان ما قاله جنبلاط لم يكن من قبيل المزاح بل هو الحقيقة بعينها! فقد وضعت أصوات الموتى بالفعل فى صناديق الاقتراع، كما هو الحال فى دول عربية أخرى نعرفها جيداً! ففى الساعة الرابعة بعد الظهر.. يكون الموقف الانتخابى لمرشحى السلطة قد أصبح واضحاً، ويستطيع مسئولو مراكز الاقتراع أن يتبينوا كل جوانب الصورة : هل يحتاجون إلى أصوات إضافية لمرشحى السلطة؟ فاذا تأكد لديهم أن فوز هؤلاء المرشحين يتوقف على هذه الأصوات الاضافية.. تولوا استدعاء الموتى!!.

وهكذا فازت قوائم مرشحى السلطة- مثلا- باثنين وثلاثين مقعدا فى منطقة جبل لبنان من ٣٥ مقعداً.

ودخلت الدولة بكل ثقلها فى المعركة الانتخابية وحشدت لها كل إمكانياتها.

وتم تعيين رؤساء اللجان الانتخابية فى معظم الأحوال من أنصار قوائم السلطة، وجرى تداول «**المغلفات المقفلة**» أو الظروف المعدة للتصويت حيث يتسلم الناخب هذا الظرف المغلق من مكتب المرشح ثم يعود ليسلم هذا المكتب الظرف الفارغ بعد أن



ناخبون أمام مركز الاقتراع

«الترويكا».. والانتخابات النيابية اللبنانية

يتسلمه من رئيس مركز الاقتراع لكي يثبت أنه صوت لصالح القائمة. ولا يستطيع أي مرشح معارض أو عادي الحصول على هذه الظروف لأن صاحب النفوذ والمنصب الرفيع هو وحده الذي يستطيع الحصول عليها. وكذلك **ثمة منع مندوبي المرشحين المعارضين إلى مراكز الاقتراع**. وظهر أن ثمة تعمداً في منح هؤلاء المندوبين التصاريح الرسمية التي تخولهم الدخول إلى مراكز الاقتراع لمراقبة عملية التصويت، ولوحظ **نقل مراكز اقتراع من مكان إلى آخر دون ابلاغ المرشحين في الوقت المناسب**.وظهرت حالات تسلم مسئولي مراكز الاقتراع **قوائم باسماء الناخبين تختلف عن القوائم التي تسلمها المرشحون**.

وبينما كان يتم احياء الموتى.. واستخدام أصوات المهاجرين المغتربين وحشد المجنسين(الذين منحتهم حكومة رفيق الحريري الجنسية) للتصويت لصالح مرشحي السلطة.. جرى حذف أسماء ناخبين أحياء!.

واكتشف ناخبون آخرون أن غيرهم قد سبقهم إلى التصويت بالنيابة عنهم! فقد كان هناك من يحملون صوراً حقيقية أو مزورة من شهادات القيد ويملكون الاختام يعملون مع جيش ضخم من الموظفين والاداريين العاملين في شركات ومؤسسات أصحاب السلطة ويضعون تحت تصرفهم مستندات الهوية المزيفة. وتحولت الانتخابات في بعض المناطق إلى« **مهرجان لقوى الأمن**» على حد تعبير أحد المعارضين. وكما يحدث في دول أخرى مجاورة..**تم تسخير كل وسائل الاعلام الرسمية وغير الرسمية المقربة من الحكومة للدعاية المباشرة لمرشحي السلطة. وسيطر المال بقوة على العملية الانتخابية**. وتم سحب عشرات الملايين من الدولارات من البنوك للانفاق على المعركة (**مليار دولار انفقت في بيروت وحدها**). وكما هو معروف فانه لا يوجد سقف للانفاق المالي في الانتخابات اللبنانية.

دور المال

ويقول الدكتور **سليم الحص** ، رئيس وزراء لبنان السابق وزعيم **كتلة «الانقاذ والتغيير»**: «يحز في نفوسنا أن يكون قد شاب الانتخابات الفضيحة ما شابها من تجاوزات وانتهاكات شوهت وجهها الديمقراطي.. منها **الدور الفاجر الذي لعبه المال في التحكم بالعملية الانتخابية**، فضلا عن تزوير بيانات القيد على نطاق واسع، الأمر الذي مكّن الكثيرين من الاقتراع نيابة عن آخرين واستخدام المغلفات الممهورة بخاتم وزارة الداخلية من جانب السلطة،الأمر الذي مكن قائمة مرشحي السلطة من فرض معظم أعضائها على الكثير من الناخبين، إضافة إلى محاولات الترهيب والترغيب التي مورست على موظفين في الدولة ومؤسساتها..».

وتحدث «**حبيب صادق**»مرشح قائمة «**الخيار الديمقراطي**» في الجنوب اللبناني عن« **تزوير سياسي وقانوني ومادي**»، كما أكد رئيس الاتحاد العمالي «**الياس ابو رزق**» ان لبنان شهد «أعنف عملية تزوير مباشر وغير مباشر».

وكان كل من**حبيب صادق والياس ابو رزق** ضحية **لعمليات التزوير، وتم إسقاطهما**.

وعلى حد تعبير اللبنانيين فان اللوائح (القوائم) المعلبة و«الطبخات المركبة» وتدخلات الساعات الأخيرة.. كانت هي الظاهرة السائدة في الانتخابات.

وكان لبنان في حاجة إلى نظام انتخابي يوفق بين مقتضيات الوحدة الوطنية ومستلزمات الديمقراطية وصحة التمثيل الشعبي وضرورات التعبير عن التيارات السياسية التي تتجاذب الرأي العام بحيث يمكن **إرساء القواعد لمشروع المستقبل وهو إلغاء الطائفية السياسية**. وقد ظل قانون الانتخاب معلقاً حتى أيام معدودة قبل بدء التصويت. وعندما فرغت منه الحكومة بسرعة وحصلت على موافقة المجلس النيابي ،وقع عشرة نواب على طلب إلى المجلس الدستوري بالطعن في القانون.وبالفعل أبطل المجلس أربع مواد اساسية في القانون. واضطر مجلس الوزراء اللبناني إلى إجراء التعديلات المطلوبة وتم التصديق عليها في المجلس النيابي في جلسته الأخيرة.

وقد ورد في **اتفاق الطائف**(الذي وضع حداً للحرب الأهلية في لبنان) النص على نظام (**الدائرة- المحافظة**) حيث أن تصغير الدوائر يؤدي إلى تشجيع التطرف الطائفي، بينما يؤدي أسلوب تأليف القوائم التي تضم مرشحين من كل الطوائف ولعدة اقضية (كل محافظة لبنانية تنقسم إلى أقضية) إلى تعزيز لغة الاعتدال السياسي والوحدة الوطنية.

وكان هناك اتفاق على **استثناء جبل لبنان والجنوب مرة واحدة. وهذا ما**

حدث فى الانتخابات النيابية عام ١٩٩٢ ، ولم يكن من المتصور أن تحافظ الحكومة اللبنانية على هذا الاستثناء مرة أخرى لأنه يحرم الطائفة المسيحية من التأثير الموازن لتأثير الطوائف الأخرى فى اختيار ممثلى الدروز والشيعة فى الجبل.

غير أن رجال الحكومة **أصروا على استثناء الجبل مرة أخرى من نظام المحافظة كدائرة انتخابية** . وكان من الواضح أن **الهدف هو منع الكتلة المسيحية فى جبل لبنان من أن تكون صاحبة ثقل فى المجلس أو من أن تكون لديها فرصة حقيقية فى تشكيل معارضة لها وزنها.**

وبعبارة أوضح، فان معنى القانون الانتخابى اللبنانى هو أنه**فى المناطق التى يشكل الناخبون المسلمون فيها الكثرة يشكل المسيحيون القلة ،فانه يحق للمسلمين اختيار ممثلى المسيحيين أما فى المناطق (وهى منطقة الجبل بالتحديد)حيث المسيحيون هم الكثرة والمسلمون هم القلة.. فانه يتم تقسيم الدائرة الانتخابية إلى دوائر صغيرة تمكّن الزعامات الدرزية من فرض النتائج الانتخابية التي تريدها، دون حاجة للدخول في مساومات مع الناخبين المسيحيين (حيث إن المنافسة فى الجبل تدور بين المسيحيين الدروز فى الأساس)**وقد جاء فى قرار المجلس الدستورى ان هذه هى آخر مرة يمكن السماح فيها بهذا الاستثناء.

وهكذا اقترع مواطنو الجبل بطريقة تختلف عن مواطنى الشمال وعن سائر مواطنى المحافظات اللبنانية الأخرى.

مرشحون «مدعومون»

وقد تم تقسيم محافظة جبل لبنان إلى ست دوائر انتخابية- بناء على إصرار الزعيم الدرزى **وليد جنبلاط.**- فاكتسحت قوائم جنبلاط وحلفائه ثلاث دوائر مهمة هى **الشوف وعالية والمتن الجنوبى** ،وأصبح الزعيم الدرزى أمبراطوراً للجبل ويتربع على رأس كتلة برلمانية تضم ١٥ نائبا ، وبذلك يكون قد حصل على مكافآته عن توثيق تحالفه مع رئيسى المجلس النيابى(**نبيه برى**)والحكومة (**رفيق الحريرى**).

ومكافآته نظير خروجه عن تحالفه مع «حزب الله»(وهو التحالف الذى كان قائما فى الانتخابات السابقة فى صيف عام ١٩٩٢).

ووجد أصحاب القوائم الصغيرة والفقيرة والمحلية انفسهم فى مواجهة قوى هائلة ومرشحين «مدعومين» توافرت كل السبل لضمان نتائج لهم فى صناديق الاقتراع ..وهى نتائج لا تخضع لأية مفاجآت غير محسوبة!.

كذلك وجد الناخبون من ذوى النوايا الطيبة أنفسهم أمام قوائم تضم فى بعض الأحيان أكثر من ٢٥ مرشحا لا يعرفونهم جميعا وربما لم يسمعوا باسماء الكثيرين منهم.

ولا حاجة للتذكير بان النظام الانتخابى اللبنانى يرتكز على القواعد الطائفية.

وعلى سبيل المثال فان هناك ١٩ مقعدا مخصصا للعاصمة بيروت (تتنافس عليها ٩١ مرشحا) . وتتوزع هذه المقاعد على الطوائف وفقاً للنظام التالى:

«**٦ مقاعد للسنه- اثنان للشيعه- واحد للدروز- اثنان للدروز- اثنان للروم الارثوذكس- واحد مارونى- واحد للروم الكاثوليك- ثلاثة للارمن الارثوذكس- واحد للأرمن الكاثوليك-واحد انجيلى-واحد للاقليات.**

وفى هذا الاطار الطائفى.. تظهر القوائم :قائمة الحزب **الشيوعى اللبنانى** بزعامة «**فاروق دحروج**» وتحمل اسم لائحة **الشعب** ، وقائمة **حركة أمل الشيعية** بزعامة نبيه برى وتحمل اسم «**كتلة التحرير والتنمية**»، وقائمة رئيس الوزراء **رفيق الحريرى** وتحمل اسم«**قرار بيروت**» .. وعشرات القوائم الأخرى.

اجتماع «بيت مرى»

وكما حدث فى الانتخابات السابقة(١٩٩٢) قرر **الحلف الثلاثى المعارض** الذى يضم الرئيس اللبنانى السابق **أمين الجميل والعماد ميشيل عون**، رئيس الحكومة العسكرية المؤقت السابق، **ودورى شمعون** ، زعيم حزب الوطنيين الاحرار،(وانضم اليهم **ريمون اده** زعيم حزب الكتلة الوطنية) فى اجتماع عقدوه فى باريس مقاطعة الانتخابات. وقالوا انهم سيعلنون عن تشكيل جبهة معارضة قبيل عيد الاستقلال اللبنانى المقبل فى الواحد والعشرين من شهر نوفمبر القادم.

غيرأن الانتخابات اللبنانية كشفت هذه المرة مدى **عزلة هذه القيادات التقليدية** التى تجاوزتها التطورات فى لبنان ذاته.

فقد أجتمعت شخصيات لبنانية مسيحية معارضة (٥٢ شخصية) فى «**بيت مرى**» بجبل لبنان فى أواخر شهر يوليو الماضى فى منزل القطب المعارض **البير مخيبر**، وقررت المشاركة فى الانتخابات مما يعنى إعلانا عن الانشقاق النهائى عن «معارضة الخارج».

وكان المفترض أن تركز السلطة فى لبنان كل جهودها فى اتجاه تشجيع معارضة الداخل على الانخراط فى الحياة السياسية. غير أن التحالف الحاكم (**الرئيس السياسى الهراوى ونبيه برى ورفيق الحريرى**)تصرف على نحو يشجع على توليد أوسع مقاطعة مسيحية ممكنة للانتخابات.!) إلى حد جعل العديد من المراقبين يشعرون بأن المقاطعة مطلوبة من جانب رموز الدولة وليس العكس!!.

وعجزت السلطة اللبنانية عن المساعدة على خلق قيادة مسيحية جديدة(بدلا من القيادات التقليدية التى يعيش معظمها خارج البلاد) وتصحيح الخلل الناشئ عن انكفاء فرق من المسيحيين وابتعادهم عن المشاركة.

وبدا فى بعض الأحيان أن التحالف الحاكم يمارس أسلوب «**تصفية حسابات**»وعمليات ثأرية مع بعض عناصر المعارضة المسيحية فى الداخل.

انهيار المعارضة

ومع ذلك ، فان أزمة الانتخابات اللبنانية الأخيرة لا تكمن فى جمود المقاطعة بل تتمثل أساساً فى «**انهيار المعارضة**»-كما قال محسن ابراهيم رئيس منظمة العمل الشيوعى-.. وذلك ان الذين قرروا الانتقال من المقاطعة إلى المشاركة.. لم يقدموا على هذه الخطوة بهدف الضغط لتعديل ميزان القوى السياسية لمصلحة المعارضة وبرامجها وتعزيز نفوذ هذه المعارضة على حساب تكتلات التأييدوانما**اتخذوا هذه الخطوة بهدف اعلان الولاء والتأكيد على الاستعداد للذوبان فى الحكم القائم**.ومن هنا قاموا بالتخفيف من لهجة خطابهم السياسى لعل «الاعتدال» يشكل جواز مرورهم إلى القوائم المقدر لها أن تفوز فى الانتخابات.

والمؤكد أن معظم اللبنانيين لا يؤمنون الآن بجدوى المقاطعة. والكثيرون من الذين قاطعوا فى الانتخابات السابقة(٩٢).. اقترعوا هذه المرة بعد أن وجدوا أنفسهم محذوفين ومهمشين طوال أربع سنوات. وقد



النائبة بهية الحريري

أدركوا أن كل صوت يقاطع إنما يصب فى خانة الحكومة ويخدم موقفها فى مواجهة المعارضة.

ولم تكن المعارضة صاحبة رؤية فى عملها. ولم تستثمر المواقف الشعبية لوضع برنامج عمل محدد. كما أن الدولة استطاعت أن تروض بعض الرؤوس المعارضة بالوعود وتداخل المصالح وضمان المراكز والمناصب ، فاستقطبت وجوها معارضة ونجحت فى فك الرباط بين معارضة الخارج (**عون- الجميل- شمعون- اده**)ومعارضة الداخل(**مخيبر-دكاش-بطرس حرب- الكتائب-ابو اللمع.. الخ**)

ولم يكن المجلس النيابى السابق يمثل أكثر من ١٤ فى المائة من اللبنانيين. غير أن ذلك لا يعنى أن ٨٦ فى المائة يؤيدون المعارضة.

وإذا كانت المعارضة فى حالة تشتت.. فان أركان الحكم قد توحدوا وظهروا كقوة متماسكة، واستطاعوا أن يجتذبوا إلى صناديق الاقتراع هذه المرة ما بين ٤٠٪ - ٥٠٪ **من الناخبين.**

«الترويكا الحاكمة»

والنظام القائم فى لبنان لا تنطبق عليه القواعد المعروفة للنظم السياسية فى العالم، فلا هو رئاسى ولا هو برلمانى. فقيادة النظام موكولة إلى«**ترويكا**» تضم «الرؤساء الثلاثة» (**رئيس الجمهورية ورئيس المجلس النيابى ورئيس الحكومة**) . وأعضاء الثالوث الحاكم.. ظهروا هذه المرة موحدين ومتجانسين على نحو يجعل من المستحيل على أي معارضة- مهما بلغت من القوة ودرجة التمثيل الشعبى-اختراق موقع من مواقعها أو إضعاف أحد هذه المواقع.وفى وقت من الأوقات.. كان هذا الاختراق وسيلة أجنحة فى المعارضة اللبنانية للتأثير. أما الآن فان ما لا يجمع عليه الثالوث لا يمكن إقراره وتمريره.

وفى ضوء هذه الأوضاع.. تفقد المعارضة مبرر فعلهاواذا **كانت المقاطعة تعنى«الاستقالة من الوطنى».. فان طريق المشاركة مسدود.**

وكما تم تكريس**جنبلاط** أمبراطوراً لطائفته الدرزية، تم أيضا إعادة تكريس **نبيه برى** ملكاً على طائفته الشيعية ورئيسا بلا منازع للمجلس النيابى الجديد.

وهنا يجب القول بأن **وليد جنبلاط** ، زعيم الحزب التقدمى الاشتراكى، أصبح الحليف الاساسى للترويكا.

ونظراً لأن تقاسم السلطة مستمر إلى أجل غير مسمى بين هؤلاء الحلفاء.. **فسوف تظل الحياة السياسية معطلة وسيبقى تداول السلطة مجمداً**.ويمكن القول أيضا أن الترويكا تتحول تدريجيا إلى«**دويكا**» باعتبار أن حصة الرئيس الياس الهراوى ستكون شبه معدومة فى المجلس النيابى الجديد.

ولكل فرد من «الترويكا» حق الفيتو (النقض) مع التسليم بان إجماعهم على رأى واحد لا يعنى أن القرار فى يدهم.

ذلك أن التطورات الاقليمية خلال السنوات الأخيرة، وخاصة **بعد اتفاق اوسلو ،والمعاهدة الاردنية -الاسرائيلية..** وحتى وصول **بنيامين نتنياهو إلى الحكم فى اسرائيل.. جعلت سوريا تشعر بتزايد أهمية الورقة اللبنانية ولاسيما اشتداد الضغوط الأمريكية على سوريا واقتناع دمشق بأن هناك محاولات محمومة لتطويقها عن طريق تركيا**.وعلى هذا الاساس فان التوازنات الاقليمية هى العنصر الحاسم فى الوضع الداخلى اللبنانى،كما **أن سوريا هى«الناخب الأكبر» فى لبنان.**

قارئ جيد

والحقيقة أن **وليد جنبلاط** من القلائل الذين اشتهروا بالبحث عن المشاكل فى زمن السلم ، وبأنه صاحب هواية استحضار وانتقاء ما يسلط عليه الأضواء، بانه لا يهدأ ولا يكف عن توجيه القصف العشوائى فى الأمور الداخلية ولحسابات خاصة.. غير أنه فى المقابل لابد من الاعتراف بان الرجل يتميز بقدرة غير عادية على القراءة **الجيدة فى لوحة المتغيرات الاقليمية والخارجية ذات الصلة بالوضع اللبنانى.**

ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن حملة جنبلاط على«**حزب الله**» لم تكن تستهدف ممارسة هواية خلق أكبر عدد من الخصوم (بلا مبرر أحيانا) .. وإنما تشكل جزءاً لا يتجزأ من موقف سياسى لا ينفصل عن مجريات العلاقات السورية- الايرانية وما يتخللها من مشاكل.

والظاهرة التى تلفت الأنظار أكثر من غيرها فى الانتخابات اللبنانية هى ان جنبلاط أعلن الانضمام إلى حليفة القديم- الجديد نبيه برى لكى يشعل، واياه ، الحلف الأكبر بانضمام رفيق الحريرى والياس الهراوى..**لكى يدخل الجميع معركة فى خندق واحد ضد حزب الله!.**

كان **المطلوب هو اعادة «حزب الله» الى حجمه الطبيعى»**على حد تعبير افرادالترويكا بعد الحجم الكبير الذى بلغه فى الانتخابات السابقة(**كان عدد اعضائه فى مجلس النواب ١٢ عضوا انخفض إلى ٧ فى المجلس النيابى الجديد).**

ولم تكن سوريا بعيدة عن هذا التغير المفاجئ فى التحالفات وليس سراً أن ايران

تحاول منذ بعض الوقت أن يكون لها موقع فى الساحة اللبنانية يتمتع بقدر من الاستقلالية عن الدور السورى.وكان المتوقع أن تحاول تعظيم هذا الموقع من خلال الانتخابات اللبنانية الأخيرة. غير أن الموقف السورى واضح وهو أنه غير مسموح لايران بان تنفرد بتقرير الأمور داخل الساحة اللبنانية لكى تضمن (طهران) لنفسها دور الشريك فى الملف اللبنانى.وفى نفس الوقت فانسوريا **،التى تساند وتشجع المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الاسرائيلى، غير مستعدة فى الظروف الحرجة والدقيقة القادمة لأن تترك لطرف إقليمى مهمة تحديد الأولويات وفرص احداث وتطورات بعيدة عن الحسابات السورية واللبنانية أو لا تشكل جزءا من هذه الحسابات.**

ومما يجدر ذكره أن **نتنياهو** يريد أن يتحين الفرصة لفرض مشروعه الذى يحمل اسم «**لبنان .. أولا**»،وبالتالى فانه قد يسعى إلى تفجير الموقف فى لبنان لكى يوضع هذا المشروع على جدول الاهتمامات الدولية.

ومن هنا فان كل الخطوات والعمليات فى الجنوب اللبنانى خلال الفترة القادمة يجب أن تكون مدروسة ومحسوبة بدقة بحيث تحقق أهدافا سورية- لبنانية وليست اهدافا إسرائيلية.

اسرائيليات «جديدة»

ولذلك رفضت حركة أمل بزعامة «**نبيه برى**» طلب حزب الله تقاسم اختيار اعضاء القائمة الموحدة كشرط للتحالف . ثم جاء إصرار **حزب الله** -كحد أدنى- على الاحتفاظ بعدد المقاعدالتى كان يشغلها فى المجلس النيابى السابق. وقوبل هذا الطلب بالرفض أيضا. وقال نبيه برى (إن الجنوب لا يتحرر إلا على أيدى **جميع** اللبنانيين، والمقاومة لن تكون إلا لبنانية) ،وقال بري أنه يرفض أن تتحول المقاومة إلى سلطة سياسية فى سوق المزاد العلنى ، فالمقاومة ليست مقاومة شيعية ،وليست مقاومة اسلامية،وليست مقاومة جنوبية، إنما هى مقاومة الجنوب ومقاومة كل لبنان. بل إن نبيه برى كان أكثر حسما عندما أوضح قائلا: «**نحن ضد قيام جمهورية اسلامية أو جمهورية مسيحية لأن هذا مشروع إسرائيلى لايجاد**



اسرائيليات فى المنطقة».

وهذه هى أول مرة يتحدث فيها مسئول لبنانى بهذه اللهجة عن «حزب الله» والمشروع الايرانى.

وتتجلى ظاهرة توافق«الترويكا» باعتبارها المرجعية الوحيدة لصواب القرارات والتوجهات التى توجه الدولة وتقود مصير مواطنيها عندما نسمع **رفيق الحريرى** فى نفس اللحظة يقول :«**لا شئ يجمعنا مع حزب الله فى الأول أو فى الآخر. لقد ميزت بين المقاومة والحزب. ولم يكن الحزب هو من بدأ أعمال المقاومة. والجميع يعلم أن كثيرين استشهدوا فى الجنوب ولم يكونوا من ذلك الحزب**»وقال الحريرى أيضا إن حزب الله هو رأس حربة المقاومة، ولكن الشعب اللبنانى كله مقاوم.. **لقد انتهينا تقريباً من الأصولية المسيحية التى انحسرت ،ولم يعد أمامنا سوى مواجهة الأصولية الاسلامية التى لها مشارب خارجة عن لبنان وبيئته**،كما أن كلمة المقاومة لا تعنى فقط المقاومة العسكرية وانما تشمل مقاومة شعب بكامله أينما وجد..».

وترددت على لسان كل من الرئيس اللبنانى الهراوى والزعيم الدرزى جنبلاط كلمات مماثلة.

والنتيجة أن«**حزب الله**» لم يحصل على مقعد فى الجولات الثلاث الأولى من الانتخابات: جبل لبنان- محافظة الشمال- بيروت.

الانتخابات والحسابات الاقليمية

وما قاله الحريرى صحيح فى مجمله. ولكن الجديد هوأن هذا الموقف يعد تبدلا طارئا فى السياسة المتبعة فى لبنان تجاه «حزب الله».

وثمة ارتباط وثيق بين الاعتبارات والحسابات الاقليمية وبين نتائج الانتخابات اللبنانية.

لم يكن المطلوب هو تعزيز الثقة بلبنان الديمقراطى الحر أو لبنان المستقبل. ولم يكن الهدف هو- كما حدث- خروج ٤٨ نائبا من مجلس نواب عام ٩٢ -إما بالخسارة أو بالعزوف عن الترشيح- بحيث تصبح نسبة النواب الجدد ٣٧ر٥٪ وإنما كان المطلوب هو تثبيت المعادلات والتوازنات التى ترتبط بملف العلاقات اللبنانية -السورية وضمان الاستقرار فى الترتيبات التى تكتنف هذه العلاقات.

ويرى حبيب صادق «أن هناك ثقافة تطبيقية تشكلت على أرض الواقع فى لبنان ، وأن التحالف الحاكم يسعى منذ أربع سنوات إلى توليف ثقافة تعمل على تشكيل قبول مسبق لما ستنتهى إليه المفاوضات مع اسرائيل .

وإن ما يريدونه هو إعادة انتاج مجلس نواب مطيع من أجل تمديد ولاية هذا التحالف الحاكم أربع سنوات أخرى، والاستمرار فى اختزال الدولة والسلطات العامة فى أقطاب الثالوث المهيمن، ومواصلة القفز فوق المشكلات الاقتصادية والاجتماعية». ويرى حبيب صادق أيضا أنه تفصيل للدوائر الانتخابية على قامات أركان التحالف وأن ثمة **نهب منظم واغتصاب للدولة وتجويف للحياة السياسية.**

ويؤكد عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى اللبنانى «**سعد الله مزرعانى**» أن هناك خللاً فى آداء السلطة اللبنانية وأن هناك نهجاً يختصر المؤسسات فى أشخاص.

ظاهرة «التشطيب»

والحقائق التى كشفتها الانتخابات اللبنانية توضح أن الزعامات التقليدية ، من وراثية أو مكتسبة.. ما زالت راسخة الجذور وان لم تبق صاحبة السيادة المطلقة والنفوذ المطلق. ورغم أن الناخبين اقترعوا لاشخاص وليس لقوائم إلا أن أسماء عائلات سياسية متعددة فى جبل لبنان غابت عن الساحة مثل«**الخورى**»و«**ادة**»

و«الحلو»و«باخوس»و «الجميل» و«شمعون» و «السعد». ولم يجد الناخبون وسيلة للتعبير عن مواقفهم سوى «التشطيب»الذى تحول إلى ظاهرة فى هذه الانتخابات. فقد كان من الضرورى أن يستخدم الناخب حق «الفيتو على أسماء ضمن قائمة من عشرين أو ثلاثين مرشحاً فيحذف أسماء ويضع أسماء أخرى من قائمة المنافسين».

وأخطر ما لوحظ في هذه الانتخابات انعدام الترشيح الحزبى القادر على تشكيل قوائم مستقلة متجانسةولذلك كانت القوائم خليطاً من «التحالفات» والمواقف السياسية المتضاربة.. الأمر الذى لا يمكن للناخب معه أن يؤيد جميع الاتجاهات المدرجة فى القائمة.

وقد انكمش دور الاحزاب السياسية فى لبنان.

وعلى سبيل المثال ، فان حزب «الكتلة الوطنية» أصبح مجرد ناد لبعض الخاصة من أهل «جبيل» وانتهى حزب الكتائب إلى هيكل خاو وتحولت حركة «أمل»إلى رابطة للموظفين والمنتظرين.

ويقول كريم بقرادونى ، نائب رئيس حزب الكتائب أن تراجع الأحزاب يدل على تخلف الوعى السياسى ليحل أهل المال محل أهل السياسة».

وقد فقد الناخب اللبنانى ثقته فى الاحزاب بسبب دور هذه الاحزاب فى الحرب الأهلية. ولذلك فان الاحزاب والعائلات المعروفة فى مقدمة الخاسرين فى محافظة الشمال.

فقد سقط الدكتور جورج سعادة رئيس حزب الكتائب وسقط مرشحو الحزب القومى السورى، والامين العام لحزب البعث (الموالى لسوريا) عبد الله الشمال ، وسقط مرشحو الجماعة الاسلاميةورغم التواصل العائلى فى بعض المناطق.. واحتفاظ عائلاتالأسعد وحماده وارسلان ولحود وسكاف وفرنجية وكرامى بدرجة أو بأخرى من وجودها فى الحياة النيابية إلا أن عصر انحسار العائلات السياسية فى لبنان قد بدأ.. لكى يحل محلها الآن زحف رجال الأعمال والتجار ومن ينتسبون إلى عالم المال والشركات والمقاولات ولا يملكون أى تاريخ سياسى.

الظاهرة «الحريرية»

إنها «الظاهرية الحريرية»

واسم رفيق الحريرى يرتبط بسقوط التجربة الحزبية التاريخية فى لبنان بالضربة القاضية بعد أن فرغت الساحة السياسية من الاحزاب الفاعلة على الأراضى وتقلصت التيارات الحزبية التى تحكمت فى السنوات الماضية (الشمعونية -الكتلوية- العونية- الكتائبية-الدستورية وبعد أن تغير وجه لبنان السياسى نتيجة حرب أهلية دامية استمرت ١٦ سنة . ولم تظهر حتى الآن القوة السياسية الجامعة التى تمتد جذورها داخل كل الطوائف فى وقت واحد.

فالحريرى الميارديز ،وأحد أغنى رجال الأعمال فى العالم (بين أغنى مائة رجل فى العالم ، وثروته تزيد على ثلاثة مليارات دولار) يسعى إلى تأكيد زعامته السياسية بعد المالية. وهو يرعى ورشة إعادة الاعمار فى لبنان منذ أربع سنوات. ولا أحد ينكر أن هناك انجازات فى عهده فى مجالى الأمن والإعمار. غير أن الحريرى يتصرف أحيانا- كما يقولسليم الحص-وكأن التاريخ قد بدأ يوم عودته إلى بيروت من الخارج.. ويتحدث عن الإنماء والإعمار وكأنهما من اختراعه اوسوف يدخل الحريرى «ساحة النجمة»(مقر مجلس النواب فى بيروت)على رأس كتلة نيابية قوية إلى جانب علاقات وثيقة ترابطه بعدد غير قليل من النواب المنتخبين. ولا يهم الحريرى أن تتجمع حوله ائتلافات يحتشد فى داخلها طامحون من متعددى الاتجاهات والمشارب تباعد بينهم المنطلقات السياسية وربما الاهداف..فالمهم هو الحرص على عدم تعكير مياه الداخل اللبنانى فى هذه الفترة العصيبة من الاحتقان الاقليمى. وسوف تزدهر فى ظل الحريرى الرموز الرأسمالية التى يضمن لها نشاطها مجلس نيابى على مستوى الطاعة المطلوبة دون ان يكون هناك صوت يفسد مزاج الترويكا الذى يراعى المتطلبات الاقليمية والدولية. ومن يقف خارج المعسكر سوى يعتبر من أصحاب الاتجاهات المتشنجة أو المشبوهة.

وسيتولى الحريرى، رجل المال والاقتصاد ، توظيف سلطة الدولة- إلى جانب أمواله الطائلة-فى خدمة مشروعة للأمن والإعمار وموازين القوى السياسية والطائفية والإقليمية المعروفة.

«صراع» الأجهزة

ولا يهم أن تجرى الانتخابات فى غياب أية برامج سياسية فالموقع النيابى -كالوزارى- مصدر أساسى لحماية المصالح المالية والاقتصادية وتعزيزها والانخراط فى مشروع مربح. وكذلك يمكن القول أنه باستثناء سليم الحص ومجموعة من المستنيرين واليساريين اللبنانيين .. فقد كان من النادر أن تسعى جهة سياسية إلى تشكيل كتلة أو قائمة مستقلة قبل أن تستنفد كل الوسائل للالتحاق بقوائم السلطة.

وهكذا تقابلت فى الانتخابات أجهزة أو«ماكينات» انتخابية وليس أحزاب سياسية.

دفع اليأس من الاحزاب.. مواطنى لبنان إلى السعى للالتحاق بمراكز القوة والنفوذ.. والمنافع.

وكان أكثر من نصف الثلاثين وزيراً في حكومة الحريرى يسعون للحصول على مقعد نيابى، وتحالف معظمهم مع كبار أثرياء لبنان. واحتاج المرشح إلى أكثر من مليون دولار لكى تكون أمام فرصة للفوز.

وقبل أربعة أيام فقط من الموعد المحدد للانتخابات فى الجنوب (٨ سبتمبر) تولت دمشق رعاية مفاوضات ماراثونية انتهت بتكريس مبدأ الائتلاف بين حركة «أمل» و«حزب الله» فى الجنوب والبقاع لكى تضمن له المقاعد التى تعيده إلى حجمه الطبيعى وتكفل التهدئة بين الفصيلين.

أما الحزب الشيوعى اللبنانى فانه خسر هذه المرة، ولم يحصل على مقعد واحد.

وفاز سليم الحص ، ولكن أعضاء قائمته أصيبوا بضربة هائلة. وكان مشروع الحريرى أنه إذا فاز بعشرين مقعداً من ١٢٨ مقعدا (عدد مقاعد المجلس النيابى) فانه يكون بذلك قد حقق نصرا كبيرا ويكون قد شيد لنفسه قاعدة انتخابية تجعل منه أحد الثوابت السياسية الدائمة فى لبنان..

غير أن الفوز الذى حققه الحريرى لا يقاس بعدد المقاعد. لقد نجح فى تشكيل مجلس نيابى يمنح الثقة للحكومة ، ويتم التفاهم معها حول كل القضايا خارج هذا المجلس وممنوع عليه إسقاطها. فالتغيير متعذر وممنوع . حتى لا تهتز المعادلات فى هذه الظروف الاقليمية الحساسة والدقيقة على نحو يؤثر على تلاحم المسارين السورى واللبنانى أو يشجع على اختراقات سياسية لا تنسجم مع الخطوط العريضة للسياسة اللبنانية الدولية والاقليمية الحالية.



جبهة أمريكية اسرائيلية فى مفاوضات (السلام)

رسالة حيفا

نظير مجلى

العودة إلى الدفاتر العتيقة لم تكن سمة السياسيين المخضرمين فحسب، بل هى أيضا من سمات سياسيين- شبان، خصوصا من تيار اليمين المحافظ،وقد اعتبرت عودتهم إلى تلك الدفاتر نوعا من العودة إلى الأصالة،وليس فقط نبشا فى أكوام الغبار.

على هذه الطريقة،يسعى بنيامين نتنياهو، رئيس الحكومة الاسرائيلية ،إلى اقامة جبهة أمريكية- اسرائيلية لتنسيق المواقف فى مفاوضات السلام لدرجة التطابق. فهو لا يكتفى بالتحيز الأمريكي القائم لصالح اسرائيل ولا يكتفى بالتحالف الاستراتيجى، والسياسى والعسكرى، ويفتش عن مستوى شبيه فى مفاوضات السلام بحيث تفقد الولايات المتحدة أى طابع محايد ولو على المستوى الشكلى.

قد لا يعجب هذا الكلام أيا من حلفاء الولايات المتحدة من السياسيين العرب، وقد لا يعجب أيضا أوساط اليسار الراديكالى الذى لا يميز موقفا أمريكيا معقولا ، ابدا . ويرى فى كل ما يأتى من الغرب عموماو أمريكا خصوصا، سماً قاتلاً. وكلا الموقفين مريح جدا، ولا يحتاج إلى جهد. لكن نتنياهو يفكر هكذا، ويخطط لتنفيذ هذا .وفى رحلته الأخيرة (الثانية بعد انتخابه لرئاسة الحكومة) إلى واشنطن (٩-١١ سبتمبر / ايلول ١٩٩٦) ، بدأ المحاولات لتطبيق هذه السياسة عن طريق اعداد وثيقة أمريكية -اسرائيلية تكون أساساً لاستئناف المفاوضات على المسار السورى -اللبنانى.

فى البداية ، رد الأمريكان على الاقتراح من دون موقف لم يقولوا لا. لم يقولوا نعم. وتركوا نتنياهو يتحدث عنه لوسائل الإعلام بصوت عال. فقال: «طرحنا عدة اقتراحات على سوريا لاستئناف المفاوضات ، فرفضتها، وفيها مشروع «لبنان أولا» . فلجأنا إلى هذه الطريقة. قلنا للأمريكان ، أنتم حلفاؤنا وأصدقاؤنا . تعالوا نتفق على موقف لبدء المفاوضات، وفاوضوا عليه دمشق». ثم أضاف فى مرحلة لاحقة ،وهو ما زال فى واشنطن : «إننا بدأنا إعداد وثيقة أساسية تكون قاعدة تستأنف المفاوضات على أساسها ».وفى نيويورك ،بعد يوم من هذا، أعلن:«دورى (المقصود هو مستشاره السياسى، ، دورى غولد)بقى فى واشنطن لمواصلة التفاوض حول إعداد الوثيقة. ولن يعود إلى البلاد قبل أن ينهيها ».

لكن غولد عاد فى اليوم نفسه من واشنطن وانضم إلى حاشية نتنياهو فى العودة إلى البلاد ، مر دون الاعلان عن وجود وثيقة كهذه، واتضح أن الأمريكان تخلصوا من الموضوع، بطريقة ما، من دون أن يرفضوه تماما. وحبذوا أن يعودوا إلى الجولات المكوكية فى المنطقة ليؤدوا دور الوسيط .فحتى لو كان متحيزا ، يظل طابعه وسيطا، يحاول أن يوفق بين الاطراف من دون أن يتبنى رسميا ، الموقف الاسرائيلى.

فلسفة التحالف

فى واشنطن انتهت جولة فى محاولات نتنياهو ، لكن الفكرة لم تسقط والمعركة لتحقيقها لم تنته وما زال متفائلا بامكانية الوصول إليها، وليس على المسار السورى- اللبنانى، بل أيضا وربما بالاساس على المسار الفلسطينى وعموما فى العلاقات الاسرائيلية العربية، خصوصا مع مصر التى تتخذ مسارا مستقلا فى تعاملها مع مفاوضات السلام.

المنطق الذى يسير نتنياهو فى فلسفة التحالف هذه يسير على النحو التالى:

- سوريا تطلب الانسحاب بالكامل من الجولان.
- الفلسطينيون يطلبون الانسحاب الكامل من الضفة الغربية وقطاع غزة واقامة دولة فلسطينية فيهما، عاصمتها القدس الشرقية.

وكلا الأمرين لا يمكن قبولهما فى اسرائيل، ليس فقط لدى الليكود واليمين بل أيضا لدى أوساط واسعة فى الوسط. فى حزب العمل. والأمريكان هم الوحيدون الذين يفهمون ذلك ويقفون معنا ضد ضغوط العالم.

وهم الوحيدون القادرون والمستعدون لطرح حلول بديلة تستند إلى تغيير سلم الأولويات. فبدلا من الحديث عن «انسحاب كامل» مقابل« سلام كامل» نطرح موضوع الأمن. وبدلا من الحديث عن تلسيح نووى وتفوق استراتيجى لاسرائيل، نسعى لتحقيق تعاون اقتصادى من أجل رفاه وازدهار كل دول المنطقة ،وبدلا من الحديث عن الممارسات الاسرائيلية فى المناطق الفلسطينية الاستيطان هدم بيوت ، قمع، نتحدث عن ديمقراطية اسرائيل مقابل قمع الحريات فى العالم العربى ودور حقوق الانسان.

وهذا هو فى الواقع ما فعله نتنياهو، بعد انتخابه. وما زال يفعله حتى اليوم، ولكن بكلمات أكثر دبلوماسية.

أحد مرافقيه إلى واشنطن ، قال لنا خلال الرحلة الطويلة: الحكومة السابقة كانت تطرق أبواب العالم كله،من أوروبا إلى الولايات المتحدة، إلى اليابان، حتى تشمل الأموال من أجل السلطة الوطنية الفلسطينية وتقويتها، وتتذرع بالوضع الاقتصادى الصعب للفسطينيين، أما نحن، فنقدم للعالم وثائق تدل على مدى الفساد فى السلطة الوطنية، وكيف أن الأموال التى تصلها تصرف بشكل غير مراقب وتذهب الملايين منها إلى جيوب المنتفعين من كبار المسئولين، والحكومة السابقة. أضاف- كانت تغض الطرف عن ممارسات قوات الأمن الفلسطينية ضد المعارضة . حركات حقوق الانسان، أما نحن فمع كل عملية جديدة لحقوق الانسان هناك ، نهتم بايصال الأخبار .. إلى العالم أجمع.

قلت له ، ما بين المزاح والجد: «اعترف أنت بأننا نحن الذين نقدم لكم المادة الخام. فلولا غياب الديمقراطية فى عالمنا العربى ما كنتم تجدون ما تتباهون به أمام العالم ولولا ممارسات السلطة الوطنية ما كنتم تجدون ما تحرضون به العالم ضد فلسطين.

فضحك بالطبع، وأبقى لى الغصة.

لكن المسألة جدية للغاية. فالحكومة تبنى تكتيكها السياسى على استراتيجية أخرى، فى أساسها توريط الولايات المتحدة الأمريكية فى عداء وخصومة حتى مع حلفائها العرب واستخدام سلبيات العالم العربى (الكثيرة) لتجنيد الرأى العام العالمى واجهاض بعض التعاطف الذى يظهره تجاه القضية الفلسطينية والشعوب العربية عموما. ويريد هذا بديلا عن مسيرة السلام الحالية.

تكتيك إسرائيل يعتمد على فضح السلطة الفلسطينية وتوريط الولايات المتحدة فى خصومات مع حلفائها العرب

فكما هو معروف ، نتنياهو لا يعترف بالتلخيصات التى تمت حتى الآن بين حكومتى اسرائيل وسوريا فى المفاوضات التى جرت قرب واشنطن «بلوينيتشين» ويريد أن يبدأ المفاوضات معها من نقطة ما قبل مدريد.

وبالنسبة للمسار الفلسطينى ، يحاول نتنياهو ليس فقط أن يجعل اتفاقات اوسلو المرحلية حلا نهائيا للقضية الفلسطينية بل يريد فتحها من جديد وتعديلها لتلائم أو تقترب من برنامج الليكود السياسى، وهو البرنامج المعادى لفكرة اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة والقاضى بتوسيع المستوطنات وحتى زيادة مستوطنات تجديدة.

وبالنسبة للبنان، يريد أن يندمج جيش العملاء ، الذى اقامته ومولته اسرائيل لينفذ سياستها ، فى جيش لبنان الرسمى.

وكل هذا بحجة الأمن، التى تتفهمها الادارة الأمريكية وعندما تقف القيادة المصرية ضد هذا النهج، يريد نتنياهو أن يجند الادارة الأمريكية للضغط عليها.

ويعتقد نتنياهو أن بامكانه جر الولايات المتحدة إلى مواقفه هذه، ببرنامج منهجى مفصل مبنى على الخطوات التالية:

فأولا- هناك الانتخابات الأمريكية التى ستجرى فى الشهر القادم (نوفمبر ، تشرين الثانى ١٩٩٦) . فالادارة الأمريكية لن تدخل معه فى مواجهة قبل الانتخابات، لانها بحاجة إلى أصوات الناخبين اليهود.

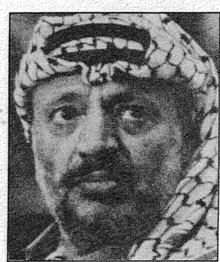
وثانيا- اذا فاز **روبرت دول** ، مرشح الحزب الجمهورى، فان رئيس حكومة الليكود يأمل أن يتجاوب مع رغباته لانه غير ملزم مباشرة، باتفاقات أوسلو أما بالتخليصات مع سوريا فهذه ورثة من عهد كلينتون ودول ، حسب نتنياهو، سيحتاج إلى أصوات اليهود فى الدورة التالية(سنة ٢٠٠٠).

وثالثا: اذا فاز كلينتون ، فانه سيكون محكوما للوبى اليهودى الكبير وصاحب النفوذ الواسع، فالمعروف أن اليهود الأمريكان يمولون ٦٥٪ من الدعاية الانتخابية لكلينتون.

أحد المسئولين الكبار فى حكومة نتنياهو، قال لنا خلال الزيارة فى واشنطن ، إن ما يميز نتنياهو عن غيره من رؤساء حكومات اسرائيل السابقين أنه خبير فى الأوضاع الأمريكية يعرف كل شئ فى الحلبة السياسية هناك . فقط غولدة مئير (التى كانت رئيسة الحكومة الاسرائيلية فى فترة حرب أكتوبر ١٩٧٣)، كانت تتمتع بهذه الصفة وقد نجحت فى جعل الأمريكان يشاركون فى الحرب مباشرة، بما فى ذلك قيادة الطائرات القتالية على الجبهة المصرية. ونتنياهو مثلها، يعرف كيف يجند القوى المؤثرة فى واشنطن وسئل ذلك المسئول: الا يعتبر هذا تهديدا للادارة الأمريكية، بأنكم تستطيعون الضغط عليها من الداخل ، فأجاب: لا نحن نتحدث عن ضغط ايجابى!!.

من هذا المنطلق يبدو أن نتنياهو متفائل بقدراته ،ويعتمد كثيرا على ضعف تأثير العالم العربى على الولايات المتحدة من جهة وعلى نقاط ضعف داخل العالم العربى (أنظمة الحكم، غياب الديمقراطية القيود على حرية الصحافة، وحرية التنظيم الحزبى، الوضع الاقتصادى ،وحاجة بعض الدول العربية للمساعدات الأمريكية مثل مصر والأوروبية مثل لبنان والاردن وحاجة دوله مثل سوريا لشطب اسمها من لائحة الدول المؤيدة للارهاب، تصرفات النظام العراقى، ليبيا والسودان واليمن.. وغيرها..) ،من جهة ثانية.

وحتى لو لم يكن نتنياهو بهذا الموقف ، فان فى حكومته وائتلافه ، أوساطا كثيرة تفكر بهذه الطريقة وتدفع بهذا الاتجاه مثل ارئيل شارون وبينى بيغن فى الليكود وحزبى المفدال وتسومت الشريكين فى الحكومة والمستوطنين اليهود فى المناطق الفلسطينية المحتلة. ونتنياهو يستفيد من هذه القوى وضغوطها المكشوفة عليه، ليبرر سياسته فى العالم.


ياسر عرفات

الخليل
محك المواجهة القادمة مع نتنياهو

يمكن للمراقب العادى، ان يرصد العديد من التفاعلات والارهاصات التى ابتدأت تطفو على سطح الحياة السياسية فى إسرائيل. ومن هذه التفاعلات ما كان متوقعا ومنها ما لم يكن كذلك. لكن الملفت للانتباه فيها ذلك التسارع فى ظهورها. ومن هذه الارهاصات فى تحالف اليمين الحاكم فى إسرائيل، موقف مجلس المستوطنات الاسرائيلى الذى وصف أداء حكومة **نتنياهو** منذ مجيئها إلى السلطة، بأنها «**مئة يوم من خيبة الأمل**»،وجاء ذلك فى المذكرة التى بعثها هذا المجلس إلى رئيس الوزراء الاسرائيلى بعد الاجتماع مع الرئيس **ياسر عرفات**.

رسالة القدس

حنا عميره

وفى الخيمة الاحتجاجية التى نصبها المستوطنون وسط القدس العربية، القيت كلمات وصفت **نتنياهو** بأنه كبير الكذابين! وذلك للمقارنة بين أقواله وتعهداته خلال حملته الانتخابية، وبين ما يفعله الان. والاشارة أيضا إلى اجتماعه مع **عرفات** . واعلن هؤلاء المستوطنون أيضا: «**بالنسبة لمدينة الخليل ستقاتل حتى النهاية**»والاشارة إلى رفضهم المطلق لاعادة انتشار الجيش الاسرائيلى من مدينة الخليل.

وليس موضوع الخليل وحده هو الذى يزعج أوساط اليمين المتطرف فى إسرائيل ويشكل مبعثا للقلق وخيبة الأمل، وإنما كل شئ يتعلق بمواصلة عملية السلام وتنفيذ الاتفاقات المعقودة مع الفلسطينيين،وعلى سبيل المثال، فقد دعا الميجور جنرال احتياط **اهرون ليفران** ،وهو رئيس ما يسمى بهيئة «الأمن والقوة الوطنية»،التى تضم حوالى ٤٠٠ من ضباط الجيش الاسرائيلى المعارضين لاتفاق أوسلو،**بنيامين نتنياهو** إلى عدم تنفيذ الالتزامات التى نص عليها اتفاق اوسلو،واستخدم بعض العبارات الغربية والممجوجة عندما قال: «لم يكن معقولا خلال الحرب العالمية الثانية أن يلتزم رئيس الوزراء البريطانى وينستون تشرشل فى ذلك الوقت بالتعهدات التى قطعها سلفه تشمبرلن إلى هتلر » ! والمقارنة هنا واضحة!.

ولم تقتصر هذه الأوصاف والمقارنات والمواقف على المستوطنين وبعض أوساط الجنرالات المتقاعدين وغير المتقاعدين، وإنما تعدتهم إلى وزراء فى الحكومة الاسرائيلية أمثال **اريل شارون وبينى بيجن ورئيس لجنة الخارجية** والأمن فى الكنيست **عوزى لانداو** وغيرهم من أقطاب حزب الليكود الذين قال بعضهم متهكما «**لقد وصل نتنياهو إلى السلطة لكن الليكود لا يزال فى المعارضة**».

ويبدو ان الاحتكاك الداخلى قد وصل حدا دفع برئيس الوزراء الاسرائيلى إلى التهديد باقالة وزراء، فى حالة عدم التزامهم بالتوجهات العامة للحكومة.

ولكن ماذا فعل **نتنياهو** حتى يواجه بمثل هذا الزعيق وحتى يضطر للتهديد باقالة وزراء؟.

انه لم يفعل شيئا سوى الانحناء مضطرا للضغوط والاستجابة لمطالبته ن قبل العديد من القادة والشخصيات بالالتقاء مع **ياسر عرفات**.وبالفعل لقد **استجاب نتنياهو** لهذه الدعوات، وعدل موقفه السابق الذى كان يرفض مبدأ اللقاء مع عرفات، وهو أراد بذلك إدخال تعديل تكتيكى على أسلوب تعامله مع الاتفاقات الموقعة وقد ظهر ذلك جليا بطرحه شعار **نحن ملتزمون ولكن..!!** -أى حسب اقواله فى المؤتمر الصحفى بعد الاجتماع مع عرفات- نحن ملتزمون بالاتفاق المؤقت وبالسعى إلى تنفيذه- ولكن- على أساس المعاملة بالمثل! وبعد ذلك صرح قبيل مغادرته إلى **واشنطن لدينا حقيبة مليئة بالمطالب من الفلسطينيين**.وفى واشنطن وبعد لقائه مع **كلينتون** قال: «**إن التقدم فى المحادثات مع الفلسطينيين ، يعتمد على الإيفاء بالتزاماتهم الأمنية،والامتناع عن أى نشاطات غير قانونية فى القدس**» .ومن حيث الجوهر، فقد رفض رئيس الوزراء الاسرائيلى، تحديد موعد لاعادة الانتشار من الخليل، وتجاهل بشكل



المظاهرات الشعبية فى مدينة يافا عام ١٩٢٧ فى مواجهة قوات الاحتلال البريطانى

مطلق، ما نصت عليه الاتفاقات حول اعادة الانتشار من المنطقة -ج- ،التى كان يجب أن تبدأ فى السابع من ايلول «سبتمبر» ١٩٩٦-هذا بالاضافة طبعا إلى توسيع النشاطات الاستيطانية،فى مختلف اجزاء الضفة، وتوسيع شبكة الطرق الالتفافية، ومواصلة حملات الهدم وتهجير المواطنين وغيرها.

لهذه الاسباب وغيرها، فان نتنياهو لم يفعل شيئا يستحق مثل هذا التقريع والانتقاد، من شركائه فى قيادة حزبه واحزاب اليمين! لأن ما حاول أن يفعله حتى الآن، هو **الانحناء قليلا للضغوط، ومحاولة تنفيسها واحتوائها لصالح سياسته**،التى تستهدف فى النهاية وكما أعلن بنفسه**اقامة كيان فلسطينى للسكان فى المناطق غير الجرداء، ومعظم الضفة حسب اقواله،هى منطقة جرداء**.وتأكيده أن الموضوع الرئيسى فى الحل النهائى، سيكون فقط ماهية صلاحيات هذا الكيان، والمنطقة التى يشرف عليها- وليس تنفيذ قرارى مجلس الأمن ٢٤٢و ٣٣٨ كما نصت الاتفاقات.وأما الوسيلة لذلك فهى من خلال الشعار «**نحن ملتزمون ولكن..**»أى نحن ملتزمون قولا.. ولكن.. بعد تقديم الفلسطينيين لحقيبة كاملة من التنازلات.

لهذا فان- لكن- التى يستخدمها **نتنياهو** تقلب جميع المعانى التى سبقتها. وعلى الجانب الفلسطينى الانتباه جيدا لذلك، وعليه عدم الوقوع فى حالة من الرضى عن النفس،وتحميل اللقاء بين**عرفات ونتنياهو** ما لا يحمله من معان ومضامين، أو التبرع بتقديم أى مقابل له مثل الموافقة على تعديل اتفاق إعادة الانتشار من الخليل.. أو الاقدام على خطوات، تشجع **نتنياهو** فى محاولاته لتنفيس الضغوط القائمة وتساعده بالتالى على التحلل من الاسس التى قامت عليها المفاوضات. **ومن هنا فلا مجال للبناء على بعض التقديرات القائلة: إن الاجتماع المذكور شكل انتصارا استراتيجيا للموقف الفلسطينى**،وما سيأتى من خطوات سيتضمن المزيد من هذه الانتصارات!.

وإذا ما عدنا مرة أخرى، إلى ضغوط اقطاب الائتلاف اليمينى وصيحاتهم وانتقاداتهم، فيجب القول بأننا لسنا أمام انقلاب فى مواقفهم تجاه **نتنياهو** .. وبالمقابل فان **نتنياهو** لا يستطيع تجاهل ضغوط الطرف الاخر التى قد تضطره للسير على طريق تنفيذ الالتزامات والاتفاقات.. الأمر الذى قد يفتح الباب نحو تطورات جديدة.

والسؤال المطروح الان كيف سيتصرف رئيس الوزراء الاسرائيلى: هل يلجأ إلى اتباع سياسة تؤدى إلى اهتزاز قاعدة التحالف اليمينى الذى يقوده أم أنه سيحتفظ بوحدة هذا التحالف على حساب مصالح اسرائيل الأخرى!! وكم من الوقت سيستغرق ذلك!.

ان الكثير يعتمد فى هذا المجال على مواقف السلطة الفلسطينية وتضامن الاطراف العربية واداء المفاوض الفلسطينى خلال جولة المفاوضات القادمة.

وليكن المحك ونقطة البدء فى المواجهة مع نتنياهو تمسك الجانب الفلسطينى فى تنفيذ الاتفاق حول الخليل ورفض الابتزاز والضغوط الاسرائيلية الداعية إلى ادخال تعديلات عليه،بهذه الوسيلة فقط نمهد لتنفيذ باقى الالتزامات والاستحقاقات ونحول دون فتح باقى الملفات، كما ونمهد الظروف المناسبة والاساس الصلب لبدء مفاوضات الحل النهائى.

العراق: عـــدوان أمـــريكى جـــديد لتكـريس الـهـيـمنة


موقع اصيب بصاروخ أمريكى

ابراهيم الصحارى

جاءت الضربة الأمريكية التى تم توجيهها إلى العراق بعد إقدامه فى وقت سابق فى مطلع الشهر الماضى على اجتياح المناطق الكردية فى شماله لتثير تساؤلات ومخاوف فى كل أنحاء المنطقة حول تصرفات وقرارات الولايات المتحدة المنفردة التى تسعى إلى خلق التوتر فى منطقة الخليج كمدخل لتكريس هيمنتها وتعزيز وجودها فى المنطقة.

وجاءت المواجهة الأمريكية - العراقية الأخيرة بعد أن سيطر الجيش العراقى على المناطق الشمالية الكردية فقد استعاد مدينة **أربيل** ومدينة **السلمانية** كبرى مدن كردستان من قوات الاتحاد الوطنى بزعامة **جلال طالبانى** المدعوم من ايران . وأعلنت القيادة العراقية أنها اتخذت قرار إرسال قوات إلى الشمال لمساعدة قوات الحزب الديمقراطى الكردستانى بناء على طلب من زعيم الحزب **مسعود بارزانى**

وحشد العراق مايتراوح بين ٣٠ ألفاً و٤٠ ألف جندى فى المحافظات الشمالية ، وانسحب سريعاً من هذه المناطق بعد أن طرد اتباع الاتحاد الوطنى الكردستانى وسلم السلطة فى هذه المناطق إلى الحزب الديمقراطى الكردستانى وزعيمه مسعود بارزانى الأكثر انقياداً لبغداد ، ليضع العراق بهذا موطئ قدم فى المناطق الشمالية الكردية بعد خمس سنوات من انسحابه ، بعد أن ثار الأكراد على صدام حسين فى نهاية حرب الخليج عام ١٩٩١ وأعلنت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا حظراً جوياً يمنع دخول الطائرات العراقية إلى هذه المناطق.

*** الأكراد على مذبح التجاذب الإقليمى

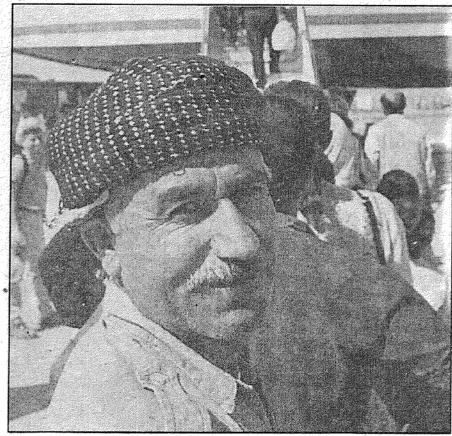
وراء الاتحاد الوطنى الكردستانى والحزب الديمقراطى الكردستانى تاريخ دموى طويل من الصراعات والولاءات الاقليمية المتقلبة، فهناك أطراف خارجية إقليمية تقف وراء الاقتتال الكردى - الكردى وتعمل على تصعيده لتحقيق مصالح متعلقة بأمنها القومى خاصة إيران وتركيا.

فايران التى كانت تقف مع قوات **مسعود بارزانى** العام الماضى ومساعدته فى السيطرة على مواقع استراتيجية متاخمة لحدودها كانت تسيطر عليها قوات طالبانى ، تقف اليوم مع الأخير بعد أن فترت علاقتها فى الفترة الأخيرة مع **بارزانى** الذى يعتقد الايرانيون أنه تجاوز الحدود باتصالاته مع بغداد.

ونفذت إيران العديد من العمليات العسكرية المتلاحقة فى شهر يوليو الماضى داخل الأراضى العراقية استهدفت قواعد ومراكز **الحزب الديمقراطى الكردستانى الايرانى** ، وأتهم **مسعود بارزانى** ايران بأنها تركت قبل انسحابها كميات كبيرة من الأسلحة الثقيلة لقوات طالبانى استخدمتها فى القتال الأخير.

وتذكر الرؤية الايرانية فى استخدام القوة العسكرية داخل كردستان العراق ليس لمحاربة الحزب الكردستانى الايرانى فحسب ، وإنما لبسط نفوذها وتوسيع رقعة تأثيرها العسكرية وسط أكراد العراق أولاً ، **فهى تتعامل مع المنطقة الكردية العراقية على أنها ساحة ملائمة للصراع لا مع العراق وتركيا فحسب بل مع أمريكا وإسرائيل أيضاً.**

وتتميز ايران بامتلاك سرعة ومرونة



كردى عراقى يتجه

كبيرتين فى التعامل مع الوضع الكردى فى العراق . فمشكلة أكرادها ليست متفجرة بصورة مأساوية على عكس أكراد تركيا الذين أصبحوا عقدة مستحكمة - خاصة بعد ظهور حزب العمال الكردستانى - لا فى السياسة التركية فحسب بل حتى فى سياسات حلفاء تركيا ومن ضمنهم الولايات المتحدة . والدليل على ذلك أن إيران سمحت بدخول عشرات الآلاف من اللاجئين الأكراد العراقيين إلى حدودها وإلى المدن الكردية الايرانية إثر المعارك الأخيرة فى حين تخوفت تركيا من وصول اللاجئين الأكراد العراقيين حتى إلى حدودها .

وتعتدى **تركيا** منذ عام ١٩٩١ بصورة دورية على الأراضى العراقية من خلال العمليات العسكرية ضد عناصر حزب العمال الكردستانى الذى يقال أنها تتخذ من شمال العراق مأوى لها . **وتقوم دبابات الجيش التركى بانتظام بدك منطقة يبلغ عمقها أكثر من ٢٠ كيلو متراً داخل الأراضى العراقية** مما أدى إلى تهجير الفلاحين الأكراد من قراهم التى أعادوا بناءها أكثر من مرة وقتل الكثير من المدنيين . بينما تحلق طائرات قوات "المطرقة" على ارتفاع ٣٠ ألف قدم فى سماء كردستان لتحول دون تحليق طيران صدام حسين فوق المحمية الكردية شمال خط عرض ٣٦ ويحلق الطيران التركى على ارتفاع ٥ آلاف قدم ليقصف القرى الكردية تحت سمع وبصر الولايات المتحدة الأمريكية التى تنظر إلى العراق الكردى - التركى على أنه مسألة داخلية ، لذا أطلقوا يد الجيش التركى فى حل هذه المشكلة لاستئصال حزب العمال الكردستانى - الذى يعد فى نظرهم حركة ارهابية من المناطق والجبال الشمالية العراقية المتاخمة للحدود التركية البالغ طولها ٣٣٠ كيلو متراً .

وحصلت تركيا على دعم أمريكى لمشروعها الخاص بانشاء منطقة أمنية عازلة داخل الأراضى العراقية وعلى طول الحدود المشتركة بعمق ٢٠ كيلو متراً .**وكشفت بعض التقارير عن تعاون تركى أمريكى إسرائيلى من أجل انشاء تلك المنطقة** .فاسرائيل قدمت لتركيا العديد من المساعدات فى هذا المجال بناء على خبرتها وتجاربها فى الحزام الأمنى فى الشريط المحتل فى جنوب لبنان والأخطر من كل ذلك أن **تانسو تشيلر** وزيرة الخارجية التركية تحدثت عن مسئوليات تركيا القومية فى الدفاع عن التركمان العراقيين البالغ عددهم نحو ٢٠٠ ألف نسمة وقالت أنقرة أنها تخطط ليتولى هؤلاء التركمان مهمة الدفاع عن الحدود التركية من الجانب العراقى بعد انسحاب القوات التركية من الحزام الأمنى . وتكون المنطقة تحت مراقبة القمر الصناعى التركى ومحطات الرصد الأرضية التى أنشأت بدعم ومساندة إسرائيل بموجب الاتفاقيات العسكرية التى تم توقيعها بين تركيا وإسرائيل فى فبراير الماضى.

وبالنسبة لنظرة الولايات إلى المشكلة الكردية فى العراق من المعروف أنها لاتريد إقامة وطن مستقل للأكراد ولاتريد تقسيم العراق خوفاً من اختلال موازين القوى فى المنطقة . ولكنها فى نفس الوقت **خوفاً من قيام دولة عراقية قوية تحت زعامة صدام حسين تفضل الولايات المتحدة بقاء الأكراد فى الشمال ككيان مستقل وهى تعطى الأكراد العراقيين دوراً مهماً فى المناورات** الأمريكية ضد صدام . ولذا فهى قد استخدمت كل قدرتها على الاقناع لتتوصل إلى مصالحة بين **بارزانى وطالبانى** بعد ماانذلعت المعارك بينهما فى منتصف أغسطس الماضى . وعندما دان شمال العراق لمسعود بارزانى الذى انتصر انتصاراً حاسماً على خصمه بمساندة عراقية ، أقنعتة الولايات المتحدة بفك التحالف مع صدام والعودة لحظيرة الولايات المتحدة لو أراد أن يكون سيد الشمال ، وهو ماوافق عليه بارزانى فى الزيارة المفاجئة التى قام بها إلى أنقرة وقابل فيها **تانسو تشيلر** ومسئول من الخارجية الأمريكية.

وعند تحليل الموقف عن كثب نرى أن الولايات المتحدة كانت راضية عن انتصارات بارزانى التى تمت بيد الجيش العراقى لأنها قلصت من النفوذ العسكرى الايرانى فى شمال العراق فمن الغريب أن تترك الولايات عشرات الالاف من قوات صدام حسين تزحف الى شمال العراق وتسيطر على منطقة كانت تعتبر بحسابات السياسة الخارجية الأمريكية المعلنة منذ نهاية حرب الخليج منطقة نفوذ أمريكى بالكامل.

أمريكا التوتر .. طريق الهيمنة

ولأن العراق لم ينتهك الحظر الجوى الذى تفرضه الدول المتحالفة لحماية الأكراد لذا فالضربة الأمريكية التى استهدفت بعض الدفاعات الجوية العراقية جاءت هذه المرة أمريكية وليست دولية . فهذه الضربة أظهرت

ولكن إذا سلمنا بهذا المبرر كيف نفسر انعكاس هذه الضربة سلبياً على شعبية **بيل كلينتون** نظراً لمعارضة دول أساسية فى مواجهة العراق لهذه الضربة الأمر الذى أفشل مشروع قرار لادانة تدخل العراق فى شماله فى مجلس الأمن قدمته بريطانيا - بتأييد أمريكى بالطبع بشكل **أظهر الولايات المتحدة فى أضعف صورها على الصعيد الدولى منذ نهاية الحرب الباردة.**

وهنا يجب أن نتأكد أن هناك مبرراً أخر يقف وراء الهجوم الصاروخى الأخير على العراق . فالولايات المتحدة رغم الرفض الدولى والاقليمى والعربى لاتزال مصرة على شن هجوم جديد على العراق . فقد حشدت أكثر من ٥٠٠٠ جندى فى الكويت بالاضافة لطائرت الشبح التى لاترصدها الرادارات .

وحاول **وليام بيرى** وزير الدفاع الأمريكى فى جولة سريعة فى منطقة الخليج إقناع كبار القادة الخليجيين بضرورة التعامل بحزم مع صدام . ان واشنطن تريد اطلاق يدها فى التعامل مع العراق فى وقت تجد فيه أغلب الدول الخليجية صعوبة فى أن تفسر لشعوبها أن الهجمات الأمريكية لها مايبررها . فعلى سبيل المثال السعودية اليوم باتت فى موقف صعب فهى تحاول معالجة قضية حاجتها لوجود عسكرى أمريكى فى المملكة فى ظل تنامى الرفض الشعبى لهذا الوجود فقد قتلت الجماعات الاسلامية الراديكالية ٢٤ أمريكيا وهنديين فى هجومين منفصلين بالقنابل فى السعودية فى نوفمبر ويونيو الماضيين ضد مواقع عسكرية أمريكية.

أن واشنطن تشعر أن الأرض فى الخليج تهتز تحت أقدامها فى ظل تنامى إمكانية عودة العراق للصف العربى خاصة بعد قمة القاهرة العربية الأخيرة ومن هنا فهى لها **مصلحة فى رفع درجة التوتر فى منطقة الخليج لاستمرار ربط المنطقة بها والهيمنة عليها لضمان تدفق النفط وتأمين مبيعات أكبر لصناع السلاح الأمريكيين.**

إن الولايات المتحدة بحاجة إلى **التواجد العسكرى فى الخليج لملء الفراغ الذى خلفه خروج العراق من معادلة الأمن فى مواجهة ايران** بالاضافة الى القلق من أى احتمالات للتغيير فى التوجهات السياسية التركية **فتركيا تموج بالعديد من الصراعات وعدم الاستقرار خاصة بعد وصول الاسلاميين الى الحكم** لذا فالولايات المتحدة بحاجة الى رفع درجة التوتر فى منطقة الخليج من فترة لأخرى لتكريس وجودها العسكرى وتعزيز هيمنتها مما يجعل التصعيد ضد العراق له مايبرره منطقياً .



- بارزانى وجلال طالبانى قبل الاقتتال

التوترات داخل التحالف المناهض للعراق الذى تشكل فى حرب الخليج فلم يؤيد هذه الضربة سوى عدد صغير من الدول التى انضمت للتحالف فى حرب الخليج بينها بريطانيا وألمانيا . فقد حجبت فرنسا وروسيا تأييدهما لهذه الضربات . فلكل من الفرنسيين والروس جدول الأعمال الخاص بهم اقتصاديا وسياسياً . فقد أدى قرار مجلس الأمن بحظر التعاون مع العراق إلى الاضرار بهذه الدول بصورة كبيرة فهى كانت ترتبط بعلاقات اقتصادية قوية مع العراق . فالأخير مدين لروسيا وحدها بأكثر من ٢٠ مليار دولار . والشركات الفرنسية تتأهب للعودة مرة أخرى للاستثمار فى العراق بعد تطبيق القرار ٩٨٦ (النفط مقابل الغذاء) الذى يسمح للعراق ببيع كميات محدودة من النفط قيمتها مليارا دولار خلال ستة أشهر لشراء احتياجات شعبة الأساسية من الطعام والدواء.

واتسمت المواقف العربية بالامتناع عن تأييد الضربة الأمريكية باستثناء الكويت . ودافعت بعض الدول العربية عن حرية العراق فى تحريك جيشه داخل أراضيه دون تدخل من أحد . وحتى السعودية القوة الخليجية المهيمنة لزمت الصمت على الصعيد الرسمى بشأن الهجمات الأمريكية وحرصت على أن توضح لمواطنيها أنها لم تشارك فى الهجمات.

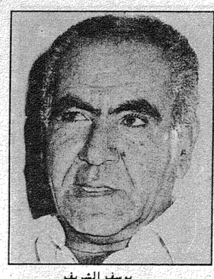
اذن لماذا أقدمت الإدارة الأمريكية على ضرب العراق مع علمها مسبقاً بكل ردود الأفعال هذه؟

أغلب التحليلات التى تناولت مبررات الضربة الصاروخية الأمريكية أرجعتها إلى منطق **الدعاية الانتخابية لبيل كلينتون** .فهذه الضربات رمزية للغاية ولم تسفر عن أى تغيير حقيقى فى الدفاعات الجوية العراقية أو فى موازين القوى الأساسية فهى رد رمزى على تحرك بغداد فى اتجاه المناطق الكردية كان يحتاج إليه الرئيس كلينتون فى حملته الانتخابية حيث تعرض لضغوط شديدة نظراً لعدم اتخاذه ردا حاسماً وسريعاً لغزو العراق للمناطق الكردية خاصة من خصمه الجمهورى **"بوب دول".**

يوسف الشريف و..

مســــاهمة فى فهم :

السودان والسودانيين



يوسف الشريف

د . حيدر إبراهيم على



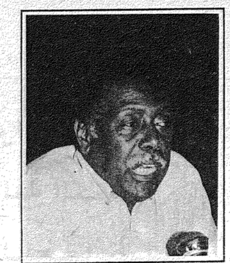
الكتب مثل البشر- أحياناً- من ناحية الحظ الجيد أو السئ . والحظ ليس صدفة باستمرار، ففيه قدر من التدبير وحسن التوقع . فكتاب الأخ يوسف الشريف : **(السودان . وأهل السودان)** من الكتب المحظوظة لانه جاء فى الوقت المنتظر تماماً. فالعلاقات المصرية- السودانية فى حالة انحسار لم تعرفه قبل ذلك، والمؤلم فى الأمر هو أن التوتر لم يعد مقصوراً على المستوى الرسمى بل تعداه إلى التعامل الشعبى العادى فى بعض الأحيان. والآن تتكون صور ذهنية ونفسية شديدة السلبية فى النظرة المتبادلة بين المصريين والسودانيين. وهذه تراكمات وعقد تنتظر المستقبل لكى تتفجر وتظهر. لذلك يجئ كتاب الشريف ليساعد في تقديم صور إيجابية ولو فى الماضى، فالعلاقة الآن تحتاج إلى قدر كبير من الاهتمام القائم على المعرفة والحب. وهذا الكتاب ينضح بحب عميق، وهذا هو المطلوب الآن، فالمؤلف لم يصدعنا بالحديث عن الاستراتيجية والجيوبوليتك والمصالح والمصير المشترك والعلاقات الازلية والوحدة الفورية.. الخ. ولكنه دلف بهدوء ورقة إلى شخصية الانسان السودانى والمجتمع السودانى. لذلك جاء الكتاب ونسة قريبة للقلب، ولكنها تحرك العقل بطريقة مختلفة فالعلاقات المصرية السودانية لا تحتاج فى فهمها إلى إحصائيات واستشراف ونماذج فقط، بل تبدأ من الرغبة فى الفهم والاحترام المتبادلين . ولكن كثيرا ما نهرب من الفهم الحى إلى التنظير البارد، لذلك بقى المسكوت عنه فى العلاقات كثيرا ، وهو الأهم والأكثر تأثيراً.

يأتى كتاب **«السودان . وأهل السودان»** ليكسر الصمت والاهمال الذى لازم تاريخ الكتابة المصرية عن السودان. فقد بقى عدد قليل من الأصدقاء الذين يكتبون عن السودان بحب وفهم -أذكر منهم على سبيل المثال والتقدير: **حلمى شعراوى، أمينة النقاش، نسيم مقار، إجلال رأفت، أمانى الطويل**. ولا أعنى بكتابة الحب التحيز للسودان أو ترضية ما يسمى بحساسية السودانية، بل بسبب معايشتهم واحتكاكهم ورؤيتهم الواضحةللعلاقة. لقد وقعت الكتابة المصرية عن السودان بين معركتى الهيكلين. فقد كتب الدكتور **محمد حسين هيكل**، عقب زيارة للسودان فى يناير ١٩٢٦ ، كتاباً بعنوان **«عشرة أيام بالسودان»**. وقد آثار الكتاب غضب السودانيين ، حتى أن المؤرخ محمد عبد الرحيم ألف كتابا فى الرد عليه بكتاب **عنوانه :«النداء فى دفع الافتراء»(١٩٥٣) . ثم جاء الاستاذ محمد حسنين هيكل** عقب أكتوبر ١٩٦٤ مقالا بعنوان : **«ثم ماذا بعد فى السودان؟»** وأعتبره السودانيون- الذين كانوا فى خضم ثورة شعبية ضد الحكم العسكرى- انتقاصا وتبخيسا لقدرات الشعب السودانى. ومن وقتها قرر هيكل الصيام عن تناول الشأن السودانى.

لهذين الحدثين دلالة واضحة على غياب التحمل أو عدم التسامح ورفض الآخر. وكانت النتيجة الانسحاب المصرى عن ميدان الكتابة العميقة والمخلصة عن السودان. وترك هذا الموضوع لبعض المعلقين متوسطى القدرات والساسة الهواة والحزبيين ضيقى الأفق.

عند المقارنة بين ما كتبه الاجانب وبالذات البريطانيين وما كتبه المصريون نجد الفرق شاسعاً فى الكم والنوع. وكثيرا ما أقول بأن المصريين هم الأقرب من السودان جغرافيا ولكنهم- للأسف- الأبعد فى فهم السودانيين ثقافيا ونفسياً واجتماعياً. فقد كتب البريطانيون من اداريين وانثروبولوجيين ، وصوروا الافلام الوثائقية عن قبائل السودان المختلفة. وما زالت بعض كتبهم تعتبر مراجع أساسية.

من ناحية أخرى كان وجود جامعة القاهرة فرصة جيدة. لفهم السودان والسودانيين وبالفعل ظهرت مجموعة من الاكاديميين أبدت اهتماماً بكتابة السودان بعيون مصرية، وعرفنا أسماء الاساتذة: **محمد عوض محمد، محمد النويهى، عبد المجيد عابدين، محمد السيد غلاب، الصياد ، مصطفى مسعد، محى الدين عوض، طلبة عويضة، خليل عساكر، محمد رفعت رمضان، محمد زكى العشماوى، محمد حافظ دياب، صموئيل باسيلوس، كمال الدسوقى ، شاطر البصيلى، عبد العزيز كامل**. وكانت فترة صعود فى العلاقات على المستوى الشعبى فقد كانت الظروف الإقليمية أيضامواتية. كانت حركة التحرر الوطنى العربى فى مدها والانسان العربى- المصرى قد رفع رأسه وشعر بدور يتعدى الدائرة العربية رغم مركزيتها. والسودان يمثل الجسر بين افريقيا والعرب . ولكن جاءت هزيمة حزيران (يونيو ١٩٦٧) ، ثم النكسة الحقيقية: الفورة النفطية ، ليتحول اهتمام الاكاديميين والمثقفين إلى منطقة أخرى، لا بقصد الكتابة والحث ولكن بهدف تأمين



د. حيدر إبراهيم على

المستقبل الشخصى. وهكذا انحسر الاهتمام بالسودان، رغم القرارات الفوقية الخاصة بالتكامل وبرلمان وادى النيل والتى ظلت مجرد شعارات خاوية المضمون. فالتنقل بالبطاقة ساهم فى تبادل تجارى ولكن لم ينعكس على التقارب الثقافى والفكرى.

أعتقد أن ميزة كتاب الشريف هى العودة إلى تقليد الكتابة عن السودان من منطق الندية والتواضع والفهم وقبول الآخر. لم ينحاز إلى السودانيين بعاطفية ولم يقل عنهم ما ليس فيهم لانه عرفهم جيدا. فالسودانيون ليسوا حساسين بالمعنى المرضى الذى يردده بعض الكتاب المصريين عنهم والمقصود بهذه الصفة- بطريقة غير مباشرة- عدم النضج والانفعالية وبالذت سرعة الغضب. بل العكس ، التجارب الديمقراطية وطبيعة المجتمع السودانية البسيطة وشبه البدوية، جعلت فى السودانيين محاورين ومناقشين جيدين. وللمفارقة يرى السودانيون أن المصريين حساسون ولا يحتملون أى نقد إذ يعتبر :«إساءة لمصر» وأى تعليق ناقد يعتبر تطاولا على مصر . لذلك يحجم السودانيون عن «التدخل » فى الشئون المصرية رغم المعايشة. هذا يعنى أن الحذر من الجانبين، ومن هنا يأتى سوء الفهم أو عدم الرغبة فى الفهم. ولذلك تبقى الصور السلبية المتبادلة ، فتحت الحديث عن الإخاء والعلاقات الأزلية، توجد صور وانطباعاتImages تخلو من أى إيجابية وكأننا أمام نظرة غرب لصهاينة أو العكس. والسبب هو أن السياسة ما زالت تتحكم فى النظرة ، بينما الثقافة تقف بعيدة عن مجال هى الأجدر به.

حاول الشريف أن يرى السودان من خلال الثقافة والمجتمع والشخصية السودانية، وهذا ما افتقده رصفاؤه من الكتاب المصريين ومن البداية ، يكشف الإهداء عن هذا المدخل: **إلى أهلنا فى السودان عشاق الحرية والديمقراطية والسلام وألوان الفرح والمسرات وكل جميل ونبيل فى الحياة. يستحق الحرص والنضال من أجله (ص٥)** هذه صفات تميز الإنسان السودانى ومجتمعه وهى مفتاح فهم لكل شئ فى جنوب الوادى. لذلك كان الكاتب موفقاً حين اعتبر أن الوضع الحالى هو «الخروج عن النص» (ص١١٩) فالسياق الطبيعى هو الحرية والديمقراطية والسلام. وهنا نجد خطأ آخر يقع فيه بعض الأخوة المصريين حين يعتبرون «سودان الجبهة الراهن» هو الأصل وليس الاستثناء ، وبالتالى يصبح السودانى فى نظرهم إرهابيا أو مشروع إرهابى، والمشكلة الأساسية أيضا هى عدم الفصل بين الشعب وحكامه، فالسودان لديهم كتلة واحدة. الشعب، السلطة، الوطن. ويتسبب هذا الخلط فى كثير من سوء الفهم والإدراك الخاطئ.

يمكن اعتبار الفصل الرابع(ص٢٥١-٣٣٦) من أمتع وأعمق ما كتب عن الحس الفنى والذوق لدى السودانيين، وهذا جانب رغم أهميته ظل مهملا بينما هو أس الثقافة. وأرى أن هذا هو اكتشاف يوسف الشريف الذى يمكن أن يميزه ، لأن الكاتب أمسك بالروح السودانية (ETHOS) . يقول واصفا ببراعة استمتاع السودانى بالغناء والموسيقى :" ومن النادر أن تلتقى بسودانى بلغت مكانته رفعة وحولاً وطولا لايعشق الاستماع أو ممارسة هواية الغناء ، وتذوق ألوان الطرب السودنى " ويضيف :" لكن الغناء ليس وحده متعة أهل السودان ، إذ أنهم يحرصون دوماً على التفنن فى تلوين رتابة الحياة وتحمل منغصاتها عبر ألوان محببة من الفنون والتقاليد الموروثة والعادات الاجتماعية الشيقة ، وممارسة ألوان الضحك والظرف والسخريات "(ص ٢٥١) فالسودانى ليس ثقيل الدم" أو مغلقاً" ولكنه يحافظ على مسافات الجد والهزل بعناية . هذا الباب فى الكتاب أقرب إلى دراسة إثنوغرافية أو وصف ثقافى للجوانب الفنية لدى السودانى.

وأخيراً يختم الكاتب بدعوة إلى الإدراك المتبادل كشرط لوحدة وادى النيل ، ويقول فى الصفحة الأخيرة:" ورب ضارة نافعة .. إذ أن التداعيات المؤسفة والمتردية لأوضاع السودان السياسية والاقتصادية وانتهاك حقوق الإنسان ، منذ انقلاب الجبهة الإسلامية عام ١٩٨٩ ، أسفرت تلقائيا عن نزوح ثلاثة ملايين مواطن سودانى إلى مصر .. يمارسون حياتهم الطبيعية وسط أشقائهم المصريين إنها الفرصة السانحة والمواتية لإعادة التلاقى والحوار الشعبى المتبادل لسد هوة الغياب والادراك المعرفى بأهمية العلاقات المصرية والسودانية "(ص ٣٦٣) نشارك الكاتب فى هذه الرغبة ونتمنى أن يكون الوجود السودانى الحالى - بغض النظر عن حجمه - فرصة للفهم والتقارب . ولكن ذلك لن يتم بالأمانى والرغبات بل قد يتحول إلى عامل تباعد وسوء فهم، إذ لم تتحرك التنظيمات الحزبية والشعبية وأجهزة الإعلام فى التأكيد على العمل من أجل علاقات مصرية - سودانية معافاة . أخشى أن يكون الوجود السودانى فى مصر يعيش الحذر أو اللامبالاة أو التجاهل . وأخشى أن تكون قيمة الانسان السودانى قد هبطت بسبب ممارسة نظام الجبهة الحاكم وأن يكون " السودانى الطيب" قد اختفى فى المصطلح المصرى . إذ لايكفى الوجود المادى الكبير للسودانيين ، فلابد أن يتحول هذا الكم إلى كيف فى التفاعل اليومى الإيجابى مع الإخوة المصريين وإلى احتكاك يعمق الأخوة والحميمية وليس المنافسة والكراهية .

وفى نهاية الأربعينات شهدت مصر وجوداً مشابها وكان أغلب المقيمين من دعاة وحدة وادى النيل " تحت التاج المصرى" أو نتيجة " الكفاح المشترك" ولكن كان هؤلاء هم أنفسهم الذين دعوا للاستقلال فى داخل البرلمان السودانى . وفوجئ المصريون " بغدر" السودانيين وكانت الحقيقة غير ذلك ، فقد تراكمت مواقف كانت تعتبر صغيرة ولكنها كونت اتجاهات أثرت على مواقف مصيرية . لذلك فان مسئوليتنا تقتضى أن نبدأ من الآن وأن نوظف هذه الفرصة فى مزيد من التفاهم والإدراك نذخره لمستقبل العلاقات والتى لاأتصور أى مستقبل للبلدين بدون تطويرها إلى أقصى مدى.

كنت أود أن يكون ظهور كتاب الأستاذ يوسف الشريف فرصة لفكرة طرحت ثم ماتت فى مهدها ، وهى إقامة ندوة تحت عنوان :" العلاقات المصرية - السودانية : من منظور شعبى " تكون محاورها ومنطلقاتها وأهدافها مختلفة عن السلسلة الطويلة للندوات السابقة . وأن تركز فقط على المسكوت عنه فى العلاقة . ونحيىّ الأستاذ يوسف الشريف ونبادله الحب والودّ بل وأكثر.



مستقبل الديمقراطية فى مصر بين مسئولية الحكم ومسئولية المعارضة

أمينة النقاش

المشكلة التى تفجرت فى حزب«الأحرار» مؤخرا، وانتهت باقالة رئيس تحرير صحيفته من موقعه بعد عامين من تولى رئاسة تحريرها، وتحويلها من صحيفة أسبوعية إلى صحيفة يومية، تسلط الأضواء من جديد على القيود التى تحكم الحياة الحزبية فى مصر، كما أنها تمنح المتشككين فى احتمالات التغيير عبر الطريق السلمى الديمقراطى أسلحة جديدة فضلا عن أنها تحيط مستقبل الديمقراطية فى مصر بأجواء غير محكومة النتائج بطبيعة الحال، خاصة ولم يعد سرا أن خلافات طاحنة تسود بقية أحزاب المعارضة الرئيسية الأخرى سواء كانت الوفد أو العمل أو الحزب الناصرى أو حتى حزب التجمع وإن تباينت أشكال التعبير عن تلكم الاختلافات من حزب إلى آخر. هذا بالاضافة إلى الأزمة التى يعانى منها الحزب الوطنى الحاكم، التى تتمثل فى ضعفه وعجزه عن المنافسة ،واندفاعه للتغلب على هذين العيبين، إلى الاستعانة بقوة جهاز الدولة للبقاء فى الحكم و الانفراد به، بالاضافة إلى سن مجموعة من التشريعات والأعراف والتقاليد التى تسمح له بالصعود إلى السلطة، سواء بتزوير الانتخابات ، أو بتمديد حالة الطوارئ، أو بقصر الخدمات التى تقدمها الدولة على عضويته التى تتسم بالطابع النفعى!.

معارض .. وحكومى.. معا

وتبرز الدوافع المعلنة التى استند إليها طرفا الصراع الأخير فى حزب الأحرار ، جانبا من أزمة الحياة الحزبية المصرية، ومأزقها فرئيس الحزب **مصطفى كامل مراد**.. اكتشف فجأة، أن رئيس تحرير صحيفة الحزب الذى أمضى فى موقعه حوالى عامين ، لا يلتزم بسياسته ولا يعبر عنها، مع أنه هو نفسه الذى أصدر قرارا قبل عدة أشهر بتعيينه وكيلا للحزب . كما أكتشف رئيس التحرير **مصطفى بكرى** أن رئيس الحزب يغازل الاخوان المسلمين، وينوى التحالف معهم، مع أن الصحيفة فى ظل رئاسته ، كانت منبرا من منابر الدفاع عن الاخوان المسلمين والتنديد بخصومهم، ووصفهم بالعلمانيين الملاحدة ولقد تطور الصراع بين الطرفين، إلى الحد الذى أدى إلى صدور صحيفتين باسم واحد لحزب واحد علي امتداد أربعة أيام ، تبادل فيها الطرفان السباب والاتهامات، كما أستولى رئيس التحرير المخلوع وأنصاره على مقر الصحيفة، وعقد به وبهم مؤتمرا للحزب أقال فيه **مصطفى كامل مراد** ،وعين نفسه رئيسا للحزب.

ومن الظواهر الملفتة للنظر، **أن الطرفين لم يتحرجا من الاستعانة بأجهزة الدولة وأجهزة الأمن** للتمكن من الانتصار على الطرف الآخر والتغلب عليه،وكسب الجولة لصالحه.

وكانت الأزمة بين رئيس التحرير ورئيس الحزب ، قد تفجرت بعد نشر صحيفة «الاحرار» بعناوين بارزة فى صفحتها الأولى، موضوعا ينسب للسيدة **جيهان السادات** ابنا غير شرعى من شاب غير متزوج ،فى سياق تحقيق ينبه إلى سهولة تزوير الوثائق الرسمية واستخراجها ،وهو ما دفع أسرة السادات إلى الاحتجاج بعنف على الترخص فى الزج باسم السيدة «**جيهان السادات**» فى هذا الموضوع.

وتؤكد مصادر صحفية عليمة أن نشر هذا التحقيق، قد أثار استياء جهات عليا فى الحكم،وأعتبرته تأكيدا للروح غير المسئولة التى تنشر بها «الأحرار» بعض موضوعاتها فى الفترة الأخيرة. ولوحت هيئات حكومية بفتح ملفات قيادات الحزب التى أكدت، أن بها ما يدعو للمساءلة القانونية، اذا لم تنته معالجة هذا الخطأ المهنى والسياسى ، بتغيير فى رئاسة تحرير الصحيفة ،وهو ما تم بالفعل!.

وما حدث فى «حزب الأحرار» لم يكن الأول من نوعه، ولن يكون الأخير. فالأحرار نشأ كأحد المنابر الرئيسية الثلاثة داخل الاتحاد الاشتراكى العربى- التنظيم الأوحد للسلطة-التى أعاد بها الرئيس الراحل «أنور السادات» تجربة التعدد الحزبى، فى مارس عام ١٩٧٦ ، بعد نحو ربع قرن من توقفها

ومنعها. فشغل موقع منبر اليمين تحت اسم «**الاحرار الاشتراكيين**»جنبا إلى جنب مع منبر «**اليسار**» الذي شغله تنظيم «**التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى**» ومنبر «**الوسط**» الذى شغله تنظيم «**مصر العربى الاشتراكى**» الحاكم الذى حل عام ١٩٧٨ ،وتحول إلى «**الحزب الوطنى الديمقراطى**».وفى شتاء عام ١٩٧٧، أصدر حزب الأحرار الاشتراكيين، أول صحيفة أسبوعية معارضة هي «**الأحرار**»-بعد أن تحولت المنابر إلي أحزاب- التى أسسها «**صلاح قبضايا**وكان أول رئيس لتحريرها ، قبل أن تتم إقالته بنفس الطريقة التى أقيل بها «مصطفى بكرى» ، بسبب التحقيقات الصحيفة،،وتحولت بعد ذلك إلى عدد من أشهر الاستجوابات فى مجلس الشعب، مما أدى إلى ضغط حكومى، أنذر فيه حزب الأحرار، بأن بقاء «**صلاح قبضايا**» فى موقعه، سيؤدى إلى إساءة العلاقة بين الحكومة وبين الحزب الذى كان رئيسه «**مصطفى كامل مراد**» زعيما للمعارضة حيث كان للحزب أكثر من ثلاثين نائبا فى مجلس الشعب آنذاك. وخلف صلاح قبضايا فى رئاسة التحرير«**محمد الغلبان**» ثم «**وحيد غازى**».

ابتزاز مستمر

ويشهد تاريخ حزب «الأحرار» على أن القاعدة الثابتة للتحركات السياسية له، هى ابتزاز الحكومة والسعى للحصول على مزيد من الاعتراف الحكومى به. واخذ ابتزاز حزب الاحرار للحكومة اشكالا متنوعة،كان من بينها تعيين رئيس تحرير مستقل لصحيفة الاحرار هو «**محمود عوض**»،الذى فتح ابواب الصحيفة لعدد من الناصريين مما أحدث انزعاجا واضحا في صفوف الحزب للتناقض الذى بدا لافتا للنظر بين ما تكتبه صحيفة الحزب وبين برنامج الحزب الذى لا يرى أي تناقض بينه وبين الحكومة، فهو يدعو إلى الاقتصاد الحر، ويدعم سياسة الانفتاح الاقتصادى ، ويطالب بتقليص دور القطاع العام في الاقتصاد المصرى ، ويرفض أى تدخل من أى نوع للدولة في المسار الاقتصادى، ويؤيد اتفاقيات الصلح المنفرد مع اسرائيل. وحين فشلت سياسة الابتزاز بالورقة الناصرية «في الحصول على أى مكاسب من الحكومة، أقالت قيادة حزب «الأحرار» بعد ثلاثة أشهر «محمود عوض» من موقعه كرئيس للتحرير ، وأشهرت فى وجه الحكومة ورقة ابتزاز جديدة هى«الجماعات الدينية» حين فاوضت المرحوم الشيخ **صلاح أبو اسماعيل**بعد أن ترك حزب الوفد للانضمام إلى«الأحرار» وتعيينه نائبا لرئيس الحزب. ووافق «**صلاح أبو اسماعيل**» بعد أن استجاب الحزب لشروطه، **بحذف كلمة «اشتراكيين»** من **اسمه** الذى عرف به، وسحب موافقته السابقة على اتفاقيات كامب ديفيد بعد أن كان **مصطفى كامل مراد** هو رئيس الحزب المعارض الوحيد الذى انفرد بمصاحبة الرئيس السادات فى زيارته إلى القدس فى نوفمبر عام ١٩٧٧ ، كما تم تعيين رئيس تحرير اسلامي لجريدة الاحرار هو «**محمد عامر**» . غير أن هذه الصفقة لم تدم طويلا ، وبعد مرور ستة أشهر على إتهامها، انسحب الشيخ «**صلاح ابو اسماعيل**» من حزب الاحرار احتجاجا على قرار رئيس الحزب بقبول التعيين فى مجلس الشورى ، بعد أن كان قد وافق قبل صدور قرار تعيينه مباشرة مع أحزاب المعارضة الأخرى على مقاطعة انتخابات مجلس الشورى. وبتعيينه عضوا بمجلس الشورى، حصل **مصطفى كامل مراد** على الحصانة البرلمانية ، التى تسمح له بعرقلة تحريك سير التحقيقات التى نسبت إليه ارتكاب مخالفات جسيمة أثناء رئاسته لإحدى شركات القطاع العام. ولم يلبث أن أقال «**محمد عامر**» ومنحه ترخيصا باصدار جريدة أسبوعية أخرى هى«**الحقيقة**» ثم أعاد «**وحيد غازى**» رئيسا للتحرير ، إلي أن أقاله قبل عامين ليعين «**مصطفى بكرى**» بديلا له، ويتحول اصدار «الأحرار» من صحيفة أسبوعية، إلى صحيفة يومية.

وكان من الاجراءات اللافتة للنظر استقالة وحيد غازى من عضوية الحزب، بسبب ما اسماه التغير المفاجئ فى توجهاته ، حيث انتقل من حزب ليبرالي، إلى حزب ينطق باسم الناصريين والاصوليين عبر صحيفة التى أصبحت يومية ،وهو ما دفعه إلى التقدم بطلب لتأسيس حزب جديد باسم الحزب الدستورى ليرفع راية الليبرالية الحقة- كما يقول- التى تخلى عنها حزب الاحرار، ليصبح تجميعا لتيارات مختلفة ، كل همه السعى لإحداث توازن فيما بينها.

وإستنادا إلى القاعدة الثانية التى أقام بها حزب الأحرار تحالفاته ،والقائمة على ابتزاز الحكم أولا وأخيرا، فلم يكن مبعث دهشة للدوائر الحزبية الطريقة المباغتة التى أقال بها الحزب«**مصطفى بكرى**»من رئاسة تحرير صحيفته واسندها إلي «**صلاح قبضايا**» مرة أخرى، فالحزب انفرد بين أحزاب المعارضة ، باستخدام الحق الممنوح لها فى اصدار ما تشاء من الصحف والمجلات ليحصل على ترخيص باصدار ١٦ صحيفة ومجلة، بعضها للحفاظ على التوزانات،وبعضها لزوم «الابتزاز السياسى» وبعضها لاحتياجات التمويل والمثال الصارخ على ذلك هو منح «الاخوان المسلمين» حق اصدار صحيفة اسبوعية هى«**الاسرة العربية**» لعدة أسابيع إلى أن نجحت الضغوط الحكومية مرة أخرى فى إجبار الحزب على وقفها!.

والاحزاب الأخرى

من الظلم أن يتحمل حزب« الاحرار» وحده المسئولية عن حالة التشوه فى تحالفاته وأفكاره وبرامجه ، فالعشوائية التنظيمية هى سمة أساسية ملازمة لنشأة الاحزاب القائمة.وبعد عشرين عاما من وجودها لم يعد سرا أن جميع **تلك الاحزاب تعانى من انحسار فى عضويتها وفى نفوذها السياسى،ومن خلافات طاحنة، أدت** فى بعضها إلى انشقاقات سافرة، كما حدث فى «**حزب العمل**» قبل سنوات وكما يحدث الآن فى «**الحزب الناصرى**» ،وكما ينتظر أن يحدث عندما تحسم خلافة رئاسة حزب الوفد ، بين الجناحين المتصارعين حولها فى المستقبل.

كما أن **حزب التجمع** الذى يبدو أنه أكثر تلك الأحزاب تماسكا، لم ينج من هذا المصير، فهجرته كوادر حزبية نشطة إما يأسا أو سعيا لمغالبة الظروف الاقتصادية القاهرة ، كما عطلت قيادات تاريخية من مؤسسيه نشاطها فى بعض المستويات القيادية ، لأسباب بعضها سياسى والبعض الآخر تنظيمى، واكتفت بالتواجد الرمزى الذى يحفظ علاقاتها الشخصية بالقيادة دون أن يقودها ذلك إلى انشقاق سافر.

المرض الرئيسى

ولا جدال فى أن معظم المشاكل الموجودة داخل احزاب المعارضة ،هى كلها أعراض لمرض رئيسى، هو **القيود المفروضة على حق إنشاء الاحزاب وحق اصدار الصحف** التى تحكمت فى تشكيل الأحزاب وأدت إلى وجود أحزاب لها جماهير واضحة وأفكار مميزة وليس لها وجود على الخريطة السياسية ، بينما تشغل أحزاب بلا جماهير ولا قيادات ولا أفكار حيزا على تلك الساحة. كما أدت القيود المفروضة على نشأة الاحزاب وحق اصدار الصحف إلى منع تيارات

رئيسية **كالشيوعيين والاخوان المسلمين** من حق التنظيم المستقل، مما دفعهم للبحث عن مظلة شرعية للنشاط وسط الاحزاب القائمة وهو ما أوجد داخلها بذورا دائمة للتنافر والتناحر والشقاق كما أدى هذا التحكم القسرى فى تشكيل الاحزاب ،إلى اضطرار بعض هذه التيارات إلى الدخول فى تحالف حزبى أو انتخابى ، مؤقت، كان هو أحد الأسباب الرئيسية للصراعات الحادة التى نشبت داخل الاحزاب القائمة ،والتى يمكن أن تتخفف من وظائفها، اذا ما أطلقت حرية تشكيل الاحزاب ورفعت القيود المفروضة على حق إصدار الصحف ، ليصبح لكل تيار حزبه الواضح البرامج والسياسات وصحفه المحددة الملامح.

لكن يبدو أن الفكرة التى دعت الرئيس **السادات** الى الأخذ بفكرة التعددية الحزبية المقيدة ،هى نفسها التى تأخذ بها الادارة المصرية منذ تولى**الرئيس مبارك السلطة** قبل ١٥ عاما،وهى تقوم على **طمأنه الغرب والولايات المتحدة الأمريكية والدول المانحة للقروض والمعونات ، أن أموالها التى ستستثمر فى مصر أو التى تم استدانتها لن تخضع أبدا للمصادرة أو التأميم بعد فتح السوق المصرى لسيطرة رأس المال المحلى والأجنبى وتحويل المجتمع المصرى إلى حالة من الفوضى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية!.**

كما أنها تأتى فى سياق الرغبة الحكومية فى تطويق الحركات الجماهيرية المنظمة والمستقلة خارج نطاق هيمنة الدولة وقبضتها، وهو ما يفسر سلسة القوانين الاستثنائية التى تصدر واحدا تلو الأخر لا لتقييد النشاط الحزبى ومحاصرته فحسب، بل لتطويق النشاط النقابى العمالى والمهنى والنشاط الأهلى بمجمله ، بما يحول بينها وبين العمل المنظم المستقل.

كما أن ضعف أحزاب المعارضة وانقسامها وانحسار تأثيرها وتشوشها هو عرض آخر لضعف الحزب الوطنى الحاكم، الذى يشكل عقبة رئيسية فى مسيرة التعددية الحزبية وفى طريق التطور السلمى الديمقراطى فى مصر.

فالحزب الوطنى هو امتداد مشوه من حيث التكوين والحركة للتنظيم السياسى الواحد قبل بدء التجربة التعددية، **دون الاحتفاظ بفضائله من العداء للاستعمار والصهيونية إلى إقامة موازنة اجتماعية لتضييق الهوة الآخذة فى الاتساع بين من يملكون ومن لايملكون.** كما أن الحزب يستمد نفوذه من ترسيخ الطابع الحكومى له، فرئاسته موكولة لرئيس الجمهورية ، كما أن ميزانية الدولة تتداخل مع ميزانيته ، بدءا من منح قياداته فى المدن والقرى امتيازات خدمية بسبب عضويتهم به وانتهاء باستيلائه على أجهزة الاعلام القومية المقروءة والمرئية والمسموعة.

وكان من الطبيعى وقد سن الحزب الوطنى قوانين تتيح له أغلبية لا يستحقها داخل البرلمان ينحصر نشاطهم على تبرير سياسات الحكومة ، والا يكون له أى فكر سياسى واضح، وأن تطمس داخله كل المعالم، وأن تفتقد تقاليده إلى قضية الاخلاص الحزبى، بعد أن تم تشكيله على أساس أنه تجميع لأصحاب المصالح الفردية ، المؤهلين بحكم مصالحهم وانتمائهم الاجتماعى للدفاع عن سياسات الفوضى الاقتصادية السائدة ،وما ترتب عليها من علاقات مصر العربية والدولية ومن تحالفات لا علاقة لها بالمصلحة الوطنية!.

برنامج الاصلاح السياسى

لكن كل هذه الأوضاع ، لا تعفى أحزاب المعارضة من المسئولية عن الأحوال المتدهورة التى وصلت إليها. فقد كان من الظواهر الثابتة فى الحياة السياسية فى السنوات الأخيرة، أن الحزب الوطنى كلما واجه أزمة يصعب عليه منفردا الخروج منها، مديده إلى أحزاب المعارضة واستجابت له! ،والظاهرة الأخرى التى لازمتها، هى أنه حين يكون لأحزاب المعارضة مجموعة من المطالب المشتركة ، يصبح من النادر أن يستمر التنسيق المشترك فيما بينها طويلا، حيث ينشط الحزب الحاكم، فى استصدار اجراءات لأجهاض العمل المشترك لها وسحب البساط من تحت اقدامها ، أو بالوقيعة بين أطرافها، أو بتشجيع الانشقاقات وسط صفوفها، أو بالتلويح بالامتيازات لأعضاء أحزاب المعارضة التى تختلف مع أحزابها،أو بالانفراد ، بالتعامل مع كل حزب على حدة، بما يميز بين أحزاب المعارضة، ويدفعها للمواجهة مع بعضها، ويبذر الشكوك بين أطرافها وداخل صفوفها.

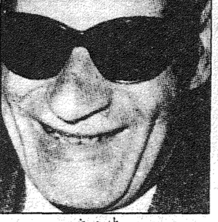
وقبل سنوات شهدت الساحة الحزبية أشكالا متنوعة من التنسيق المشترك بين مختلف القوى السياسية حققت نجاحا ملموسا فى بعض المهام التى أوكلت إليها، وأحيت الآمال فى إمكانيات بناء **جبهة وطنية ديمقراطية** ، تحشد حول عملها المشترك، رأيا عاما قويا، يضغط ويوازن الضغوط التى يمارسها ممثلو الفئات الطفيلية فى الحكم الذين يصرون على الانفراد بالحكم والابقاء على التجربة الديمقراطية فى إطارها الشكلى المحدود، وتهميش دور الجماهير وقواها السياسية وأحزابها ونقاباتها ومنظماتها الجماهيرية.

ولعل أبرز مثال على ذلك هو مؤتمر أحزاب المعارضة المشترك فى ٥ فبراير عام ١٩٨٧ ،الذى أسفر عن موافقتها الجماعية عن برنامج للإصلاح الدستورى والديمقراطى، يتبنى الدعوة إلى انتخاب رئيس الجمهورية ونوابه بالاقتراع العام والحر المباشر بين أكثر من مرشح، وتخلى رئيس الجمهورية ونوابه عن انتمائهم الحزبى، والغاء المادة ٧٤ من الدستور التى يتم بها تزييف الاستفتاءات، والغاء نظام المدعى الاشتراكى، وتقدير مبدأ المسئولية الوزارية أمام المجلس النيابى، وتقرير الحق الكامل له فى تعديل الموازنة العامة للدولة وإشراف السلطة القضائية على الانتخابات العامة فى كافة مراحلها وتغيير قانون مباشرة الحقوق السياسية،وانشاء جداول انتخابات جديدة من واقع السجلات المدنية والاكتفاء ببطاقة اثبات الشخصية أو ما يحل محلها من أوراق رسمية أخرى عند الاقتراع ، وأن يوقع أو يبصم الناخب أمام أسمه عقب التصويت، وأن تكون عقوبة تزوير الانتخابات جنائية، لا تسقط فيها الدعوى بالتقادم، فضلا عن الغاء قانون محاكم أمن الدولة، والقانون ١٢٩ لعام ٥٦ الذى يحرم المواطنين من إقامة الدعوى الجنائية المباشرة على الموظف العام إلا باذن من النيابة العامة، والغاء قانون الاشتباه وإنهاء العمل بحالة الطوارئ ورفع القيود المفروضة على المواطنين فى حق الاجتماع والتظاهر السلمى ومقر المحاكم العسكرية على الجرائم على العسكريين وحدهم وإطلاق حرية تكوين الاحزاب ، ورفع الوصاية عنها ومنع التدخل فى شئونها ،والسماح لكافة الاتجاهات السياسية بالحق فى التنظيم المستقل ورفع القيود المفروضة على حق اصدار الصحف ،واتاحة الفرصة للشباب بممارسة النشاط السياسى داخل دور العلم.

ولكن .. ما أن حل الرئيس البرلمان وقرر إجراء انتخابات جديدة.. حتى تناست الاحزاب هذا البرنامج تماماً!.

وما زال هذا البرنامج صالحا للعمل المشترك بين الاحزاب المعارضة، التى آن لها أن تدرك أنها قد فشلت منفردة فى تجاوز أزمتها،وأن عليهاأن تسعى عبر التنسيق لبعث الثقة فى قدرتها على التعبير عن مشاكل فعلية ،وفى أهليتها على الاستمرار والبقاء. والخطوة الأولى نحو ذلك ، هى اجراء اصلاحات داخلية فى كافة الاحزاب المصرية تقوم على مبدأ الشفافية أولا وأخيرا، وتضمن سيادة روح الديمقراطية فى حل الخلافات الداخلية والقائمة على خضوع الأقلية لرأى الأغلبية، وإعلاء مبدأ الكفاءة لا الولاء فى تقلد المناصب الحزبية.


أحمد لطفى السيد


طه حسين

الجامعات الخاصة وتكافؤ الفرص التعليمية

يعد التعليم الخاص من أبرز مظاهر عدم المساواة أمام فرص التعليم .ففى معظم المجتمعات لا يتناسب المعروض من أماكن الدراسة فى التعليم الرسمى والطلب الاجتماعى على التعليم. ومن ثم يستطيع القادرون ماليا التغلب على تلك المشكلة بأدخال أبنائهم فى التعليم الخاص، والذى يتطلب نفقات مالية لا يقدّر عليها إلا أبناء الفئات الميسورة ،**وأبرز علامات عدم المساواة الناتجة عن وجود التعليم الخاص تتمثل فيما يوفره هذا التعليم من نوعية ممتازة من التعليم فى معظم الحالات**،الأمر الذى يترتب عليه أن ينافس خريجو التعليم الرسمى وخاصة فى أنظمة التعليم التى تتخذ مستوى النجاح فى الامتحانات المدرسية معياراً لمواصلة التعليم فى المستويات الأعلى. ومعنى ذلك أن الفئات الميسورة التى توفر لابنائها تعليما خاصاً حتى مستوى الثانوى، تستأثر بقدر كبير من أماكن التعليم الرسمى على مستوى الجامعة، على حين تحتل الفئات الأخرى عدداً من الأماكن لا يتناسب وثقلها فى التركيب السكانى. **وبتعبير آخر يتعلم أبناء الفئات الميسورة على حساب ما يدفعه أبناء الاخرين من ضرائب للخزانة العامة.**

د. شبل بدران

الجامعة والمجتمع: علاقة جدلية

إن العلاقة بين الجامعة والمجتمع علاقة جدلية فى أساسها، بمعنى أن ما يصيب الجامعة من تدهور قيمى وعلمى وبحثى، هو نتاج طبيعى لما يفرزه المجتمع من سلبيات على الجامعة ودورها كمؤسسة اجتماعية تلعب دوراً وطنياً وطليعياً فى بلدان العالم الثالث، وكذلك يناط بها مهام ثورية محورية فى مواجهة قضايا مجتمعية عديدة منها: العدل الاجتماعى والحريات العامة والديمقراطية ، وشيوع المناخ الملائم لتطور وتقدم المجتمع بما يحقق مصالح الغالبية العظمى من المواطنين.

لذلك كانت نشأة أول جامعة فى مصر(**الجامعة الأهلية ١٩٠٨**) نشأة وطنية فى الأساس ،وفى ظل صعود البرجوازية المصرية،والحركة الوطنية التى وضعت أمامها هدفاً أساسياً، تكرس فى الاستقلال السياسى عن القوى الاجنبية والاستعمارية،والاحتلال البريطانى خصوصا، والدفاع عن الثقافة الوطنية فى مواجهة طغيان الثقافة الانجليزية والفرنسية. والدليل على ذلك المعارك الوطنية التى خاضتها **الجامعة المصرية- بعد دمجها فى الجامعة الحكومية -(عام ١٩٢٥)** متمثلة فى **معارك طه حسين ومصطفى عبد الرازق** فى الثلاثينيات، ومعارك **أحمد أمين** عميد كلية الآداب، واستقالته احتجاجا على نقل بعض الأساتذة. ولقد لعبت الجامعة المصرية دوراً كبيراً فى الصراع السياسى والاجتماعى الذى شهدته البلاد فى الثلاثينيات والاربعينيات، بل أن **تكوين الجماعات الوطنية- اللجنة الوطنية للعمال والطلبة- تم داخل أسوار الجامعة.**

ولقد غاب هذا الدور الوطنى والسياسى بعد تأميم دور النقابات المهنية والجامعات والمنظمات بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وللآن، وللدرجة التى بارك فيها رؤساء بعض الجامعات وأصحاب الرأى نقل ٦٤ أستاذا من الجامعة إلى وظائف خارجها عام ١٩٨١ ، مما دعم دور السلطة السياسية فى احتواء وقمع الحريات العامة والحريات الاكاديمية بوجه خاص.

ولاشك أنه فى ظل ظروف المجتمع المصرى الحالية، والذى يعانى من التبعية بكافة أشكالها للغرب الرأسمالى، والتخلف المعرفى والاقتصادى، ومن سوء أحوال معيشة الغالبية العظمى من أبناء الشعب،

عماله وفلاحيه ومثقفيه، ومن النشاط الطفيلى الواسع الذى تكون ثماره على حساب الغالبية الساحقة من أبناء الوطن، **لا تستقيم الدعوة بانشاء جامعة أهلية للفاشلين علمياً والميسورين ماليا**.لان الشواهد المجتمعية تؤكد إخفاق خطط التنمية فى استيعاب الخريجين الجدد، وزيادة معدل البطالة والذى بلغ حوالى ٢٠٪ بما يعادل ٣ مليون عاطل، وتدهور العملية التعليمية فى التعليم الجامعى الحالى. ومن هنا فان **استقامة الدعوة يكون بتوجيه الجهود نحو تطوير وتدعيم التعليم الجامعى الرسمى وحث رأس المال الخاص على تقديم الدعم المادى لعملية التطوير.**

تطور فكرة الجامعة الاهلية

على الرغم من أن التعليم الجامعى فى مصر يمكن رده إلى ألف سنة مضت منذبدأت الدراسة فى الجامع الازهر، إلا أن ما اصطلحنا على تسميته بالتعليم الجامعى لا ترتبط خيوطه ارتباطا وثيقا بالماضى، لا من حيث مواد الدراسة، ولا من حيث منهج التدريس، ولا من حيث الاهداف والغايات المنشودة من التعليم الجامعى، وذلك لاختلاف الزمان وتطور الواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للمجتمع المصرى.

ففى يوم **١٢ أكتوبر ١٩٠٦** اجتمعت نخبة من أهل الرأى والفكر والوطنية معتزمة إنشاء جامعة أهلية، وكان القائم عندئذ من التعليم العالى مدارس تتبع وزارة المعارف، ولم يمض عام منذ ذلك التاريخ حتى افتتحت الجامعة الأهلية، وأرسلت البعوث العلمية إلى أوروبا ليعود أعضاؤها فيضطلعوا بالتدريس فيها، كما دعت نفرا من أساتذة الجامعات الأوروبية فنظموا مع طائفة من الأساتذة المصريين دراسات فى التاريخ والادب العربى والفلسفة والاقتصاد.

وفى عام **١٩١٧** فكرت الحكومة المصرية فى إنشاء جامعة على أن تضم المدارس العالية القائمة وتتنذ إلى إدارة واحدة تكون هى الجامعة، **وفى عام ١٩٢٣ تم الاتفاق بين الحكومة والجامعة الأهلية، على إدماج الجامعة الاهلية فى الجامعة الجديدة**،على أن تكون الجامعة القديمة نواة لكلية الاداب،وفى ١١ مارس ١٩٢٥ صدر مرسوم بقانون بانشاء الجامعة الحكومية باسم «**الجامعة المصرية**» مكونة من كليات أربع هى:كلية الاداب . كلية العلوم. كلية الطب. كلية الحقوق. وبعد عشر سنوات فى عام ١٩٣٥ أدمجت فى الجامعة مدرسة الهندسة ومدرسة الزراعة العليا، ومدرسة التجارة العليا ، ومدرسة الطب البيطرى وحل اسم «كلية» محل اسم «مدرسة» بالنسبة إليها جميعا.

ولعل إنشاء الجامعة الأهلية، كان يرتبط أشد الارتباط بحركة القوى الوطنية والسياسية التى كانت سائدة فى المجتمع المصرى منذأواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وكان على رأسها نفر غير قليل من المناضلين السياسيين الذين تبنوا القضية الوطنية فى مواجهة القوى الاستعمارية من أمثال**مصطفى كامل، وعبد الله النديم، ومحمد عبده، ومحمد فريد وقاسم أمين** ، وغيرهم ، من الوطنيين المصريين الذين حاولوا الدفاع عن الثقافة الوطنية والهوية المصرية فى مواجهة طغيان التواجد الانجليزى والفرنسى ثقافيا وسياسيا وعسكريا فى مصر.

ومن هنا نستطيع القول **بأن الجامعة الأهلية في مطلع القرن العشرين نشأت نشأة وطنية فى ظل صعود البرجوازية المصرية والحركة الوطنية التى وضعت أمامها هدفاً أساسياً تمثل فى الاستقلال السياسى عن القوى الاجنبية والاحتلال البريطانى خصوصا. والدليل على ذلك المعارك الوطنية التى خاضتها الجامعة المصرية متمثلة فى معارك طه حسين عميد كلية الاداب فى الثلاثينيات مع رئيس الوزراء اسماعيل صدقى، وأستقالة أحمد أمين عميد كلية الاداب احتجاجا على نقل بعض الأساتذة. ولقد لعبت الجامعة المصرية دورا مبرزا فى الصراع السياسى والاجتماعى فى المجتمع المصرى منذ نشأتها على أيدى الوطنيين المصريين، الذين ما فتئوا يدافعون عن حق الأغلبية الفقيرة والمحرومة من التعليم الجامعى وظل هذا هدفا رئيسيا للجامعة حتى مطلع الخمسينيات.**

وخلال النصف الأول من القرن العشرين لم يطرح أحد فكرة إنشاء جامعة خاصة بمصروفات، إلا فى نهاية عقد الخمسينات، منذ ذلك الوقت، تعرضت الفكرة للظهور والاختفاء عدة مرات، الأمر الذى كان مرتبطا بالنقد من قبل الساسة وأساتذة الجامعات والباحثين والخبراء فى مجال التعليم. على أن الملاحظ أن مشروع الجامعة لم يكن محل نقد فى نهاية الخمسينات وذلك لوقوف السلطة السياسية التى كانت تمثل الطبقة المتوسطة خلفه، وللحاجة الحقيقية للفنيين من ذوى التخصصات النادرة التى لا تخرجهم الجامعات المجانية وقتئذ.وعلى أية حال، فقد توقف المشروع حيث واجه عقبات كثيرة أهمها التمويل، لكن تبقى قوانين يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١ من أهم العوامل التى ساعدت علي انزوائه إذ أن هذه القوانين رفعت مبادئ العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص التى انعكست بشكل حقيقى على طلبة الجامعة.

ومنذ مطلع السبعينيات وتحديداً ، بعد استقرار سياسة الانفتاح الاقتصادى وتخلق شرائح وفئات اجتماعية جديدة ارتبطت مصالحها بتلك السياسة ، وفكرة إنشاء جامعة أهلية (خاصة) بمصروفات تراود الرأسمالية المصرية، محاولة ايجاد قناة تعليمية توفر لابنائها- الفاشلين دراسيا- فرصا للالتحاق بالتعليم الجامعى لتولى المناصب العليا، وإدارة شئون المجتمع، ومنذ ذلك التاريخ والفكرة يعلو ضجيجها حينا، وتقاوم شعبيا، ثم يخفت الضجيج، لكن سرعان ما تعاود الكرة مرة أخرى.

ولكن الجدل استمر من قبل المعارضين بسبب المخالفة الدستورية والأيديولوجية والمؤيدين الذين يحاولون الاستناد للدستور لدعم حجتهم بأن التعليم مجانى فقط فى المؤسسات التعليمية التى تشرف عليها الدولة. أما بالنسبة لموقف مؤسسات الدولة فقد اتسم بالتخبط البين وهو ما يتضح من موقف مجلس الشعب ووزارة التربية والتعليم ورئاسة الحكومة. إضافة لعدم حسمه داخل المجالس القومية المتخصصة. ورغم أن الجدل قد توقف نسبيا لعدة أعوام بسبب موقف الرئيس الراحل السادات فى عام ١٩٨٠ الداعى لإرجاء اتخاذ قرار بشأن هذا الموضوع، إلا أنه عاد مرة أخرى منذ منتصف الثمانينيات وذلك عندما **طرحت وزارة التعليم العالى عام ١٩٨٦ فكرة اقامة جامعة تكنولوجية**،وعندما وافق المجلس الأعلى للجامعات فى عام ١٩٨٨- بعد إقرار استراتيجية تطوير التعليم فى

الجامعات الخاصة وتكافؤ الفرص

مصر، فى يوليو ١٩٨٧ على إقامة جامعة أهلية وكانت آخر المواقف فى هذا الشأن موافقة وزير التربية والتعليم، فى أغسطس ١٩٨٩ على اقتراح تقدمت به جمعية «أقرأ؟!» لإنشاء جامعة للعلوم التكنولوجية.

والشئ الأكيد أن سياسة التعليم الحالية والواردة «**باستراتيجية تطوير التعليم**» والتى طرحت فى يوليو ١٩٨٧ عازمة على المضى بخطوات أكيدة فى إنشاء تلك الجامعة وذلك استكمالا للمشروع التبعى الذى تدور فى فلكه مصر منذ مطلع السبعينيات، **وهو التزاوج بين رأس المال المصرى والأجنبى ورفع الدعم عن التعليم، كما تم رفعه عن السلع الضرورية للمواطن المصرى، والتعامل مع التعليم بوصفه سلعة فى السوق يشتريها من يستطيع أن يدفع ثمنها**.والجديد فى الموقف الراهن هو تقديم حجج واهية للدفاع عن تلك الجامعة، وهو فى حقيقته دفاع للفكر التبعى المتبنى للمشروع التبعى فى مواجهة الفكر الوطنى الذى ما زال يؤمن بأن التعليم حق للمواطن ولاسيما الفقراء والكادحين، وأن الدولة التى تشرف عليه وتنفق عليه لابد أن توفره لانها هى المستهلك الوحيد للخريجين فى سوق عملها.

الجامعة الأهلية والفكر التبعى

يواجه التعليم الجامعى فى مصر مثله مثل كثير من بلدان العالم الثالث على تعدد مستوياتها الاقتصادية، مشاكل ومطالب متعددة ومختلفة، لعل من أبرزها ما يطلق عليه بظاهرة الأعداد الكبيرة والراغبة فى التعليم الجامعى.. ومع الزيادة فى أعداد الطلاب الراغبين فى التعليم الجامعى وقلة الأماكن المتاحة والمحددة، مهما زادت ، أمام الرغبات المتزايدة، فان الاتجاهات فى مصر تتضارب من أجل البحث عن حل فى فترة من التاريخ أبرز ما فيها الازمة الاقتصادية والتبعية بكافة أشكالها للنظام الرأسمالى العالمى. والديون وتبعاتها ، وترتفع أصوات من يرون الحل فى ضرورة إنشاء جامعة أهلية- خاصة- تستوعب أبناء القادرين الراغبين ليتركوا أماكنهم لغيرهم فى الجامعات التابعة للمجلس الأعلى للجامعات، ومنهم من يرون إعادة النظر فى مجانية التعليم- وترشيده-والتى سمحت للكثيرين من الفقراء بالتطلع لهذا التعليم العالى. وهناك من يشهرون سلاحهم من زاوية أخرى حيث يطالبون بالربط بين التعليم واحتياجات سوق العمل، وبهذا يتم تقليل الاعداد الملتحقة بالتعليم العالى، ولاشك أن كل تلك الرؤى تعبر بجلاء عن الإطار الفكرى والأيديولوجى لأصحابها،وهى تنتسب إلى منظومة الفكر التبعى والمشروع التبعى برمته والذى طرح فى مصر بشدة منذ مطلع السبعينيات.

قوى التأييد

تستند تلك القوى الاجتماعية فى تأييدها لإنشاء جامعة أهلية بمصروفات إلى حجج أهمها:

- أن هناك العديد من الطلاب يسافرون إلى خارج الوطن لمواصلة التعليم الجامعى والعالى.. وينفقون الكثير من الأموال والدولارات فى سبيل ذلك، وأن توفير تلك المبالغ سيعود على الوطن بالخير الوفير؟.

- أن التعليم فى مصر الآن، لم يعد مجانيا ، ولكنه أصبح بمصروفات طائلة على رأسها الدروس الخصوصية والمصروفات المدرسية.. إلخ.

-أن هناك الجامعة الأمريكية والمدارس الخاصة والأجنبية فى مراحل التعليم قبل الجامعى، ومن هنا فما الضرر من مد الخط على استقامته ومواصلة تلك الأشكال والصيغ فى التعليم الجامعى والعالى.

- أن مصر الان تدعو وتنتهج طريق الخصخصة وتحرير الاقتصاد، فلماذا لا يحرر التعليم والثقافة أولا ، حتى تكتمل حلقات الدائرة فى الخصخصة المجتمعية؟.

ومما سبق يتضح أن مبررات الإنشاء لا تستند إلى أى مبرر تربوى أو تعليمى أو فنى ولكن المبرر الوحيد هو مبرر فئوى، أى أن هناك جماعات أو فئات، ترى أنها طالما تملك الثروة بكافة أشكالها، فلا يجب أن يحول عائق فنى أو تربوى دون تعليم أبنائها- تعليما جامعيا، طالما أنها تملك القدرة المالية، بغض النظر عن تكافؤ الفرص أو ديمقراطية التعليم.. ومن هنا فبدلا من الدعوة إلى ترسيخ المساواة والعدل، يتم الشروع فى الدعوة إلى التفاوت وتكريس كل ما هو سلبى وضد مصالح الغالبية العظمى من البشر.

قوى الرفض

تنطلق تلك القوى فى رفضها لإنشاء جامعة أهلية بمصروفات من منطلقات علي رأسها أن التعليم الخاص بكافة صوره وأشكاله ومستوياته، يقوض تكافؤ الفرص ويكرس التفاوت الاجتماعى والثقافى داخل بنية المجتمع، وإن التعليم حق للراغبين فيه والقادرين عليه معرفيا وبدون عوائق مادية أو جغرافية أو عرقية.. ويسوقون مبررات عديدة لذلك أهمها.

- أن التعليم بنص الدستور (المادة ٢٠) مجانى وتشرف عليه الدولة فى كافة مراحله. وإن ذلك يعد صمام أمان اجتماعى وسياسى، وعاملاً هاماً من عوامل تضييق الفوارق الاجتماعية والطبقية بين أبناء الوطن الواحد.

ان بمصر اربع عشرة جامعة، بها العديد من الكليات فى كافة التخصصات العلمية والفنية، إلى جانب المئات من المعاهد العليا الفنية بكافة تخصصاتها. وليس المجتمع فى حاجة إلى جامعات جديدة أو كليات جديدة، بقدر ما هو فى حاجة إلى دعم وتطوير ما هو قائم فعلا.

-ان التعليم العالى والجامعى فى مصر يعانى من مشكلات جمة فى التمويل والإنفاق والتجهيزات وضيق الأماكن. بل ندرتها سواء للطلاب أو لأعضاء هيئة التدريس والذين يعانون ظروفا معيشية قاسية، والاجدر بالدولة ورأس المال الخاص الذى يستفيد من مخرجات التعليم العالى والجامعى، أن يدعم ويوفر المال اللازم لتحسين أداء العملية التعليمية فى الجامعات المصرية. وإن كان هناك أهل خير يريدون دعم التعليم العالى والجامعى فان الفائدة ستعود على المجتمع بكافة فئاته وطبقاته الاجتماعية.

-**إن نسب البطالة ارتفعت بشكل مخيف وفى تخصصات يندر أن توجد فى مجتمع نام مثل الزراعة والهندسة والتجارة وغيرها.. وبلغت أرقاما مفزعة ما بين ٢٠-٢٥٪** وبما يعادل ثلاثة ملايين عاطل من بين المتخرجين فى الجامعات. حسب إحصائيات عام ١٩٨٦، وإذا سارت معدلات البطالة على ما هى عليه، فانها- أى البطالة- بين حملة المؤهلات فى مصر ستؤدى

إلى كارثة اقتصادية واجتماعية حيث سيصل عددهم عام ٢٠٠٠ إلى نحو ٤ مليون متعطل، وهو رقم تفاؤلى يؤكد البعض أنه قد يصل إلى الضعف.

فأعلى معدل للبطالة يقع فى الفئة العمرية ما بين ١٥- ٢٩ سنة، وتبلغ نسبتهم ٢٦٪ ومعنى هذا أن ربع شباب وشابات مصر القادرين على العمل والراغبين فيه لا يجدونه، وتلك مصيبة . وكذلك ارتبط مستوى التعليم فى مصر بمستوى البطالة بطريقة مخالفة للمنطق فزيادة درجة التعليم تؤدى إلى زيادة احتمال التعرض للبطالة. والإحصائيات لعام ١٩٨٦ تؤكد أن نسبة البطالة بين الأميين ٤٪ والملمين بالقراءة والكتابة ٥ر٤٪ وترتفع بين حملة المؤهلات أقل من المتوسطة- الاعدادية- مثلا إلى ٢ر١١٪ ، وترتفع للغاية بين حملة المؤهلات المتوسطة وأقل من الجامعية ٧ر٢٨٪ وبين المؤهلات الجامعية والأعلى إلى ٢ر٢٥٪ . وهذا أمر مفزع فالمفروض أن الشخص يجتهد فى تحصيل العلم لكى يجد فى النهاية فرصة عمل، لا العكس، والسؤال :**هل نحن فى حاجة إلى جامعة جديدة بمصروفات تكرس البطالة وتفاقمها؟! أليس فى هذا تغليب للمصلحة الخاصة على المصلحة العامة، والمفروض فى التعليم أن يحقق التوازن بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة؟!.**

إذا كان أعضاء هيئة الدريس بالجامعات المصرية يعانون من سوء الأحوال وتدنى مستوى المعيشة . فهل ستكون الجامعة الأهلية حلما أمامهم وبديلا عن السفر والإعارة؟ ونزفا للإمكانات البشرية المتوفرة بالجامعات الحكومية والتى أنفقت الدولة على تعليمها وتدريبها الكثير من الأموال. لصالح الجامعة الأهلية المزعومة. والسؤال :**من أين سيأتون بأعضاء هيئة التدريس؟** هل بالاستقدام من الخارج؟ وذلك مكلف ماليا ومرهق ثقافيا وقيميا واجتماعيا.. هل بالاعارة من جامعات الدولة؟ وذلك سيكون على حساب جامعاتنا التى تعانى مشكلات جمة باعتراف الكثيرين..؟ لا شك أن ذلك سيكون على حساب جامعاتنا وتفريغها من أفضل العناصر واكفأها لأن سطوة المال هى التى ستحكم الأمر فى النهاية، إن إعداد كادر أعضاء هيئة التدريس يستغرق ما بين ١٥- ٢٠ عاما على أقل تقدير- ولذلك فان الخروج من ذلك المأزق سيكون تعميق التدنى وتكريس مشكلات الجامعة المصرية.

تظل مشكلة التمويل رئيسية أمام إنشاء تلك الجامعة، فما تم الإعلان عنه للآن من تبرعات لا يتجاوز **٢٥ مليون جنيه، وإنشاء جامعة علمية ذات تخصصات فريدة وحديثة، كما يدعون تحتاج ما لا يقل عن خمسة أو عشرة مليارات من الجنيهات للإنشاء والتجهيز فى المبانى والمعامل وغيرها. والسؤال:** هل ستدعم الدولة ذلك ماديا؟ أم معنويا كما هو حادث الآن؟ فتبنى وزير الاسكان المشروع وحديث وزير التعليم والقيادة السياسية يعد دعما معنويا لذلك الأمر ويعد إطاراً للمشروعية المجتمعية.. لأن الحديث عن الإنشاء لم يأت فقط من أصحاب رأس المال أو المتحمسين للمشروع. بل هو حديثهم وحديث رجالات الدولة على حد سواء.

إن هذه الجامعة لن يلتحق بها إلا أصحاب المجاميع المنخفضة ، لأن أصحاب المجاميع المرتفعة ليس لديهم الدافع للالتحاق بها ودفع مصروفات تربو على ٢٥ ألف جنيه مبدئيا، وأمامهم فرصة الالتحاق بالجامعات المصرية ذات المكانة العالية والسمعة العلمية الطيبة. إذن سيلتحق بتلك الجامعة الفاشلون دراسيا والقادرون ماليا. وتلك حقيقة لا جدال فيها، وذلك يعد هدرا للديمقراطية فى التعليم وتكافؤ الفرص وسيكون لذلك التمايز المادى آثاره المدمرة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا فى المستقبل القريب.

وطالما أن الخصخصة هى مشروع اليوم فى تحرير الاقتصاد المصرى، فان خريجى تلك الجامعة سيجدون فرص العمل بعد التخرج بشكل أفضل من نظرائهم فى الجامعات الحكومية، ولاسيما فى مجال القطاع الخاص والمشروعات التى سوف تتبنى أبناء تلك الجامعة بحكم أنهم ابناؤهم.. وذلك سيكون له مردود اجتماعى وسياسى سئ فى المستقبل القريب أيضا.

تهافت الدعاوى

إن الدعاوى التى يسوقها أصحاب ومؤيدو الجامعة الأهلية الخاصة، هى جد متهافتة ، ولا تعبر عن ضرورة تربوية أو علمية، بقدر تعبيرها عن رغبة فى التمايز الاجتماعى والمعرفى، وخلق نتوءات فى جسد التعليم المصرى واتاحة الفرصة لابنائهم لكى يحصلوا على ما يرغبون فيه بأموالهم فقط، وليس بقدراتهم وإمكاناتهم العلمية والمعرفية. فبدلا من تطوير وتحديث وتدعيم ما هو قائم - بحكم حاجته للدعم- فى جامعاتنا، وفتح شعب جديدة متطورة لمواكبة العصر كما يزعمون. وبدلا من أن تلعب الرأسمالية المصرية الوطنية دورها الوطنى والحقيقى فى البناء الثقافى والتعليمى والتربوى- كما سبق للبرجوازيات الأوروبية أن لعبته-فهى تختار دور التخريب والتمايز والتشويه.

نحن إذن.. أمام اقتراح- أخذ شكل التنفيذ الفعلى- بانشاء جامعة أهلية من المتعذر قيامها فى ضوء الخبرات التاريخية وطبيعة الرأسمالية الطفيلية التى تدعو إلى ذلك، وكذلك من المتعذر فى حالة قيامها أن يلتحق بها سوى الطلاب الفاشلين دراسيا ،والذين يجرون وراء جامعات بيروت والخرطوم وتركيا ورومانيا وغيرها، لكى يحصلوا على شهادات جامعية يستكملون بها الشكل الاجتماعى، على عكس المتفوقين من أبناء الطبقات الوسطى وما دونها ،وعلى هذا فان هذه الفكرة تطرح عاكسة بذلك الافرازات التى أفرزتها سياسة الانفتاح الاقتصادى وخلق طبقة من أصحاب الدخول العليا وهى فى غالبها دخول غير مشروعة ،وتسعى إلى تعويض المكتسبات الشعبية والوطنية فى مجانية التعليم وتكافؤ الفرص. وخلق التناقض الطبقى وتأكيد عدم المساواة بين فئات وطبقات الشعب المختلفة.

وأخيرا علينا ألا ننسى دروس التاريخ من أن فكرة إنشاء أول جامعة أهلية فى مصر، تمت فى أحضان الحركة الوطنية وكفاح الشعب المصرى ضد القوى الأجنبية المسيطرة عسكريا وثقافيا وتعليميا. كانت الفكرة إنشاء جامعة لتخريج كوادر وطنية من المصريين يتبنون الدفاع عن وطنهم وقضاياهم المصرية فى مواجهة أعتى استعمار غربى شهدته مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين. كانت الجامعة الأهلية (١٩٠٨) مشروعا وطنيا مستقلا للدفاع عن الهوية الثقافية المصرية والعربية. أما مشروع الجامعة الأهلية اليوم(١٩٩٦)فهو يتخلق فى أحضان التبعية والهيمنة الرأسمالية العالمية. وعبء الديون وسياسات البنك والصندوق الدوليين . والنظام العالمى الجديد ذو القطب الواحد. العبرة واضحة والدرس جلى، فهل من مستفيد؟!.

ولا تزال الدعوة مستمرة إلى

استقلالية الحركة النقابية العمالية

محمد جمال إمام

فى عدد شهر أغسطس من «**اليسار**» أشرت فى معرض حديثى عن المناضل العمالى الراحل **عبد الرؤوف أبو علم** إلى مالاقاه من عنت شديد فى عام ١٩٦٦ بسبب دعوته إلى استقلالية الحركة النقابية العمالية عن الهيمنة الإدارية لوزارة العمل. ومن أسف أننا نجد أنفسنا لا نزال ندعو ، بعد ثلاثين عاما ، إلى نفس ما كان يدعو إليه د. أبو علم فى ذلك الحين: **إلى استقلالية الحركة النقابية عن الهيمنة الادارية لوزارة القوى العاملة وأجهزة الدولة الأمنية والادارية الأخرى!.**

فها هو مدير المكتب الفنى لوزير قطاع الأعمال العام يرسل خطابا سريا وشخصيا **(يحتوى على أخطاء نحوية وإملائية مشينة)**إلى رؤساء شركات القطاع العام فى ٢٤ يونية الماضى يقول لهم فيه: إن «**الجهات الأمنية**» قد أبلغته بأن هناك تحركا من «**العناصر المضادة**» فى الأوساط العمالية مستغلة الانتخابات العمالية المقبلة.

ونتوقف أولا عند«**العناصر المضادة**» التى ينقلها مدير المكتب الفنى لوزير قطاع الأعمال عن التقارير الأمنية: مستغربين أن يستخدم مسئول كبير يفترض أنه يعمل من أجل تهيئة مناخ منفتح يساعد على ازدهار نشاط الاستثمار الوطنى والأجنبى مثل هذا التعبير المباحثى لوصف نشاط عناصر نقابية تختلف مع توجهات الدولة السياسية والاقتصادية ، وهو أمر يفترض أنه طبيعى فى أى نظام ديمقراطى يأخذ بما يسميه هؤلاء المسئولون بآليات السوق، والتى تقوم أساسا على التعددية والتنافس وتفاوت المواقف والآراء! أم أن هؤلاء المسئولين والنظام الذى يمثلونه يضعون على وجوهم قناعا كتبوا عليه «آليات السوق» للتمويه على جهات أجنبية يحرصون على استرضائها بينما لا يزالون يفكرون ويتحركون بعقلية شمولية - يتبرأون منها علانية- تعتبر كل من يختلف مع أفكارها ومنطلقاتها «عناصر مضادة» .(وبالمناسبة ، نشرت صحيفة «**واشنطون بوست**» الأمريكية فى عددها الأسبوعى بتاريخ ٢٢- ٢٨ يوليه الماضى تحقيقا عن غسيل أموال المخدرات فى المكسيك قالت فيه بالحرف الواحد: وفى حالات أخرى ، أصبح برنامج المكسيك لخصخصة بيوت الأعمال المملوكة للحكومة والذى استهله رئيس المكسيك السابق **كارلوس ساليناس** لجذب رؤوس الأموال الأجنبية، مجالا مفضلا بدلا من ذلك لاستثمارات ملوك المخدرات ، وذلك وفقا لما ذكره **جيمس موودى** الذى تقاعد مؤخرا من عمله كرئيس لشعبة الجريمة المنظمة فى إدارة المباحث الاتحادية الأمريكية.وتنقل الصحيفة الأمريكية عن هذا المسئول الأمنى الكبير قوله :«**تلاحظ إدارة المباحث الاتحادية أن منظمات تهريب المخدرات المكسيكية والكولومبية تقوم بشراء الكثير من هذه الشركات**.وتتكون هذه الشركات شبه الحكومية من مؤسسات مالية هامة ومصانع وبيوت أعمال صناعية وخدمية رئيسية تبلغ قيمتها مليارات الدولارات». ثم تنقل الصحيفة الأمريكية عن تقرير أصدره ما يسمى بمكتب واشنطون لشئون أمريكا اللاتينية فى أبريل الماضى قوله:«**ليس من قبيل المبالغة القول بأن أموال المخدرات تستثمر فى الصناعة والأعمال المصرفية والزراعة والسياحة، وربما فى سوق الأوراق المالية المكسيكية**». فهل يعتبر هؤلاء المسئولون الأمريكيون من قبيل العناصر المضادة، أم هل تعتبر الإشارة إلى احتمال تكرار الأمر فى مصر من قبيل التشكيك والانضمام إلى زمرة العناصر المضادة؟).

ويمضى هذا المسئول إلى مطالبة رؤساء مجالس إدارات الشركات التابعة له باتخاذ «إجراءات إدارية رادعة تجاه العناصر التى يثبت قيامها بنشاط مخالف للوائح العمل داخل المواقع الإنتاجية» وهى عبارة يقصد بها ما جاء فى الفقرة الأولى من خطاب «معاليه» بأنها العناصر التى تعمل على «التشكيك والمزايدة على برنامج الخصخصة وما تم تنفيذه بدعوى تأثيره على حقوق ومكاسب العمال». وهو تحريض يفضى إلى حرمان عناصر عمالية نشطة من حقها القانونى والنقابى فى مخاطبة جماهيرها

العمالية وبسط أفكارها ومنطلقاتها أمامهم بغية الفوز بتأييدهم لها في الانتخابات النقابية. كما أنه يتنافى مع ما جاء في **المادة التاسعة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان** الذي أصدرته الأمم المتحدة في عام ١٩٤٨ والتي تقول: «لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير» ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت» كما يتنافى مع ما جاء في ديباجة أول اتفاقية تصدرها منظمة العمل الدولية في عام ١٩٤٨ والتي تحمل اسم الاتفاقية الخاصة بالحرية النقابية وكفالة الحق النقابي والتي صدقت عليها الحكومة المصرية فأصبحت ملتزمة بتنفيذها حيث جاء في هذه الديباجة: «وبما أن ديباجة دستور منظمة العمل الدولية تنص على الاعتراف بمبدأ الحرية النقابية كأساس لتحسين شروط العمل والاستقرار والسلام! ،وبما أن إعلان فيلادلفيا (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) يؤكد أن حرية التعبير والحرية النقابية ضرورة للتقدم المطرد».

ولا يكتفي سيادته بذلك بل يحرض هؤلاء الرؤساء على «المبادرة باختيار عناصر معتدلة تتمتع بشعبية وثقل بأوساط العمال لدفعها للتحرك بالأوساط العمالية لدعم موقفها خلال الانتخابات النقابية القادمة». **أي أنه يدعو إدارة الشركات إلى البحث عن عناصر عميلة لها والعمل على ضمان فوزها بقيادة العمل النقابي في منشآتها**. وهي دعوة صريحة لتدخل إدارات الشركات في العمل النقابي وفرض أشخاص بعينهم على رأسه مستخدمة في ذلك ما تملك من أساليب الترغيب والترهيب، وهو تدخل يماثل ما جرت عليه الانتخابات النيابية في مصر طوال عقود قريبة ماضية. ويكفينا في هذا الصدد أن نذكر الجميع بأن اتفاقية منظمة العمل رقم ٩٨ الشهيرة والمسماة **باتفاقية مبادئ حق التنظيم والمفاوضة الجماعية** والتي صدقت عليها مصر أيضا وأصبحت ملزمة بتطبيقها حرفيا، تقول في الفقرة الثانية من مادتها الثانية: **وبصفة خاصة يعتبر من بين أعمال التدخل السابقة أي إجراء يقصد به التحريض على إنشاء نقابات عمالية يتسلط عليها رب العمل أو منظمة من منظمات أصحاب الأعمال عن طريق تدعيم المنظمات العمالية ماليا أو بوسائل أخرى بغية وضع هذه التنظيمات العمالية تحت رقابة رب العمل أو...».**

وفي حين أن الاتفاقية الخاصة بالحرية النقابية وكفالة الحق النقابي، تقول في الفقرة الأولى من مادتها الثالثة: «المنظمات العمال وأصحاب الأعمال الحق في إعداد لوائح نظمها الأساسية والقواعد الإدارية وانتخاب ممثليها في حرية تامة، وتنظيمها الإداري وأوجه نشاطها وتحديد برامجها» كما تقول في الفقرة الثانية من نفس المادة: «تمتنع السلطات العامة عن أي تدخل من شأنه أن يحد من هذا الحق أو يعوق ممارسته القانونية»، فها هو **وزير القوى العاملة يصدر في شهر يونيه الماضي قرارين متتالين: الأول** منهما ينص في مادته الأولى على تشكيل لجنة مشتركة بين وزارة القوى العاملة والهجرة والاتحاد العام لنقابات عمال مصر «للإعداد لوضع مشروع تعليمات إجراءات الترشيح والانتخاب والنماذج وخطوات التنفيذ للانتخابات للدورة النقابية ٩٦/٢٠٠١». واللجنة مشكلة من تسعة أعضاء، أربعة منهم من كبار مسئولي وزارة القوى العاملة، والخمسة الآخرون يمثلون اتحاد العمال. أحدهم الأمين العام للاتحاد والباقون من موظفي الوزارة السابقين الذين التحقوا بالعمل في الاتحاد إما ندباً أو بعد إحالتهم إلى المعاش، وأحدهم تجاوز عمره السبعين عاما! **والقرار الثاني** ينص على تشكيل لجنة مشتركة أخرى تتولى تنظيم انتخابات التشكيلات النقابية، وتتكون من نفس الأعضاء مضافا إليهم رئيس اتحاد العمال ونائبه الأول.

المدهش في الأمر أن هذه ليست أول مرة تجرى فيها انتخابات نقابية في مصر، وأن تعليمات الانتخابات وإجراءاتها ونماذجها وخطوات تنفيذها موجودة بالقطع لدى اتحاد العمال، وأن الاتحاد بمقدوره أن يدخل عليها من التعديلات ما تقتضيه تطورات الأمور، وإذا كانت القيود القانونية التي تكبل الحركة النقابية تتطلب أن تحمل تلك المسائل خاتم وزارة القوى العاملة، فقد كان بمقدور الوزير حفاظا على الشكل وعلى هيبة الحركة النقابية واستقلاليتها المظهرية على الصعيدين العربي والدولي، أن يصدرها بناء على اقتراح اتحاد العمال ودون الحاجة إلى تشكيل مثل تلك اللجان. وفضلا عن ذلك، فما هو دخل كبار موظفي وزارة القوى العاملة بانتخابات تنظيم نقابي قائم منذ أربعين سنة ولم يعد بحاجة إلى من يعلمه كيف يجرى انتخابات تشكيلاته؟.

وفي الحقيقة أنني كلما تمعنت في الأمر أجد أن **تشكيل لجنة يرأسها رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال بقرار من وزير القوى العاملة أمر غير مستساغ بالمرة من الناحية النقابية، ويرقى إلى مرتبة الاعتراف الواقعي بسيطرة الوزارة على مقاليد الأمور في الحركة النقابية**. والمؤلم في هذا الصدد أن تقبل قيادات نقابية عريقة بذلك كله، وأن تقبل أن تشارك في عضوية لجان يصدر بها قرار من وزير القوى العاملة، رغم أنه من الناحية الرسمية والنقابية لا سلطان عليها، ورغم ما في القرار من مخالفة صريحة لنصوص اتفاقيات عربية ودولية. وأما ما يضحك في هذا الأمر، فهو أن القيادات النقابية التي تأتي بهذه الطريقة لا تجد غضاضة في كثير من الأحيان في المشاركة في التصدي في بعض المؤتمرات الدولية لما تسميه بالتنظيمات النقابية الصفراء التي تشكلت بناء على تدخلات حكومية!.

على أن من الضروري أن نشير إلى أن هذه النماذج التي ذكرناها عن تدخل السلطة في الانتخابات النقابية وتعديها على استقلالية الحركة النقابية، ما هي إلا قليل من كثير، خاصة وأننا نكتبها قبل وقت ليس بالقصير من إجراء انتخابات الدورة النقابية الجديدة.

وختاما نقول أننا ألححنا كثيرا في مقالات سابقة على ضرورة التخلي عن بدعة إجراء الانتخابات النقابية في غرف مغلقة والعودة إلى التقليد الأصيل باجرائها في مؤتمرات عامة. ومن أتيح له أن يتابع المؤتمرات المتتالية التي عقدها الحزبان الجمهوري والديمقراطي في الولايات المتحدة لاختيار مرشح كل منهما لانتخابات الرئاسة الأمريكية التي ستجرى في نوفمبر المقبل، لعله قد لاحظ مقدار مشاعر الحماس والانتماء التي يولدها مشاركة المندوبين في هذه العملية والتي يصطحب إليها بعضهم أولاده ليشهدوا ويتعلموا الممارسة الديمقراطية، رغم ما قد يقال عن أصالتها أو اصطناعها ،ولاحظ مدى اهتمام وسائل الاعلام الأمريكية بتغطيتها على أوسع نطاق لاعطاء الجماهير العامة فرصة للتعرف على مواقف المرشحين ومنطلقاتهم وتكوينهم الشخصي والفكري حتى يكون الناخب على بينة كاملة من المرشح الذي يعطيه صوته، وهو ما يغيب تماما عن انتخابات الغرف المغلقة التي تسلب العملية الانتخابية من أي طابع ديمقراطي!

جنون البقر..وجنون الخصخصة

رابعاً وأخيراً:

فلنتصدى لمافيا غذاء الشعب

عريان نصيف

نحمد الله على أن الأغلبية الساحقة من قراء مجلة اليسار، ليسوا ممن اعتادوا أن يسبق غذاءهم «أورديفرات» (فواتح شهية) مثل«**شتانجل وباركيت وجاليت**»، ولا يحتسون شوربة«**الفاليزى**»، ولا تتضمن أطباقهم أصنافاً من نوع«**الفواجرا**» **أو «الجامبو»** ..إلخ هذه الأصناف التى نقلنا أسماءها دون أن نعرف شكلها أو طعمها! وإلا كانوا قد ثاروا علينا وعلى «اليسار» التى أفردت العديد من صفحاتها-على مدى أربعة شهور- لهذه القضية «التافهة»!.

ولكننا اعتمدنا على أن قراءنا- من المستضعفين فى الأرض- لا يتجاوز متوسط حصولهم على البروتين الحيوانى مقدار **٧ كجم فى العام**- وفق إحصاءات المنظمات العلمية الدولية المتخصصة-فى الوقت الذى يتراوح فيه **خط الفقر البروتينى ما بين ١٨-٣٠كجم.**

وقد قيض الله لشعبنا الطيب، البعض ممن يحرص على أن يصبره على حاله من خلال لوى عنق بعض المعلومات الطبية الخاصة بأضرار أكل اللحوم والأمراض الخطيرة التى قد تصيبه منها، دون أن ينتج ذلك من أكل «الكشرى والطعمية»!.

حجم تدمير مافيا استيراد اللحوم للثروة الحيوانية

حتى ندرك مدى الدمار الذى حققته مافيا استيراد اللحوم فى مصر- للانفراد بالسوق-فى كافة مجالات الثروة الحيوانية والسمكية والداجنة،مستعينة بالأوضاع الاقتصادية والإدارية المتواطئة معها أو المتهاونة تجاهها أو على الأقل المواتية لها، فسكنتفى بعرض بعض الأرقام التى توضح ما آل إليه الوضع فى هذا المجال:

* **٣٠٠ مليون طن، حجم الفجوة السمكية قبل عام ٢٠٠٠.**

-دراسة للمجلس القومى للانتاج والشئون الاقتصادية-١٩٩٤.

* **١٦ ألف مزرعة دواجن- من مجموع ١٩ ألف- تم تصفيتها نهائيا.**

-الاستاذ ابراهيم نافع- الأهرام ١٩٩٥/١/٦.

* **٢٥٠ ألف رأس ماشية ، ووفر قدره ١٨٠ مليون دولار سنويا (قيمة الاستيراد السنوى للماشية واللحوم) ، فقدتها مصر، بتصفية مشروع البتلو.**

-تقرير للجنة الزراعة والرى بمجلس الشعب -١٩٩٤.

* **٦٦ ٪ من احتياجاتنا من اللبن، ٩٧٪ من احتياجاتنا من الزبد والسمن أصبحنا نستوردها من الخارج.**

-التعاون الزراعى -١٩٩٥/١٢/١٩.

والمستورد .. فاسد وضار بصحة المواطنين

إذا كان تدمير الثروة الحيوانية المحلية جريمة كبرى فى حق الوطن والشعب، ارتكبتها مافيا استيراد اللحوم ومن يساندهم ، فالاكثر إجراما أن يكون الجزء الأكبر من هذا المستورد فاسد وضار بصحة المواطنين من أجل المزيد من التربح لهذه العصابات بملايين- بل ومليارات- الدولارات.

وسنعرض لبعض نماذج توضح حجم هذه الجريمة / المأساة(ويراعى أنها مجرد أمثلة ، تم اكتشافها، فى السنوات الثلاث الأخيرة فقط):

***١٩٩٣:** ٤٦٠ ألف كجم من اللحوم ، مصابة بفيروس «ا.»، وهو شديد الخطورة على صحة المستهلك ومنعت المجموعة الأوروبية دخولها، قامت ١٠ شركات مصرية (فى بورسعيد، والقاهرة، والجيزة، والمحلة الكبرى) باستيرادها.

١٩٩٤: عدة ملايين من كيلوجرامات اللحوم والكبد، أكدت معامل وزارة الصحة فسادها وعدم صلاحيتها للاستعمال الآدمى ، استوردتها- كما ورد تفصيلا بمجلة الأهرام الاقتصادى فى ٢١/ ١١/ ١٩٩٤ -٤٣ شركة من خلال مئات الشحنات.

١٩٩٥: ٢٣٢٠ كيلو جرام، ٥٠٦٠ كيلو جبن، ٤٥٣٠ كيلو زبدة فاسدة ،تم اكتشافها فى شهر واحد وفى مدينة القاهرة فقط.

* سلع غذائية (وخاصة لحوم) قيمتها ١٣٠ مليون جنيه، تم ضبطها فى أقل من عام ونصف، بعد تطبيق القانون الجديد للغش التجارى -كما يؤكد اللواء فخرى أبو ذكرى مدير مباحث التموين- **منذ نهايات ١٩٩٤.**

ليس قلة إمكانات ولكن جنون الخصخصة

حتى لا نكرر عرض الكثير من الأوضاع والأرقام التى تؤكد الإمكانات الكبيرة لمصر فى كافة مجالات الثروة الحيوانية والسمكية والداجنة واللبنية- والتى وردت بالأجزاء الثلاثة السابقة من هذا الموضوع- سنكتفى بالاشارة إلى بعض البحوث العلمية والمشروعات العملية- التى قدمت فى السنوات الأخيرة -والكفيلة بأخراج مصر- مرة أخرى- إلى سطح الاكتفاء الذاتى فى هذا المجال أو الاقتراب الكبير منه.. ولكن جنون الخصخصة، ومافيا استيراد اللحوم، تقف لها بالمرصاد.

(١) سلة اللحوم المصرية فى الساحل الشمالى الغربى:

يمكن أن يصبح الساحل الشمالى الغربى، سلة اللحوم المصرية- وفق تعبير **د. عبده شطا** الخبير بمركز بحوث الصحراء- حيث تأكد من عشرات البحوث العلمية والعملية صلاحية أراضيه الشاسعة للرعى وخاصة مع توفر المياه المطرية والجوفية والسطحية(من قناة بهيج).

ويؤكد أيضا **د. شيخون عز الدين** الخبير بمعهد بحوث الاقتصاد الزراعى إمكانية إنتاج ٧ مليون رأس من الماشية سنويا فى هذه المنطقة.

(٢) **بحيرة ناصر.. بنك الثروة السمكية:**

يؤكد الخبراء المصريون والأجانب-بعد دراسات استغرقت عدة سنوات -امكانية أن تكون بحيرة ناصر هى بنك الثروة السمكية فى مصر،فهى من **أكبر البحيرات الصناعية للمياه العذبة فى العالم**(٣٠٠ كم +٢٠كم بمسطح يبلغ ١٫٢٥ مليون فدان)، ويمكن أن يستخرج منها- وهى الغنية بالأسماك النيلية- ١٥٠ ألف طن سمك، بدلا من حوالى ٢٠ ألف طن حاليا.

(٣) **الجاموس البلدى، يحل أزمة اللبن:**

يتبين من الدراسة العلمية / الميدانية ، التى نال عليها د. **ربيع رجب صادق** أستاذ الانتاج الحيوانى بزراعة القاهرة، جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٤، أنه من الممكن الاعتماد على الجاموس المصرى (البلدى) ، القادر- حال الأخذ التطبيقى بهذه الدراسة- على تحقيق نسبة ٧٠٪ كاكتفاء ذاتى من اللبن.

(٤) **ملايين الدواجن ، مقابل ١٠٠ ألف جنيه**

تم الاتفاق عام ١٩٩٤/٩٣، بين كل من مركز الدراسات الاقتصادية بجامعة القاهرة وبين الصندوق الاجتماعى، على قيام مشروع كبير جديد للدواجن ليس كفيلا فقط- وفق ما سبق الاتفاق من دراسات- على إنتاج ملايين الدجاج ومليارات البيض سنويا، ولكن أيضا على توفير فرص عمل منتجة لطاقات الشباب العاطلة.

وكل تكاليف هذا المشروع : ١٫٤ مليون جنيه تقدم للمربين الشباب -كقروض- على ثلاث مراحل، ١٠٠ ألف جنيه-فقط- للمركز المشرف على المشروع للقيام بالعمليات الأولية الضرورية (التدريب، الاعلان، المعدات الرئيسية.. الخ).

وللأسف -أو بطبيعة الحال- **لم ير هذا المشروع النور حتى الآن.**

(٥) **المكافأة والتقدير .. بدلا من المحاسبة.**

فى الوقت الذى تفخر فيه مصر بأجيال متعاقبة من أساتذة الطب البيطرى المقدرين على المستوى العالمى ، وبالمئات من الأطباء والباحثين فى صحة الحيوان المشهود لهم بالجدية والكفاءة.

نجد أن هناك مؤامرة من الصمت حول بحوث **معهد الأمصال واللقاحات** التى أكدت -وفق ما نشر بجريدة الأهرام فى ١٨ / ٢/ ١٩٩٣- أن حوالى ٦٪ **من الماشية المصرية مصابة بفيروس «الميوكوزا» المدمر لمناعة الحيوان.**

ثم تتضاعف خطورة مؤامرة الصمت هذه، عندما تسدل على **وفاة وإصابة حوالى ٧٥٠ مواطن مصر بالحمى والعمى الكلى أو الجزئى بالاضافة إلى نفوق آلاف المواشى خلال عامى ٩٣/ ١٩٩٤ نتيجة الاصابة بمرض حمى الوادى المتصدع الذى ينتقل من الماشية إلى الانسان المستهلك للحوم.**

ويزداد تضاعف هذه الخطورة ، عندما نعلم أن العديد من العلماء والخبراء قد أكدوا أن انتشار هذا المرض بالماشية هو نتيجة استيراد مصل حى مع تجاهل المسئولين بالهيئة البيطرية- وموافقة وزارة الزراعة- للقاح المصرى «الميت» الذى كان نتيجة بحوث علمية ومحلية من كبار علماء مصر فى مجال الطب البيطرى واستطاع -بالفعل- تحصين المواشى وعدم ظهور المرض لأكثر من ثلاث عشرة سنة.

(وقد نشرت اليسار هذا الموضوع الخطير،بصيغة استجواب لهؤلاء المسئولين، فى عدد مارس ١٩٩٥).

.. وبالرغم من كل ذلك - بل وربما من أجل ذلك- يصدر قرار مجلس الوزراء فى ديسمبر ١٩٩٥، بمد خدمة السيد / رئيس هيئة الخدمات البيطرية لمدة ثلاثة أعوام من تاريخ صدور القرار!!.

الحل .. فى التصدى

التصدى لمافيا استيراد اللحوم.. هو الحل الوحيد لتوفير الحد الادنى من احتياجات المواطن المصرى من البروتين الحيوانى اللازم له من ناحية، ولحمايته من المخاطر الصحية المستمرة من اللحوم المستوردة من ناحية أخرى، ولإيقاف سبل تسرب الثروة المصرية فى هذا المجال لصالح حفنة من محتكرى الاستيراد ومافيا اللحوم من ناحية ثالثة.

والمفترض أن يكون هذا التصدى شاملا ومحيطا بكل المحاور فى وقت واحد.

أولا -التصدى الانتاجى:

صدر قرار مجلس الوزراء فى ٣١/ ١٩٩٦/١ ويقضى بتوفير التمويل اللازم لاحياء مشروع البتلو ولضمان جدية واستمرارية هذه المرحلة لمشروع البتلو حتى يأتى فعلا بثماره المرجوة، فان ذلك يستوجب.

١- أن يتم التعاقد مباشرة بين وزارة التموين والمربين، خاصة أن السيد الدكتور وزير التموين ، قد أعلن مؤخرا- خلال اجتماعه برؤساء شركات التموين فى ٢٠ / ٧/ ٩٦- أنه سيتم الابقاء على شركات التموين- دون خصخصتها- لحماية الأمن الاجتماعى.

٢- توسيع قاعدة الانتاج والاهتمام بتمويل صغار المربين(من سلبيات المشروع فى المرحلة السابقة أنه كان يمول المربى الكبير بمبلغ ٨٠٠ جنيه لكل رأس دون أن يكون فى احتياج إلى ذلك).

٣- التطبيق العملى للعديد من البحوث والدراسات الجادة فى مجال إنتاج الاعلاف حيث بلغت الفجوة فى الأعلاف- نتيجة جنون الخصخصة -حوالى ٦ مليون طن سنويا.

ثانيا : التصدى القانونى:

بسرعة صدور **قانون منع الاحتكار** ، الذى أعده ويسعى جاهدا من أجل أن يصبح واقعا اقتصاديا وقانونيا- **الدكتور أحمد جويلى** ،منذ توليه مسئولية وزارة التموين. وينص مشروع هذا القانون الشديد الأهمية- والذى يجب أن تساند كل القوي الوطنية (السياسية والبرلمانية والاعلامية) د. جويلى فى إصراره على صدوره حماية للإنسان المصرى والاقتصاد المصرى«تجريم إبرام أى عقد أو اتفاق مكتوب أو شفهى بهدف احتكار استيراد أو إنتاج أو بيع أو توريد أو شراء أية سلعة- أو مادة تدخل فى إنتاجها أو تصنيعها -بقصد حجبها عن التداول أو الحد من إنتاجها أو توزيعها أو عرضها أو التلاعب فى أسعارها، سواء كانت الاطراف وطنية أو أجنبية أو مشتركة».

ثالثا: التصدى السياسى:

للحد من جنون تدمير الناتج المصرى والاقتصاد المصرى والشعب المصرى، بفتح باب الاستيراد على مصراعيه ودون أى ضوابط جادة وحقيقية، واستنفار المنتجين المحليين لمواجهة عصابات الاستيراد التى لا يعنيها- أولا وأخيرا- سوى المزيد من التربح.

رابعاً: ولعل تحقيق هذه المستهدفات ورهن بقيام حركة جماهيرية- واسعة وقوية ومنظمة- قادرة حقا على المطالبة بها ومراقبة تنفيذها.

واذا كان الدستور المصرى ينص فى مادته التاسعة والعشرين على أن «تخضع الملكية لرقابة الشعب».

واذا كانت مافيا غذاء الشعب وجنون الخصخصة يهدرون اقتصادنا وحياتنا، فانا لوطننا ولحياتنا ولمستقبل أجيالنا ،لواعون. ولمبادئ دستورنا ، لحافظون.



من دفتر أحوال المرأة العاملة

فاطمة فرج

أنا شغالة كل يوم على ماكينة من ٧٫٣٠ الصبح لـ ٧ أو ٨ بالليل، ولو أتأخرت عن المكنة دقيقة آخذ نص يوم خصم.. والاجازات عليا.. باشتغل بالحتة وبعمل ٧٠٠ لـ ٨٠٠ تى شرت فى اليوم باتعب قوى.. وكثير ضهرى يوجعنى بس الواحد خد على كده.. المشكلة انهم بيجوا آخر الشهر ويغالطونا فى الحساب».

داليا - ١٧ سنة

شركة مصر تايوان للملابس الجاهزة- شبرا

بهذه الكلمات تقدم داليا نموذجا لما تعانيه أعداد كبيرة ومتزايدة من عاملات مصر اللاتى يقعن فريسة سهلة لرأس المال الذي يبحث دائما عن عمالة رخيصة وطيعة ومنتجة.

وإتساقا مع هذا الواقع يلغى مشروع قانون العمل الموحد المواد القانونية التى تعطى للمرأة العاملة بعض الحقوق وإن كانت حقوقاً نظرية قليلا ما تتمتع بها فى الواقع.

ومن المحير أن نجد أوساط اليسار والمهتمين بقضايا المرأة عموماً منشغلين بهذه التغيرات المقترحة على مستوى القانون ويشنون حرباً شعواء من الكلام حول «الهجوم على مكتسبات المرأة» دون الالتفات ان هذه «المكتسبات» لا مكانة لها فى حياة معظم النساء العاملات فى قطاع الانتاج وهذا ما سنحاول توضيحه فى هذا المقال.

ولكن أولا -يجب علينا أن نوضح أصل هذه «المكتسبات» القانونية وسنجد أنه فى ظل سياسة التراكم الرأسمالى السريع فى الستينيات من أجل مشروع «التنمية المستقلة» أصدر النظام الناصرى سلسلة من القوانين لاستيعاب الطبقة العاملة فى مشروعها من ضمنها تشريعات تساوى بين المرأة والرجل فى حقوق العمل. ولكن لم تترجم هذه القوانين على أرض الواقع.

حيث لم يستوعب القطاع العام حتى الآن غير ٤٫٣٪ من عماله النساء وظل تركيز عماله النساء فى هذا القطاع فى الأعمال التى لا تحتاج إلى مهارات عالية-أى الأعمال ذات الأجور المنخفضة .

و لكن سريعا ما باءت التنمية المستقلة بالفشل حيث لم يرتفع مستوى الانتاجية إلى درجة ارتفاع الأجور وتسبب ذلك فى انخفاض ربحية القطاع الصناعى واشتعلت الأزمة بعد ٦٧ مما أدى إلى التراجع عن «العقد الاجتماعى»، بين الدولة والطبقة العاملة فى ظل محاولة النظام إدماج الاقتصاد المصرى فى النظام الرأسمالى العالمى.

ولقد أدت هذه التطورات إلى زيادة إفقار الطبقة العاملة وزيادة معدلات البطالة مما يؤدى بدوره إلى ضغط الأجور وتخفيضها. ومن الملاحظ أن هذه الظروف الاقتصادية القاسية والتراجع المستمر فى مستويات الدخل والمعيشة دفع باعداد هائلة من النساء إلى

فى القطاع الخاص:

إمضاء على ورقةاستقالة مقدما..

سوق العمل لمساعدة الأسرة على تحمل الأعباء المتزايدة.

وطبقا للمتاح من الاحصائيات فان هناك ٥٤٫٥٪ من العاملات يعملن فى قطاع الزراعة والصناعات الصغيرة والقطاع غير الرسمى، وتمثل المرأة العاملة ٢٩٪ من قوة العمل و ١٢٪ من العمالة الصناعية ويستوعب القطاع الخاص ٣/٢ النساء العاملات بينما لا تضم وحدات القطاع العام سوى ٤٫٢٪ فقط والقطاع الحكومى٢٨٫٤٪.. وأيضا تشير دراسة عن اتجاهات عمالة النساء فى مصر بين عامى ٦٠ و ٧١ .. فمصانع القطاع الخدمى هى الأكثر استيعابا للنساء.

يقول أحد المستثمرين الكنديين: «بدأت مشروعاً للملابس الجاهزة فى مصر حيث استورد النسيج وأصدر الملابس الجاهزة وربحى يأتى أساسا من مزايا اليد العاملة الرخيصة، ولا يعمل فى مصنعى سوى النساء من سن ١٧ إلى ٢٥ قبل الزواج تجنبا للمشاكل كما أن صغر سن النساء يعنى أن لديهن طاقة كبيرة والنساء أسرع فى الإنتاج من الرجال ويسهل التعامل معهن.. وبعملهن فى مصنعى تتوفر لهن فرصة العمل، وبدونى ما اتيحت لهمنهذه الفرصة».

وإذا كانت هذه وجهة نظر صاحب رأس المال فالعاملات وجهة نظر أخرى تحكيها العاملات فى عدد من مصانع الملابس الجاهزة، تلقى الضوء على القصة المروعة لهذه الخدمة الجليلة التى يقدمها القطاع الخدمى لعاملات مصر..

تقول احدى العاملات بشركة ملمارنيت بشبرا :(المواعيد الرسمية من ٨: ٥ وبيشغلونا وردية مسائى من ٥: ٨ ، أى نعمل لمدة ١٢ ساعة وحسب الاجر اللى يتاخد ٨٠ جنيه فى الشهر تاخد على الساعة ٤٠ قرشاً وأكثر العاملات خبرة لا تتعدى أجورهن ١٧٠ جنيهاً. وفى نفس الوقت يأخذ المشرف من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ جنيه و ٥ جنيه على الساعة الاضافى). وتحكى عاملة أخرى عن مشكلة الجزاءات فى هذه الشركة فتقول:

«لما رن الجرس بتاع الاستعداد وطيت اعدل الطرحة لقيت المشرف بيقولى ٢/١ يوم جزاء ورفضت أمضى وبدل ما يحققوا معاه رفعوا الجزاء إلى يوم» وتقول عاملة أخرى وهى تركض إلى داخل مصنع -مصر تايوان- بعد الساعة الراحة «لازم أكون على الماكينة الساعة٢ بالضبط لآخذ نصف يوم جزاء مع أنهم ممكن يأخرونا وقت المرواح».

وفى مصر -تايوان ٢٠٠٠ عاملة تقريبا تعمل العاملات فى معظم خطوط الانتاج بالقطعة ويختلف الأجر من «مرحلة سهلة» بقرش «لمرحلة صعبة» بقرشين. وتقول العاملات انهن لا يستطعن إثبات حقوقهن فى نهاية الشهر وتقول إحداهن : «أنا بابقى حاسبة أنى حأخذ ٢٠٠ جنيه مثلا والاقيهم بيدونى ١٦٠ جنيه.. حعمل إيه»؟ وتقول أخرى فى «ملمارنيت »قالولنا:« مرة ممكن تطلعوا مديونين للشركة كمان»!.

وفى الشركة الأخيرة الأجر ثابت وهناك اجازة سنوية ولكن فى الشركتين لا توجد اجازات عارضة أو مرضى.«حتى لو الست حتولد تأخذ الاجازة السنوية أو أجازة بأذن يعنى بخصم اليوم بيوم». أما الاجازة بدون إذن فيكون جزاؤها خصم يومين ولو احتاجت لاي سبب ان تعتذر العاملة قبل ميعاد العمل تحاسب على نصف يوم. ويمكن للمشرف خصم الـ ٢٠ جنيه شهريا المخصصين للانتظام وتقول عاملة «خصم الانتظام يحرق قوى لانك ممكن كل يوم تروحى مثلا ٨ بالدقيقة ويوم واحد تروحى متأخرة دقيقة واحدة فيتم الخصم».

أما العقود والتأمينات فتلك قصة أخرى . فمن يتم توقيع عقد معه لابد أن يوقع أيضاً استمارة ٦ أى الاستقالة. تقول احداهن:« قالولى أمضى.. مضيت على طول ما أنا عايزة اشتغل». وعن التأمينات تقول عاملة فى ملمارنيت «لما بيجى بتاع التأمينات بيطلعوا البنات غير المؤمن عليهن على السطوح وأنا بادفع ١٠ جنيه فى الشهر للتأمين لكنى لو سبت الشغل ماقدرش أخذهم لو مش متجوزة ...طيب لو متجوزتش يحصل ايه؟ ». وتقول أخرى غير مؤمن عليها فى -مصر تايوان-: «تأمينات ايه هما لسة هيخصموا حاجة ثانية من المهية؟ بلاش » . هذا بالاضافة إلى ورقة الاستغناء التى يمكن أن يعطيها أى مشرف لعاملة فتفصل.

أمراض المهنة

والظروف الصحية داخل المصانع سيئة للغاية حيث تعانى العاملات فى مصر تايوان من الصداع وضعف السمع بسبب صوت المكن بالاضافة إلى آلام الظهر والعيون بسبب الوبر والتركيز لفترات طويلة . ووصل الأمر فى شركة ملمارنيت إلى أن صاحب العمل جمع من العاملات جميعا ٢ جنيه لشراء مراوح لتخفيف الحر فى العنابر؟ وعموما تشير العاملات فى الملابس الجاهزة أن مصانع البلاستيك- التى تستخدم النساء بكثافة أيضا- تكون نسبة الاصابة فيها أعلى بكثير بسبب طبيعة العمل والمكن. «واحدة صحبتى كانت شغالة على «كسارة»- ماكينة تطحن قطع البلاستيك إلى بودرة- فى مصنع بلاستيك وديه لازم تستخدم اليدين .. الماكينة أخذت ايديها وصاحب المصنع دفع العلاج بس مفيش تعويض طبعاً».

البعض يفضلونها عاملة

لماذا يفضل أصحاب العمل النساء؟.

ترد عاملة فى ملمارنيت فتقول:« لأن الستات تعرف تقعد على المكن فترات طويلة.. الست صبورة غير الرجل يزهق بسرعة وهيا متعودة على النوع ده من الشغل». وبشكل غير مباشر تضع عاملة فى مصر تايوان يدها على سبب آخر : «الرجاله بتأخذ على نفس الشغل بالضبط أكثر من الستات بـ ١٠٠ جنيه وده علشان الراجل مسئول عن بيت والست بتساعد بس» وتوافق كل النساء اللاتى تكلمنا معهن على حق الرجال فى أجر أعلى وتقول واحدة «الستات متواضعة.. ممكن يقبلوا أية حاجة». وهذا يتوافق مع بل يكرس حلمهن أن يجدن ازواجا يستطيعون إعفاءهن من عبء العمل والمكوث فى المنزل وتقول داليا «نفسى اتجوز واحد قادر يقعدنى فى البيت».

إذن صاحب العمل يحصل على عمالة صبورة وقنوعة وبنصف الثمن..يا بلاش!».

وعند نزولنا للشركات كان من الملاحظ أن معظم العاملات صغيرات فى السن أى ليست لديهن خبرة طويلة فى العمل داخل المصانع ومن تعمل من الصبا كانت تعمل فى ورش أى فى ظروف مختلفة لا تنمى الوعى الجماعى.

وتشير بعض التجارب الاحتجاجية لهؤلاء العاملات إلى قلة وعيهن. «المشرف عندنا

ضرب واحدة صغيرة(١٣ سنة) وكان عايز يطردها قلنا نعمل استقالة جماعية وننزل بيها للإدارة.. بس فيه بنات رفضوا .. اللى حتتجوز وعندها اقساط جمعية.. نسوا أن ده ممكن يحصل لنا كلنا». وتؤكد العاملة أن المشرفين يقومون بارهاب العاملات: «بيقولوا لهم دايما انتوا شغلتكم مش صعبة وممكن نجيب أى حد تانى». وتضيف عاملات مصر تايوان :«يعنى حنعمل ايه ما احنا اللى جايين وطالبين شغل بنتكلم مع المدير وبس».

لم تسمع أى من العاملات عن النقابة حتى كمجرد فكرة . وتشير دراسة لعائشة عبد الهادى سكرتيرة المرأة العاملة بالاتحاد العام لنقابات عمال مصر إلى ضآلة نسبة مشاركة المرأة فى التنظيم النقابى حيث لا تمثل إلا ٤ر٣٪ من اللجان النقابية و ٨.٠٠٪ من النقابات العامة وصفر٪ من المجلس التنفيذى. ولكن نحن نسأل : كيف يكون هناك تمثيل للنساء فى نقابة تعيق بكل السبل مشاركة أى عمال بها وتكفينا هنا الاشارة إلى قرار السيد راشد الأخير برفع الحد الادنى لانشاء لجنة نقابية من ٥٠ إلى ٢٥٠ والذى يغلق فرص انشاء لجان نقابية فى المصانع الصغيرة فى الوقت الذى يزداد فيه هجوم رأس المال على العمال . ثم ما هى مصلحة هؤلاء العاملات فى نقابة تدعم بسياسة الدولة ورأس المال الذين هما أصلا سبب بلائهن؟.

ولكن هناك اشكال جنينيه بين هؤلاء العاملات للتضامن، مثل جمع الفلوس لعاملة مريضة، أو فى حالة طلب الاجازة للعاملة لكى يتضح للادارة أن العاملات الاخريات مستعدات لتحمل عبء العمل فترة غياب زميلتهن.

هل هناك أى أمل فى تجاوز هذه الأوضاع فى قانون العمل الجديد؟.

تقول صفاء زكى المحامية« قانون العمل الموحد تعبير عن اعتماد الدولة لسياسة اعادة التكيف الهيكلى والخصخصة، جاء ليؤكد على أن هذه السياسة تتسم فى إطار استبعاد الجمهور الواسع صاحب المصلحة فى صياغة السياسة التى ستحدد مصيره لسنوات كثيرة قادمة.. ويأتى متراجعاً عن مكاسب الفئات العاملة ومن ضمنها النساء العاملات».

وهذه حقيقة مؤسفة . ولكن هناك حقائق أخرى قائمة حتى قبل صدور قانون العمل الموحد. فالمقارنة بين القانون الخاص بالقطاع العام رقم ٤٨ لسنة ١٩٧٨ والقانون ١٣٧ لسنة ١٩٨١ الخاص بالقطاع الخاص ، يكشف أن العاملات فى القطاع العام يتمتعن بمميزات لا

تهريب العاملات إلى السطوح عند حضور مندوب التأمينات

تمثيل المرأة العاملة

فى اللجان النقابية

غائب!!

تتوفر فى القانون المنظم للقطاع الخاص، وعلى سبيل المثال يحق للمرأة فى القطاع العام اجازة وضع لمدة ثلاثة شهور بالمقارنة بـ ٤٠ يوماً للمرأة فى القطاع الخاص «لا يطبق كما اشرنا» أيضا للمرأة سنتين اجازة لتربية الاطفال ثلاث مرات ، بينما لا تأخذ المرأة فى القطاع الخاص وعلى مستوى التشريع فقط -غير سنة. وتشير «صفاء زكى مراد» أن قانون العمل الموحد سيحرم العاملات فى القطاعين العام والخاص من حق اجازة الوضع ٣ مرات وينزل بها إلى مرتين ولا تتمتع بالحق فى اجازة الوضع إلا بعد ١٠ شهور من التحاقها بالعمل بدلا من ٦ و يلغى قانون العمل الموحد أيضا النص على مسئولية صاحب العمل على توفير حضانات إن كان يعمل بالمصنع ١٠٠ عاملة فأكثر.

فيما يخص القطاع العام تشير دراسة عن تجربة الغزل الرفيع إلى أن مستويات الحضانة متدنية إلى حد كبير ولذلك تفضل النساء ترك أطفالهن مع الاهل أو الجيران. أما فى مصانع القطاع الخاص تشير الاستاذة / صفاء أن الكثير من اصحاب المصانع يتجنبون القانون عن طريق تشغيل أقل من مائة عاملة بعدد قليل . ولكن تثبت تجربة عاملات شبرا ان اصحاب المصانع لا يلتفتون إلى هذا القانون. أصلا وعندما سألتهن عن هذا «المكتسب» بالذات ضحكن منى وقالت واحدة: «يا حلاوة يعنى يشغل الست وكمان يعمل حضانة.. هو احنا لاقين حته نقف فيها فى المصنع لما هيعملوا حضانة!» واضافت أخرى:« ده إذا كان مفيش نقابة ولا صندوق زمالة حيكون فيه حضانة». واتضح من الحوار أن معظم الأمهات العاملات يودعن أطفالهن فى حضانات منزلية بـ ٣ لـ ٥ جنيه فى الشهر.

ولخصت عاملة ملمارنيت الكلام حول قضية القانون بقولها:« عندنا فى حجرة الأمن ورقة كبيرة متبروزة مكتوب فيها قانون تشغيل النساء وفيها حاجات كثيرة وبنشوفها ونضحك لان مفيش حاجة فيها بتطبق خالص!».

ويرى بعض المحللين أن القوانين المجحفة لحقوق المرأة والتى لا تراعى واجباتها فى الوضع والحضانة هى محاولة من قبل الدولة المأزومة اقتصاديا لتهميش دور المرأة فى الانتاج .وفى المذكرة التفسيرية لمشروع القانون الموحد- تلاحظ صفاء زكى أنه تم إضافة النص التالى لتفسير المادة ١٣٢ «يجوز للعاملة أن تنهى عقد العمل سواء كان محدد المدة أو غير محدد المدة بسبب زواجها أو حملها أو انجابها» وتقول المذكرة «وذلك تشجيعا للعاملات عند انهاء علاقة العمل .. لرعاية الاسرة فى المجتمع المصرى».

ولكن الواقع يقول غير ذلك . فالظروف الاقتصادية الطاحنة تحتم على المرأة أن تخرج للعمل مهما كانت الظروف صعبة ومؤسسة الاسرة تدعمها الرأسمالية فى الايديولوجيا السائدة ولكن فى حالة مصر فى الأعوام التالية يمكننا أن نقول أن ذلك ليس هدفه إبقاء المرأة بالمنزل ولكن لضمان خروجها للعمل بشكل موسمى وان تقبل شروط أكثر إجحافا عن الرجل بحجة انها «تساعد فقط» وان دورها الاساسى بالمنزل.

فالواقع والقانون يقولان للمرأة اعملى ولكن فى أكثر الظروف اضطهادا واستنزافا وايضا كونى المسئولة عن اعادة انتاج الطبقة العاملة.

إذا أردنا ان نتبنى ونطور قضايا المرأة العاملة فعلينا ان نبدأ فى المصنع.. فى مكان عملها ونواجه المشاكل الفعلية التى تعانى منها وبحث امكانية تطوير أشكال التضامن فى العمل فى مواجهة رأس المال وليس التركيز على القوانين.

* تغيب أعمال النساء غير المدفوعة الأجر من كل الاحصائيات مثل: الأعمال المنزلية وتربية الأطفال وجزء كبير من عملها فى القطاع غير الرسمى.

على هاتين الصفحتين نعرف القارئ بأحدث ما تصدره المطابع العربية من عناوين .. لنختار منها ما يضيف إلي مكتبته، أو يحاول قراءتها فى الكتبخانة العمومية.. ونلفت نظر الناشرين العرب الذين يرسلون إلينا باصداراتهم ،إلى أهمية ذكر أثمان بيع الكتب ، ليكون القارئ على نور قبل الشراء.

صلاح عيسى

□ الكتاب: لطيفة الزيات ، الأدب والوطن.
□ تحرير: د. سيد البحراوى.
□ الناشر : نور (دار المرأة العربية للنشر) ومركز البحوث العربية/ القاهرة ١٩٩٦.
□ ٢٤٠ صفحة قطع كبير جدا ٥ر٢٢سم× ٣٠سم. عشرون جنيها مصريا.

اشترك فى تأليف هذا الكتاب ٣٥ كاتبا وأديباً عربياً من مصر ولبنان والعراق وفلسطين والمغرب وسوريا والأردن. وهو يضم أعمال ندوة بعنوان« الأدب الوطنى- نحو صياغة جديدة للعلاقة بين الكتابة والسياسة»،عقدها مركز البحوث العربية بالقاهرة،فى أكتوبر ١٩٩٥ واهداها إلى د. لطيفة الزيات، بمناسبة بلوغها السبعين، واختصها بالمحورين التطبيقيين فى أعمال الندوة، التى درست وناقشت أعمالها الابداعية والنقدية، كنموذج للعلاقة بين الكتابة والسياسة وبين الأدب والوطن، كما شملت كذلك شهادة ثمانية من المبدعين، عن تأثيرها الخاص والعام.

وفى المحور النظرى، تناولت الندوة العلاقة بين الكتابة والسياسة عبر ستة أبحاث، استعرضت تطور علم الجمال فى النظرية الماركسية، كما عكس المحور الأخير- الوطن فى الأدب المعاصر- احساسا بالتشاؤم لأن الابداع المعاصر فى معظمه قد قل اهتمامه بالوطن والسياسة وانحصر فى هموم الذات.

اخراج انيق وجميل للفنان عدلى رزق الله الذى صمم الغلاف ونسق الصفحات الداخلية.

□ الكتاب:: الصينيون المعاصرون/ جزءان.
□ المؤلف : ووبن. ترجمة : د. عبد العزيز حمدى.
□ الناشر: سلسلة عالم المعرفة/ الكويت/ ١٩٩٦.
□ ٣٣٦ صفحة / قطع متوسط. ثلاثة جنيهات للجزء.

تخرج مؤلف هذا الكتاب فى قسم الفلسفة بجامعة نانكين عام ١٩٨٢، وهو يعمل باحثا بمركز للابحاث الفلسفية، يهتم اهتماما خاصا بالابحاث المتعلقة بالشخصيات القومية للشعوب.

وفى هذا الكتاب، الذى صدر فى جزئين عن سلسلة عالم المعرفه، التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة فى الكويت، يركز المؤلف على الأصول الفكرية والاجتماعية، التى تشكل شخصية الشعب الصينى، وينقل لنا تجربته في التحديث والتنميه، باعتبارها محصلة تفاعل بين الثقافة الكونفوشوسية التى تمثل أصالته، والثقافة الغربية التى تمثل صفة المعاصرة فيه، ويكشف عن أهم العوامل التى أدت إلى نجاح تجربته التنموية.

ويستعرض الكتاب فترة الانتقال فى الصين من القديم إلى الجديد ،وما ترتب عليها من مشاعر قلق وهواجس ،وما أدى إليه خروج الشعب الصينى من مرحلة عبادة الأبطال إلى عبادة الشخصيات النجومية، من إعادة تصوير للشخصيات المثالية للأمة الصينية، ثم ينتقل إلى الرؤية المركبة عند الصينيين المعاصرين، وكيف تطورت الشخصية الصينية عبر حركة التحديث..

والكتاب إطلاله هامة على شعب ذى حضارة عريقة، لعب فى التاريخ الانسانى، بما فى ذلك التاريخ المعاصر أدواراً بالغة التأثير.

□ الكتاب: السرد السينمائى.
□ المؤلف : فاضل الأسود.
□ الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب /١٩٩٦.
□ ٣٩٦ صفحة/ قطع كبير.

تقدم هذه الدراسة دعوة ملحة للبدء فى تأسيس مشروع نقدى سينمائى جديد، لقصور أدوات النقد التقليدى وعجزها عن معالجة النص الابداعى السينمائى،وفى رأى المؤلف أن هذه الأدوات تعتمد على مرجعيات تجاوزها الزمن، وخاصة بعد الكشوف العلمية الحديثة، فى مجال البصريات والضوء.

وعلى العكس من النقد التقليدى، فان النقد السينمائى الحديث كما يقول المؤلف ينفى الادعاء بان نظرية السينما تنبع من داخلها ويدعو للاستعانة بأدوات ابداعية ومعرفية اضافية، منها - فضلا عن البصريات والضوء- علم النفس والفلسفة والنقد الادبى واللغويات. وهو ينظر إلى النص السينمائى بوصفه وحدة عضوية واحدة ومترابطة. وعلى العكس منه، فهو يتجاوز جانب سببية الاحداث -وتسلطها لتركز على آليات السرد وتطبيقات المعالجات الزمانية وتجليات المكان، باعتباره عنصرا فاعلاً فى مسار العمل ،وليس مجرد خلفية للاحداث.

ويناقش المؤلف اطروحاته النظرية فى النصف الأول، بينما يخصص النصف الثانى لتطبيقها على أربعة أفلام روائية بينها فيلمان طويلان هما «ناجى العلى» لـ «عاطف الطيب» والمواطن كين «لـ أوسون ويلز» ، وفيلمان قصيران ، هما «حكاية الأصل والصورة» لـ «مدكور ثابت»و «الفلاح الفصيح» لـ« شادى عبد السلام»، يرى المؤلف أنها تتميز بأسلوب غير مألوف فى السرد السينمائى.



☐ **الكتاب: عزيز عيد/ طائر الفن المحترق.**
☐ **الكاتب: صفاء الطوخى.**
☐ **الناشر: مطبوعات المسرح الكوميدى (٧).**
☐ **١٥٤ صفحة / قطع متوسط.**

هذا هو الكتاب السابع من سلسلة «مطبوعات المسرح الكوميدى» التى بدأ المخرج عصام السيد اصدارها- بشكل غير دورى- منذ توليه إدارة المسرح. وهى سلسلة من الكتب الممتازة تهتم بنشر مختارات من تراث المسرح الكوميدى فى مصر. ونبش دراسات تاريخية ونقدية عن أعلامه وقضاياه.

وفى هذا السياق نشرت السلسلة نصين للمؤلف «أمين صدقى» ونصاً لبيرم التونسى، وآخر عن منيرة المهدية ، قدمت لها بمقدمات تحليلية تضيف الكثير من المعلومات عن النصوص وأصحابها..

وينظر هذا الكتاب إلى عزيز باعتباره أول مخرج مسرحى بمعناه الحقيقى في مصر، خلق تياراً مسرحياً، وظل يكافح لكى يصبح فن المسرح فى مصر فناً حقيقياً. ويستعرض عشقه للمسرح الذى بدأ فى عام ١٩٠٤ مع فرقة القرداحى، ثم محاولته لتقديم فن مسرحى مع نجيب الريحانى وجورج أبيض، فى مواجهته موجة الفنون الهابطة التى سادت فى الحرب العالمية الأولى، إلى أن بدأت فرقة رمسيس التى بدأ معها مجده الحقيقى، قبل أن يستقل مع زوجته فاطمة رشدى بمسرح مستقل، يستكمل على خشبته تأكيد تقاليد المسرح ،والتجديد فى أسلوب الاخراج المسرحى.. إلى أن مات وحيداً.. مهملاً .. منسيا ..حتى اليوم.

☐ **الكتاب : المقاومة وارهاب المكر الصهيونى.**
☐ **المؤلف : صافيناز كاظم.**
☐ **الناشر : مركز يافا للدراسات والابحاث/ القاهرة ١٩٩٦.**
☐ **٨٠ صفحة / قطع كبير/ أربعة جنيهات.**

الكتاب الأول الذى تصدره اللجنة العربية لمساندة المقاومة الاسلامية فى لبنان، وهو يضم مجموعة من المقالات والدراسات التى نشرتها الصحف والدوريات العربية، للكاتبة الكبيرة صافيناز كاظم .يدور القسم الاكبر منها عن الصراع العربى/ الاسرائيلى،باعتباره-كما ترى الكاتبة- صراعاً ضد الاسلاميين والمسلمين من خلال صور قلمية لاثنين من شهداء المقاومة الاسلامية ضد الارهاب الصيهونى هما« فتحى الشقاقى» و«راغب حرب» ، واثنين من أبطال المقاومة الاسلامية التاريخيين هما«صلاح الدين الأيوبي»، وأم الشهداء «زينب بنت على» ، وهو قسم ، ربما لا يثير لدى القارئ، أى خلاف مع المؤلفه..

أما القسم الآخر من الكتاب، فهو يتضمن نماذج من اشكال المقاومة ،التى تمارسها صافيناز كاظم ضد من تسميهم بالعلمانيين والتغريبيين والتنويريين مهزومى الروح، وهو قسم سوف يثير معارضة كثيرين ، أشك فى أن يجسر أحد منهم على إعلانها.

☐ **الكتاب: تكوين مصر عبر العصور.**
☐ **المؤلف : محمد شفيق غربال.**
☐ **الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب/ مكتبة الاسرة ١٩٩٦.**
☐ **١١٢ صفحة/ قطع متوسط/ جنيه واحد.**

بعكس «هيرودوت» الذى كان يرى أن «مصر هبة النيل»، فقد كان «محمد شفيق غربال» يرى أن «مصر هبة المصريين»، وهذا الكتاب الصغير ، واحد من المحاولات القليلة التى قام بها مصريون لتنظير التاريخ المصرى، واكتشاف الفلسفة النوعية لتطوره، ومؤلفه هو مؤسس مدرسة التاريخ المصرى فى الجامعة، وهو يحاول فى هذا الكتاب تطبيق نظرية التحدى والاستجابة ، التى يفسر بها«توينبى» التاريخ، على تاريخ مصر فى مختلف العصور، باعتبار أنه نتاج لتحدى المصريين للعوامل الجغرافية والتاريخية، التى كانت تحيط بهم..

صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٥٧، وظل مختفيا لمدة تقرب من اربعين عاما ، إلى أن صدرت له مؤخرا طبعتان الأولى عن سلسة تاريخ المصريين والثانية عن مكتبة الاسرة.



أحمد بهاء الدين

كنت- كغيري- نتوقع هذه اللحظة ونكرهها.. لحظة رحيل «أحمد بهاء الدين» عن عالمنا ،بعد أن غيّبه عنا هذا المرض اللعين منذ ست سنوات.

علمت بخبر الوفاة من الصديق «طارق البشرى»- وكنا معا على شاطئ العريش- فدخلت فى حالة من الصمت، توالت خلالها عديد من الذكريات بدءا من الخمسينات والستينات، عندما تعرفت على «الأستاذ بهاء» كقارئ وأنا ما زلت طالبا فى الجامعة ، ثم كصحفى يبدأ حياته العملية تحت رئاسته فى أخبار اليوم فى يناير ١٩٦١.

حسين عبد الرازق


محمد عوده


فيليب جلاب


د. ابراهيم سعد الدين

كان هناك دائما فى العلاقة مع **أحمد بهاء الدين** تداخل شديد بين الخاص والعام. فى بداية حياتى الصحفية كنت لعدة سنوات تلميذا لبهاء- وما أزال- ومروسا له، وفى نفس الوقت كان بالنسبة لى صديقا وأخا أكبر. ويستحيل الفصل بين الخاص والعام بالنسبة لبهاء، فهما وجهان لعملة واحدة، فالتكامل فى شخصيته حقيقى تماما.

كل ما عنده للشباب

بدأ تعارفى المباشر معه عندما اصطحبنى استاذى وصديقى «**محمد عوده**» إلى مكتبه وقدمنى له ورشحنى للعمل معه فى الصحافة.

رحب بى بأدبه وهدوئه المعتاد ترحيبا حذرا. وسرعان ما تلاشى هذا الحذر بعد أن تكررت اللقاءات بيننا فى مكتبه أسبوعيا. خيرنى بين العمل فى الشئون العربية أو الافريقية وشرح لى مميزات وعيوب العمل- مهنيا- فى كلا المجالين واخترت الشئون الافريقية.

وفى كل أسبوع اقترح عليه موضوعا وبعد الاتفاق على الموضوع وكتابته، أعرضه عليه ليقرأه ويبدى بعض الملاحظات ويكلفنى باعادة الكتابة. وفى الاسبوع التالى أكتب موضوعا جديدا، وهكذا لعدة أسابيع متتالية دون أن يفسر لى أى شئ.

فى الأسبوع الأخير من أبريل أبلغنى أن مقالى عن كينيا سينشر فى العدد القادم من أخبار اليوم. فوجئت بعمود صغير (٤٠ كلمة) منشور فى الصفحة الثانية من **أخبار اليوم** تحت عنوان «**فى افريقيا**» وعليه توقيعى. كان المقال الذى قدمته يتجاوز ١٢٠٠ كلمة. قرأت العمود فاذ به كل الافكار الاساسية للمقال، وبنفس الالفاظ والعبارات.. وذهبت للقائه فى المكتب. ما وإن دخلت حتى سألنى «معاك سجاير» وأجبته «مابدخنش» ضحك قائلا «حدخن فى أقل من سنة» ثم سألنى «معاك ربع جنيه» وأجبته بالايجاب. كان «بهاء» قد نسى السجائر والمحفظة والفلوس. المهم أشترى علبة سجائر كليوباترا، وأغلق علينا الباب، وأمضى معى ساعة ونصف يشرح لى بأستاذية حقيقية الاخطاء التى وقعت فيها صحفيا، والفرق بين المقال والعمود، وكيفية بناء الموضوع، وفى نهاية «الدرس» أبلغنى أنه ابتداء من هذا العدد سأكتب عمودا أسبوعيا فى حدود ٤٠٠ كلمة تحت عنوان «**فى أفريقيا**»، وضحك قائلا: إنت كاتب عن كينيا- المقال الذى تحول إلى عمود- وكأنك ستكتب عنها لآخر مرة، حشدت كل ما لديك من معلومات عنها. ونسيت أنك ستكتب عنها خلال هذا العام ٢٦ مرة على الأقل. وهذا ما حدث فعلا.

بالطبع لم تتكرر هذه الجلسة التعليمية الطويلة بعد ذلك ولكن الدروس التى كان يقدمها لى فى كل لقاء أو حديث، ومن خلال كلمات قليلة معبرة، كانت هى بداية طريقى إلى عالم الصحافة. وبفضله بدأت «كاتب عمود»، أى من النهاية التى يسعى إليها كل صحفى.

العروبة .. العروبة

توثقت علاقتنا بسرعة. واستمتعت بمناقشاته التى كانت تدور حول كل قضايا الوطن وحكاياته وأحاديثه التى فتحت أمامى عالما واسعا فى السياسة والثقافة والفن والبشر. ورغم تخصصى فى أفريقيا، فقد كان حديث الوطن العربى يحتل مكانا بارزا دائما فى أي لقاء معه، فى العمل أو خارجه. وقدمنى فى ذلك الوقت لكثير من الشخصيات العربية.

فى سبتمبر ١٩٦١ وقع الانفصال فى سوريا وعلى غير العادة لم يترك بهاء مكتبه فى الثانية ظهرا وواصل العمل. اقتحمت عليه المكتب لا نقل إليه خبرا استمعت اليه لحظتها. **فوجئت بأحمد بهاء الدين يبكى هزتنى المفاجأة وعقدت لسانى**. كفكف دموعه بسرعة وسألنى عن الأخبار. **كان فى يده بيان تأييد للانفصال من ضمن الموقعين عليه «صلاح البيطار» صديق بهاء وواحد من قادة حزب البعث ودعاة الوحدة العربية !.**

لا .. يا شيخ

كان العمل مع «بهاء» والتعامل معه فرصة لدروس عديدة مهنية وأخلاقية. أذكر أثناء انعقاد المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية عام ١٩٦٢ تمهيدا لإصدار ميثاق العمل الوطنى، أن نقاشا حادا دار بين الاستاذ **أحمد بهاء الدين** وأحد الشيوخ الأجلاء الذين شاركوا فى هذا المؤتمر وشنوا هجوما على حقوق المرأة وتحررها. ورد بهاء بمقال جميل عنوانه «**لا .. يا شيخ**» عبرت عن اعجابى بالمقال والافكار التى وردت فيه. ودار نقاش على موقف هذا «الشيخ» وأفكاره ورد بهاء. وقال لى أن مراسل أخبار اليوم فى لندن بعث له برسالة تعرضت لابنة «الشيخ» التى تدرس فى لندن وأسلوب حياتها المتحرر، موثقا بصور لها مع بعض زميلاتها وزملائها من العرب والأجانب فى مرحهم وسهراتهم، ليستخدمها فى رده على «الشيخ». ورفض «أحمد بهاء الدين» بالطبع استخدام الرسالة أو الصور. **فالخصومة مع «الشيخ» خصومة فكرية وسياسية- اذا جاز التعبير -لا يجوز أن تستخدم فيها مثل هذه**

الاسلحة الفاسدة ، وأن يتم التشهير بفتاة تعيش بغثتها بطريقة طبيعية انسانية لا تشين، تقتحم حياتها الخاصة لمجرد اظهار التناقض بين القول والفعل فى موقف والدها الشيخ، وتقدم للرأى العام وكأنها ترتكب خطيئة!.

كانت الموضوعية والاستقامة ورفض التجريح الشخصى فى الخلافات الفكرية والسياسية ، جزءاً من شخصية وموقف أحمد بهاء الدين.

حكمة بهاء

فى عام ١٩٦٣ انتقلت من العمل فى **أخبار اليوم** للعمل فى **الجمهورية** ،وانقطعت صلة العمل بأحمد بهاء الدين، أقصد العمل المباشر معه، فقد استمرت العلاقة الشخصية- كان بهاء أحد شاهدين على عقد زواجى عام ١٩٦٤ من **فريدة النقاش**- والنقابية والسياسية، وأيضا علاقة العمل بصورة غير مباشرة.

مثلا فى عام ١٩٦٤ وعقب الصدام العسكرى بين الجزائر والمغرب فى« كولمب بيشار» سافرت مبعوثا من الجمهورية إلى الجزائر لمتابعة الموقف. ما كدت أصل إلى الجزائر حتى انتهى الصدام المسلح. وركزت على قراءة وفهم الأوضاع الداخلية فى الجزائر، وكانت الأحداث فى الدخل تتطور بسرعة مذهلة. تصادف وجود **لطفى الخولى وأحمد بهاء الدين** فى الجزائر فى نفس الوقت ، والتقينا أكثر من مرة، وساعدانى فى فهم الموقف الجزائرى ،والصراعات والخلافات بين قادة جبهة التحرير وطرح بهاء أمامى جوانب عديدة للوضع فى الجزائر وجهتنى لاجراء اتصالات بذاتها. فى النهاية كتبت مقالا فى الجمهورية حول **خلافات العام الأول بين الثوار والمعارضة** حمل نوعا من النبوءة حول ما جرى بعد ذلك عام ١٩٦٥ من استيلاء بومدين على السلطة، وطرحت على القارئ فى مصر لأول مرة حقائق ما يجرى داخل الجزائر.

عقب هزيمة يونيه ١٩٦٧ القيت عدة محاضرات فى الاتحاد الاشتراكى (الدقى- السيدة- السويس..) حول الاستعمار الجديد والعدوان على مصر. كنت وقتها أعمل فى نشرة الاشتراكى التى تصدرها أمانة الدعوة والفكر وأمينها **كمال الدين رفعت** ، واحاضر حول تجارب التحول الاشتراكى فى العالم الثالث فى المعهد الاشتراكى وأمينه الصديق **د. ابراهيم سعد الدين.**

بعد أسابيع استدعيت للتحقيق فى الاتحاد

مواقف حاسمة لنقيب الصحفيين أحمد بهاء الدين من مظاهرات الجامعة وفصل الصحفيين

الاشتراكى بتهمة «هجومى» على القيادات السياسية والعسكرية وتحميلها مسئولية الهزيمة فى يونيه. وتصاعد الأمر لاستدعائى مرة أخرى ليحقق معى الأمين العام للاتحاد الاشتراكى وقتئذ «**عبد المحسن أبو النور**» ثم يصدر قرار من اللجنة التنفيذية العليا بفصلى من الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى «**طليعة الاشتراكيين**» بتهمة تحريض العمال والفلاحين على الثورة. ثم أرسل الأمين العام للاتحاد الاشتراكى إلى رئيس مجلس ادارة دار التحرير (الجمهورية) يطلب فصلى من العمل ،على أساس أننى فقدت عضوية الاتحاد الاشتراكى ،وهى شرط لممارسة العمل!.

أثار هذا القرار غضب وقلق عديد من الصحفيين، وباتفاق بين **أحمد بهاء الدين** والصديق **فيليب جلاب** (رحمهما الله) أعد فيليب طلبا بعقد جمعية عمومية طارئة لنقابة الصحفيين وقعه وعدد من الصحفيين وسلمه لأحمد بهاء الدين. وطلب بهاء مقابلة عاجلة من الأمين العام للاتحاد الاشتراكى «**على صبرى**» الذى عين قبل أيام بدلا من **محسن أبو النور** .وفى هذه المقابلة أبلغه أن هناك ثورة فى صفوف الصحفيين ضد فصل صحفى من عمله لمجرد فقده لعضوية الاتحاد الاشتراكى.

وأن معه طلباً من ٤٠٠ صحفى يطلب عقد جمعية عمومية طارئة لمناقشة هذا الأمر (لم يكن عدد الموقعين على هذا الطلب قد تجاوز العشرات حتى هذه اللحظة) . وأن هذه الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين- إذا عقدت- ستكون فى مواجهة السلطة، خاصة فى مناخ الهزيمة. و... ودفع على صبرى إلى إتخاذ قرار بتجميد قرار الفصل من العمل والاكتفاء بقرار سابق بالمنع من الكتابة.

العدوان

وتتوالى التجارب والمواقف، وفى كل يوم يضيف بهاء قيمة جديدة .

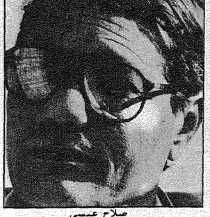
وكما كان لبهاء- نقيب الصحفيين- موقف حاسم إلي جانب حرية الرأى ، وفهم واعي لأحداث الجامعة ولمظاهرات الطلاب بعد صدور أحكام الطيران عام ١٩٦٨ ، وأصدر مجلس النقابة برئاسته بيانا هاما حول هذه الاحداث أغضب السلطة الناصرية (وهى القصة التى حكاها الصديق **صلاح الدين حافظ** سكرتير النقابة حينئذ ونشرها فى الأهرام)، **كان له موقف حاسم أيضا، عقب الصدام بين السادات والصحفيين والكتاب والمثقفين ، واصداره لقرارات لجنة النظام فى ٤ فبراير ١٩٧٣ بفصل عدد من أبرز الصحفيين من الاتحاد الاشتراكى ، ومحاولة فصلهم من العمل.**كانت القائمة تضم ٦ من أعضاء مجلس نقابة الصحفيين(**يوسف ادريس- مصطفى نبيل- مكرم محمد أحمد- محمود المراغى- أمينة شفيق- كمال سعد**)وعدد من أبرز الكتاب منهم **أحمد عبد المعطى حجازى، فيليب جلاب، محمد عوده، حسين عبد الرازق، فريدة النقاش، عبد العال الباقورى، محمد العزبى، لويس عوض».**

كتب بهاء عموده فى الأهرام تحت عنوان «**بدلا من العنف المتبادل**» حول هذه القرارات . ووقعت المفاجأة المذهلة منع الرقيب بناء على تعليمات السادات نشر المقال. وأصدر السادات- عبر لجنة النظام بالاتحاد الاشتراكى- قراراً بنقل ما يقرب من ٦٠ من كبار وشباب الصحفيين إلى مصلحة الاستعلامات. وتصدر اسم «**أحمد بهاء الدين**» هذه الأسماء. كان الحكم قد فقد العقل تماما. **فالنظام الذى يتخذ اجراء مثل هذا ضد أحمد بهاء الدين، نظام فاقد للشرعية.**

ورددنا - نحن المفصولين- على هذا



فريدة النقاش



صلاح عيسى

اختلف مع «الأهالي» بتقدير واحترام

وافسحت له صفحاتها لنشر مقاله الذى رفضه الاهرام

الجنون بتوجيه ضربة إعلامية للسادات. نجح أحد الزملاء فى الحصول على جمع عمود بهاء (سلخة الجمع) مؤشرا عليه من الرقيب «لا ينشر» وأرسلت هذه السلخة إلى الصديق «غسان شرارة» رئيس تحرير مجلة «البلاغ» اللبنانية، لينشر صورة «السلخة» بتوقيع الرقيب على الغلاف ، ونص المقال الممنوع فى الداخل وجن جنون السادات وبطانته . فلم يكن أحد يعرف لماذا نقل بهاء إلي الاستعلامات.

خلاف .. وحوار

وخلال رئاستى لتحرير صحيفة «**الأهالى**»(مايو ١٩٨٢- يونية ١٩٨٨) كان هناك أكثر من تجربة مع " **أحمد بهاء الدين**".

عشية الانتخابات البرلمانية الأولى فى عهد مبارك (١٩٨٤) والتى تمت بالقائمة النسبية الحزبية المشروطة ، كتب بهاء فى عموده " يوميات" يقول إن البرامج التأسيسية لكافة الأحزاب متشابهة ، وطالب بأن تقدم كل منها برنامجا انتخابيا للسنوات الخمس القادمة يحدد مواقفه من القضايا المطروحة فعلا.

وكتب " صلاح حافظ" فى الجمهورية كلاما مشابها مدينا أحزاب المعارضة . وأحسسنا فى الأهالى والحزب بالظلم . وقررت الرد على بهاء وصلاح حافظ وكتبت مقالا تحت عنوان " **حوار مع أحمد بهاء الدين وصلاح حافظ .. عفوا لقد ظلمتما المعارضة وظلمتما الحقيقة** " وكان رد فعل بهاء ايجابيا للغاية ، وبدا ذلك واضحا فيما كتب بعد ذلك عن الانتخابات وعن خالد محيى الدين.

ثم وقع خلاف بين الأهالى **وأحمد بهاء الدين** ، عندما سافر الزميلان **فريدة النقاش وصلاح عيسى** إلى ليبيا ، وأجريا حديثا طويلا مع" القذافى" نشر فى الأهالى . وكان من أهم الضربات الصحفية والسياسية فى ذلك الحين . وإن آثار مشكلة داخل حزب التجمع ، وتعرضت الأهالى بسببه لحملة تشهير فى الصحف القومية شارك فيها كل كتابها تقريبا.

بعيدا عن هذه الحملة ، كتب **أحمد بهاء الدين** فى الأهرام معبرا عن أسفه لاجراء هذا الحديث مع القذافى ونشره . واختار **صلاح وفريدة** أن يردا على أستاذنا **أحمد بهاء الدين** برسالة بعثا بها إليه . وفى احترام وتقدير نشر بهاء معظم الرسالة فى عموده " يوميات" وعلق عليها بود واحترام رغم استمرار الخلاف.

وعندما منع عمود لبهاء من النشر فى الأهرم وأحس أن ضميره يفرض عليه أن يرفض هذا المنع ، وأن يعمل على نشر كلمته فى أى مكان ، اتصل بى فى الأهالى ليبلغنى أنه كتب بابه " يوميات" فى الأهرام حول جريمة اعدام "**محمود محمد طه**" فى السودان ، ولكن رئيس تحرير الأهرام رفض نشره . وسألنى هل تستطيع الأهالى نشره . أجبته بحماس: إن هذا شرف وواجب على"**الأهالى**"وحصلنا على المقال الممنوع ونشرناه فى الصفحة الثالثة مع إشارة فى الأولى وصورة للأستاذ بهاء الدين وكان عنوان المقال .." **إعدام السودانى الطيب**"

لم يكن مايشغله قضية صحفية وموضوع النشر ، ولكن **ماكان يشغله الموقف الانسانى وضمير حى يرفض أن يعدم إنسان لرأيه ، أيا كان هذا الرأى** .ولكن الصحافة" القومية" كانت ملتزمة بسياسة الحكومة التى كانت تساند النميرى وكل تصرفاته ضد الشعب السودانى بلا حدود.

اللقاء الأخر

وتمضى الأيام ، وبهاء هو هو نموذج للعقلانية والاستقامة والمصداقية مع النفس والحماس للجديد.

ولم يكن ممكنا أن نفكر فى اصدار مجلة" اليسار" دون أن أرى **أحمد بهاء الدين** وأعرض عليه الفكرة وتخطيطنا والاقتراحات الخاصة بالشكل وبمواد العدد الأول . واستقبلنى فى مكتبه بالأهرام . وكان مقبلا على الحديث معى بصورة غير عادية . تنقل من موضوع إلى آخر . من الخاص إلى العام . وعندما تعطل زواره فى الخارج اعتذرت وحاولت القيام ولكنه كان يستبقينى فى كل مرة . وفاجأنى حماسه الشديد لفكرة مجلة"**اليسار**"وللاسم الذى اخترناه لها. وشجعنى ذلك على أن أطلب منه أن يكتب لنا فى العدد الأول الذى يصدر بعد أسابيع فى مارس(١٩٩٠) ، ووافق على الفور . وحدد لى موعدا لاستلام المقال طالبا منى الاتصال به قبلها بيومين لتذكيره بالموعد . واتصلت به فى المنزل وأكد لى أن المقال سيكون جاهزا خلال ٤٨ ساعة . ولم أتسلم هذا المقال أبدا . ولم أر "**أحمد بهاء الدين** "بعد ذلك ، فقد داهمه هذا المرض فى اليوم التالى ، وغاب عنا طوال هذه السنوات الست ، تشبثنا خلالها – نحن تلامذته وأصدقاءه – بأمل فى معجزة الشفاء ، إلى أن رحل عن دنيانا الفانية ،**تاركا وراءه رداً لايفنى من الكتابات والمعانى والقيم والدروس**.

أحمد بهاء الدين

الاشتراكى الديمقراطى العقلانى


الكاتب الكبير مع حفيده بهاء

فريدة النقاش

«أحمد بهاء الدين» صحفى وكاتب من ذلك النوع النادر الذى يحظى بما يشبه الإجماع على امتداد الزمن ليصبح عموده الصباحى فى الأهرام لسنوات طويلة مرجعا ومعياراً يشابه التوجيه اليومى لمئات الآلاف من القراء الذين منحوه ثقتهم لأنه لم يستخف أبدا بعقولهم كما يفعل الكثيرون من كتاب الأعمدة الثابتة، بل إن بهاء حرص بصورة حازمة على أن يستفز العقل ليعمل، ويستدعى المنطق ليكون أداة فى يد هذا العقل الذى يؤمن الكاتب بقدراته وسلطانه، وينفى بحسم استعصاء أى قضية على قدرات هذا العقل إذا ما تخلص من الأوهام والخرافات.

ولعل أبرز ما يلفت النظر فى كتابته عموما وعموده القصير خصوصا هو هذا التجلى الباهر للوعى بالتفاصيل، والقدرة على التقاطها وإضافة المعلومات إليها وتحليلها تحليلا عميقا واستخلاص دلالاتها الأشمل فتخرج هذه التفاصيل من إطار الثرثرة لتندرج كأجزاء صغيرة من منظومة فكرية شاملة سياسية اقتصادية ثقافية.

يتحدث عن «أتعس الأخبار» وهو سرقة ثلاثة آلاف فيلم، كلها أفلام تسجيلية وتاريخية نادرة تسرق من المركز القومي للسينما فيقول:« ليس لأن سرقة هذه الأفلام هى سرقة لتاريخ وذاكرة شعب ووطن، وليس لأنها تجعل حياتنا القريبة مجهولة، وكأنها حدثت من العصر الحجرى مثل ظهور التسجيل السينمائى».. ثم يقول:«هل صارت مكونات المجتمع والدولة مستباحة إلى هذا الحد المأساوى؟ ألا توجد إرادة لوقف هذا الانهيار؟.

لقد ضرب المرض فى كل النفوس ، بصراحة ، صار المصريون فى حاجة إلى علاج، المأساة طرفاها الدولة والمواطن معا».

ويقول فى عمود آخر، مستخلصا معنى خطيرا يحكم حياتنا الآن بصورة قاسية:«مصر بلد يحكمها ويربط بينها جهاز حكومة منذ آلاف السنين ،وانهيار مقاومة هذا الجهاز كارثة يصعب حسابها بالملايين والبلايين..»(١).

وهو يعتذر عن اضطراره بسبب ضرورات النشر الصحفى-إلى تجزئ المشكلات والقضايا.

«فيبدو أن النشر بهذا الشكل المجزأ عن كل فرع من الفروع الصغيرة لا يوضح لبعض القراء أنها فروع من مشكلة كبرى متفاقمة ومتضخمة(٢)».

ويقول فى مجال آخر:

«فخطة لإصلاح التعليم لن تنجح إلا كجزء من خطة عامة أشمل(٣)».

وتتسم هذه الرؤية الشاملة المستقاة دائما من التفاصيل الواقعية لا التجريدات النظرية ببعد نظر نفسى، وعمق فى التحليل يحرص على عدم استبعاد أى عنصر حتى لو كان صغيراً أو قليل الأهمية من العناصر المكونة

للموقف أو للصراع أو الشخصية التى يدرسها. وهو قد سبق فى ذلك بعض المؤرخين الواقعيين أصحاب المدرسة الجديدة العلمية الموضوعية الذين استبعدوا من علمهم وأدواته كل ما هو ذاتى وشخصى فى بعض الصراعات التاريخية الكبرى، ثم عادوا إلى تحليلها بعد أن تبين لهم أن هذه العناصر التى تنهض فى الأساس على الموقع الطبقى والخيار الاجتماعى والثقافى للشخصية المعنية، تلعب دوراً قد يكون حاسما فى بعض الأحوال رغم صغرها.

وفى مقاله الأدبى السياسى التاريخى الممتع عن «الأمة بين سعد وعدلى» يكتب أحمد بهاء الدين.

«هذان العظميان .. كل منهما جاء من نبع، وسارا فى واد وكل منهما كان يمثل تياراً معينا، فاتفاقهما تحالف بين التيارين، وخلافهما صراع بين القوتين يكتب فيه النصر لتيار والهزيمة لآخر،ومن النصر والهزيمة يولد التطور.

عدلى. سليل الأسرة التركية العريقة، وربيب الطبقة الحاكمة فعلا ،وابن الذوات الذى ولد ليجد كل شئ، مهيأ لاستقباله .. التعليم الرفيع، الآفاق الأوروبية الحديثة، الصداقات الكبيرة التى تمهد سبل الوصول السريع، فان حدث وذهب إلي الريف ،فهو يذهب إلى أملاكه لا إلى بلدته.

وسعد الفلاح بين الفلاحين ،الذى نجد إخوته من يحملون أسماء شلبى وستهم وفرحانه، وإن كان من طبقة متوسطة ميسورة الحال.

عدلى الرقيق الأنيق المرهف ،عيونه الحالمه وشاربه المخفف، وطربوشه المائل فى كبرياء، عليه سيماء رجل مترف،فى غنى عن المطالبة بأى شئ، لأن كل شئ لديه فعلا.

وسعد الخشن العنيف، عيونه المقتحمة وشاربه المنفوش بطربوشه الذى يلبسه ملقى إلى الوراء كما تلبس اللبدة أو «الطاقية» تصرخ هيئته بأنه رجل جاهد واقتحم وطالب بعناد(٤)».

إضافة لهذا الوعى العميق بأثر التكوين الشخصى والطبقى على النفس الإنسانية بل وعلى الشكل الخارجى للشخصية تتضح لنا عناصر الطاقة الأدبية من أسلوب الكاتب، تلك اللغة المفعمة بالمشاعر والتى يمتزج فيها الوصف بالتحليل وتختلط الصحافة بالأدب، فهو يعطى نفسه وعواطفه لكل ما هو إنسانى نبيل وتقدمى ومستنير ،وتفيض هذه العواطف إذا ما اقترب الحديث من الشعب ومن الكادحين عامة فتصفو لغته الأدبية وترق حينئذ..

«وغدت قرية دنشواى لوحة قاسية تعبر عن حالة مصر كلها، أمة مسلوبة مسوقة إلى حتفها تلهب ظهرها العالى سياط الاحتلال، وتنهش لحمها المتمزق غربان المصالح الاقتصادية الأجنبية، وطارت أنباء دنشواى فى القطر الهاجع تهز النائم وتوقظ الغافل،وتشير باصبع من الدم إلى حاضر أسود ومستقبل مجهول»(٥).

ولعل منهجه فى كتابه التاريخ أن يفتح لنا الباب واسعا للتعرف على جذور التوجهات الاشتراكية الديمقراطية فى فكره.

فالصراع السياسى يتأسس علي الانقسام الاجتماعى الطبقى وموازين القوة تقوم لا فحسب بين الطبقات ،ولكن وفى حالة البلدان المستعمرة بين مجموع القوى الوطنية والمحتل.و بمدى ما تنحاز الطبقات المالكة أو القصر إلى المحتل أو إلى الشعب بقواه الوطنية تبرز لديها توجهات وطنية ديمقراطية،وحين تبتعد عن الشعب وتتحالف مع المحتل يكون الاستبداد عنوانها.

يتحدث عن الجيل الذى خرج منه مصطفى كامل بعد هزيمة الثورة العرابية فيقول مشيرا إلى نقطة الضعف الرئيسية فى توجه الزعيم الشاب:«لقد خرج هذا الجيل إلى الوجود والوعى ليجد أن انجلترا هى الخصم الرئيسى، وهى التى تستغل مصر وتستبد بها، فظنوا أنها الخصم الوحيد، لم يشهدوا استبداد العرش والأتراك بالمصريين ليكرهوه كما كرهوا استبداد الانجليز ،ولم يشهدوا قصة كفاح المصريين المرير ضد الخديوى حتى استعان الخديوى بالانجليز،كى يدركوا أن الاستبداد المحلى صديق صدوق لاستبداد الأجنبى»(٦).

وفى هذا السياق يسجل قول محمد فريد: إنى خارج إلى سجن آخر.. وهو سجن الأمة المصرية، الذى تحدده سلطة الفرد ويحرسه الاحتلال.

وهو يتحدث عن انقشاع الأوهام حول الموقف الأمريكى منذ بداية القرن ومبادئ ويلسون الأربعة الشهيرة عن حق تقرير المصير للشعوب بعد الحرب الأولى.وعن مفاوضات الوفد المصرى فى لندن من أجل الاستقلال:



فى فكره الوطنى:
ارتبط الاستقلال بالسيادة القومية

«وبعد أربع سنوات من المحنة يتبدد الظلام، ويلتفت المصريون جميعا باحثين عن نصيبهم من نور السلام، من المبادئ الرنانة التى تنادى بها أمريكا بلسان رئيسها ويلسون،والتى لم يتكشف زيفها بعد(٧)».

«ثم تجيئ الأحداث بسرعة، لتعجل بالانقسام، فما أن يضع الوفد قدميه فى باريس حتى تعلن أمريكا خيانتها لكل مبادئها التى تتشدق بها ،وتعترف رسميا بالحماية الانجليزية لمصر..»(٨).

وهو يبنى هذا الموقف من أمريكا الذى يتواصل فى كل كتاباته على أساس القراءة العلمية لتاريخ الاستعمار القديم والجديد. وحين يغير بعض التفصيلات فى موقفه بعد ذلك شأن تأييده لاتفاقيات كامب ديفيد -وإن بتحفظ- أو مطالبته للفلسطينيين بقبول مبادرة ريجان التى لم تتأسس على قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية ،كان يفعل ذلك تأسيسا على تقديره لاختلال موازين القوة لغير صالح القضية العربية فى ذلك الحين، أى انطلاقا من نظرة واقعية عملية لا تضحى بالممكن المتاح من أجل

المستحيل غير المضمون، إذا كان العقل من وجهة نظره لا تحده حدود، فان السياسية هى فن الممكن، وهو لا ينتقد الوفديين الأوائل حين رسموا خططهم على أساس هذا- الأمر- الواقع والذى يفرضه المنتصرون على العالم.

وعندما يتبدد غبار أى معركة كبيرة سرعان ما تكشف مجددا حقيقة الانقسام الطبقى والخيارات السياسة التى ترتكز عليه باعتبارها خيارات مصالح. يقول عن ثورة ١٩١٩ «عبارة الوطنية الواسعة التى شملت الجميع أيام الثورة تتكشف عن فريقين لكل منهما طريق، القوة القديمة، من الأعيان وأصحاب المصالح التى اعتادت أن تكون لها الغلبة والقوة الجديدة الزاحفة(٩)..»

ولذلك ترتبط الوطنية فى كل كتاباته سواء تلك التى تتناول التاريخ الذى انقضى أو ذلك التاريخ الذى يجرى صنعه فى الحاضر بمسألتين رئيسيتين الاستقلال من الأجنبى وتحقيق السيادة من جهة، وسيطرة الشعب على ثروات البلاد من جهة أخرى.

«فلابد إذن أن يتحرر الشعب من كل سيطرة أجنبية ولابد أن يصبح أبناؤه جميعا شركاء فى الحكم، متساوين فى الحقوق والواجبات ،متساوين فى القوة والحرية..(١٠)».

وإذا كان أحمد بهاء الدين يصف بهذه الكلمات أفكار الزعيم الوطنى **«محمد فريد»** فانه فى حقيقة الأمر، إنما يقدم أفكاره هو نفسه التى تنتظم فى كل كتاباته سواء كانت تاريخية أو صحفية يومية.

وعن الصراع الذى دار حول الناصرية يكتب.

«إن السياسات والممارسات محل الصراع والمتخلفة من المراحل السابقة ما زال الكثير منها قائما، وبالتالى فهو صراع سياسى،وليس صراعا بين مدارس تاريخية. وبالتالى أيضا، فان أقوى محركات الصراع هى المصالح والآراء والعقائد،والغرائز..(١١)» ولا تدور مثل هذه الصراعات فى الفراغ وإنما فى الإطار المحدد بطبيعة الدولة أو النظام القائم. ولكل زمان دولة ورجال هناك دولة العمال ودولة رجال المال، ودولة المقاولين..(١٢)».

ورغم أنه يحرص على التنويه- من حين لآخر- لحقيقة أنه لم يعارض سياسة الانفتاح الاقتصادى من حيث المبدأ إلا أنه يصف


أحمد بهاء

لم يعارض الانفتاح لكنه وصفه بأنه انفتاح انفضاحى يؤدى إلى التبعية

الانفتاح فى الممارسة بأنه انفتاح انفضاحى يؤدى حتما إلى التبعية، وهو يعقد مقارنات بين الأوضاع الجديدة وحكم الخديوى إسماعيل الذى أفضى إلى السيطرة الأجنبية المباشرة على البلاد، ويشن حربا شعواء على الطفيلية، ومظاهر الإسراف والفشخرة، ويتابع الكتابة بدأب عن سلسلة القروض المنهوبة والعمارات التى تسقط ويشن حربه الجسورة على الفساد الذى يعدد مظاهره ،ويربط بينه وبين الغياب شبه الكامل للقانون. ولا يكتفى بفضح هذه المظاهر، وإنما يذكر الحلول فى كل قضية يثيرها ،ويلح عليها داعيا قراءة للمناقشة بالرفض أو القبول.

«إن الظروف مناسبة لكى نجعل شعبنا يخوض معركة مكافحة الإسراف ،معركة الانضباط الاقتصادى،وكأنها معركة وطنية،معركة الاستقلال فى مواجهة التبعية».

ويكشف الوجه الثقافى للنشاط الطفيلى غير المنتج والقائم على تكديس الثروات دون عمل حقيقى.

«هذه الفئات ،على شتى مستوياتها ،لا تعرف إلا الانفاق المباشر على أنماط الاستهلاك، الطعام بكثرة، الملابس، أغلى السيارات، واللهو المتسع من اقتناء التلفزيون الملون والفيديو،إلى السهر، وإنفاق مئات الجنيهات على مائدة واحدة، وهى التى تملأ مثلا مسارح القطاع الخاص، بأسعار لا يقوى عليها زبائن المسرح الأصليون الذين انسحبوا من السوق، وكباريهات شارع الهرم للعلم صار يملؤها المصريون بعد أن كانت مقصورة على السياح العرب..(١٣)».

ويتساءل: «هل يكسب المال من يحترم القوانين الموضوعة، أم يكسبه من يخترق القوانين؟.

هل يكسب الفرد قيمة عمله- من العالم إلى الكنائس -أم يكسب الفرد قيمة علاقاته ومصاهراته وبلطجته وإغفاء عين السلطة عنه؟.

هل يكسب المال من يستطيع أن يقدم كشفا بمصدر كل مليم، أم يكسبه من لا يستطيع أن يفسر إحرازه لعشرة ملايين؟.

تلك هى الأسئلة الأساسية؟.

وما السياسة إلا صراع وخلاف حول الأسلوب الذى يوضح أكثر من سواه الفارق بين الجهد والتطفل، بين العدل والظلم بين الحلال والحرام..(١٤)».

والسياسة هى مرآة التاريخ اليومية، فاذا كان التاريخ هو ابن الصراع بأطرافه المختلفة وعادة ما يرتبط تدهور السياسة بتسلط الحاكم الفرد واستشراء الفساد.

وتبين لنا القراءة الجدية للتاريخ أن هذا التاريخ ينتج فى تطوره الموضوعى من علاقات القوة والسيطرة وكدح البشر لتطوير حياتهم، أما الزعامة فلا تولد بالمزاج أو المصادفة أو الاختيار الشخصى،بل أنها تتخلق فى التاريخ أى فى الواقع الانسانى أو فى الثورة التى يصنعها الشعب صانع التاريخ.

«الزعيم لا يصنع الثورة أبداً، ولا يخلقها من العدم، ولكن عوامل الانفجار تتراكم فى قرارة الشعب تدريجيا حتى يصبح الشعب كالبندقية المعبأة، المسددة ضغطة واحدة على الزناد وينطلق البارود، فكل مهمة الزعيم أن يضغط على الزناد(١٥)..».

وفى تحليله البارع للملابسات التى أدت لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ والذى أعلنت إنجلترا بمقتضاه انتهاء الحماية على مصر والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات

سيادة،والذى كان نصرا محدودا فى ذلك الحين يتساءل، وكان سعد زغلول منفيا فى جزيرة سيشل التى سبق أن نفى الانجليز فيها أحمد عرابى «لمن كان الفضل فى هذه الخطوة للساسة الذين قاموا بالاتصالات مع الانجليز حتى صدر تصريح ٢٨ فبراير ؟ أم للزعيم الذى يسكن سيشل؟.

يرد بهاء:

«إنه قطعا الذى يسكن سيشل،ولا أقصد بذلك أن الفضل يعود له شخصيا ،ولكن يعود للجماهير التى يمثلها..(١٦)».

ويرتبط فهمه للتاريخ الذى تصنعه الجماهير بحس شعبى عميق، وهو يصف حياة عبد الله النديم باعتبارها «الحياة الحقيقية التى كانت الكتب حتى ذلك الحين تترفع عن دراستها والتعرض لها.. هذه الحياة المصرية الصميمة.. التى يعيش فيها ابن البلد، الحقيقى، ابن البلد بذكائه الفطرى الذى عصرته الآلام ،فلم تبق منه غير لكنة حاضرة، بكسله الذى أورثته إياه قرون عاشها فى بلده غريبا، يتفرج على الغرباء الذين يحكمون..(١٧)».

وبهاء مثله مثل عبد الله النديم الذى يصفه بأنه الثورى الحقيقى. لم يكن ينظر إلى مصير أبناء هذا الشعب نظرة استسلام ولم يكن يضحك منهم ضحكة بلهاء، ولكنه كان ينظر إليهم نظرة عامرة بالأمل، ويضحك منهم ضحكة مترعة بالنقد..(١٨)».

والشعب كما رآه «النديم» من زاويته الحقيقية : عماله وفلاحوه وشبابه المثقف. لاكما كان يراه الناس باشوات وأتراكا وشراكسه..(١٩)».

وعن التأريخ لثورة ١٩١٩ يقول:

وتاريخ هذه الثورة لم يكتب بعد حتى الآن، ولم يحاول أحد المؤرخين أن ينقب وراء سر هؤلاء الفلاحين الذين حاربوا فى دير مواس ،وحاولوا الاستيلاء على السفينة المسلحة فى ديروط..(٢٠)».

إن هذا الحس الشعبى العميق يدفعه لأن يؤكد مرارا وتكرارا أن ثروة مصر الأساسية ثروة بشرية وفى قاموسه يتكرر تعبير ينابيع الشعب الحقيقية كنغمة رئيسية.

وانطلاقا من هذا الحس الشعبى أخذ «بهاء» على عاتقه مهمة المزج بين الصحافة والثقافة، بين فن إعطاء المعلومات للجمهور برشاقة وقدرة على الامتاع، وبث الأفكار التى تتسلل إلى القلب مباشرة، فقد كان بهاء يكتب بدم القلب لا بريشة باردة محايدة. يفعل ذلك وهو يقدم أبسط القضايا وأعقدها على السواء«والفن فى الصحافة والثقافة والاذاعة والتلفزيون جميعا، وعنصر الاتقان فيه، هو أن نجعل المفيد جذابا وأن نجعل المسلى راقيا..(٢١)».

وهو يدرك أننا فى بلد تنتشر فيه الأمية وتهيمن الثقافة المحافظة والتقاليد البالية فان تغيير العقليات هو أصعب المهمات.وفى هذا السياق لم يكن يخشى فى سبيل التغيير، المعرفة أنه يخالف المزاج السائد ،وكثيرا ما فعل رغم أن هذا كان يهدده كما قال محبوه بفقد الإجماع ،وغضب بعض جمهوره منه.

وليست الصحافة هى وحدها الرسالة التى تمتزج بالثقافة وإنما الأدب أيضا. فقد دافع «بهاء» بحرارة عن رسالة الأدب ودوره فى التغيير.

يكتب عن مقدمة الزعيم «محمد فريد» لديوان «وطنيتى» للشاعر «على الغاياتى»



أحمد بهاء

انطلاقا من حسه الشعبى أخذ على عاتقه مهمة المزج بين الصحافة والثقافة.. وجعل «المفيد» جذاباً و«المسلى» راقيا

الذى تسبب الديوان فى سجنه، وسجن كاتب المقدمة.

«ماذا قال فريد فى هذه المقدمة؟ أى جريمة ارتكبها وهو يتحدث عن الفن الجميل؟ لم يقل أكثر من أن الشعر يجب أن لا يكون مجرد كلام فارغ عن جمال الطبيعة،أو نفاق رخيص فى مدح الملوك والوزراء بل يجب أن تكون له- كأى فن جميل- غاية اجتماعية تنفع الناس،وتدفع المجتمع إلى الأمام..(٢٢)».

ويواصل مناقشته للقضية على النحو التالى:

هذا الرأى لم يعجب النيابة العامة، ولا وكيل النيابة توفيق نسيم- وهو فى الحقيقة- لا يعجب الكثيرين من الناس حتى الآن ومنه الفنانون الكبار. فأنت تسمع عن مدرستين فى الفن والأدب، مدرسة تقول الفن للفن، ومدرسة تقول أن الفنان كاتبا أو شاعرا أو رساما ، ليس له أن يهتم بمشاكل الناس السخيفة، همومهم الثقيلة، إنما مهمته أن ينتج لنا شيئا جميلا فحسب، شيئا نجد فيه المتعة والتسلية، وتزجية الفراغ، شيئا للزينة والتظاهر تماما كالمجوهرات للنساء المترفات. أما أصحاب الرأى الثانى فيقولون. إن الفن يجب أن تكون له رسالة أسمى من مجرد الإمتاع، وأن الفنان يجب أن يقدم إلى جمهوره شيئا يمتعه ويفيده شيئا يعمق إحساسه بالحياة. يدفعه إلى التقدم والارتقاء..(٢٣)».

ويقف بهاء بكل قوة إلى جانب المدرسة الأخيرة لأنه ما من عمل إنسانى من وجهة نظره ينبغى أن يتجرد من الرسالة .

وتحدد هذه الاختيارات العقلانية الموضوعية الهادفة أساس نظرته الديمقراطية العلمانية للعالم ورؤيته الإنسانية العالمية الطابع والعروبية فى نفس الوقت، ودعوته للحرية التى ينبغى «أن تظلل كل المتحاورين وليس البعض دون البعض».

ورغم تعاطفه العميق على سبيل المثال مع الشيخ «على يوسف» فى معركته ضد التقاليد التى وصلت إلى حد أن أصدر القاضى «أبو خطوة» حكما بتطليق الشيخ من زوجته بسبب أصل على يوسف الوضيع ومهنته غير المحترمة «أى الصحافة».. فمع ذلك فان الشيخ على يوسف من وجهة نظر «بهاء» كان فى حقيقته رجعيا، وإن قلت



أحمد بهاء

دافع بحرارة عن رسالة الأدب ودوره فى التغيير الاجتماعى

رجعيته عن الآخرين، وكان فى قرارة نفسه يؤمن بكل ما ساقه خصومه ضده من حجج الحسب والنسب والحرفة،وهى رجعية ألقت بظلها على الكثير جدا من نواحى تفكيره السياسى،فكان إذا ثار شعب ليبيا على الغزو الايطالى كتب المقالات مدافعا عن شعب ليبيا، داعيا إلى التطوع ضد إيطاليا، فاتحا أبواب الإكتتاب لإرسال المعونة الطبية إلى المجاهدين.. فاذا ثار شعب اليونان.. على الاستعمار التركى هاجم شعب اليونان(٢٤)».

وفحوى هذا النص أن «بهاء» يرى أن الحرية لا تتجزأ فهى حق لكل الشعوب حتى ولو كان المستعمر هو إبن الديانة الإسلامية -شأن تركيا، والظلم مرفوض حتى لو كان الظالم ابن أمى وأبى.

وهو ما يقودنا مباشرة إلى موقفه العلمانى. والعلمانية هى التفسير العلمى الموضوعى للنصوص الذى يؤدى إلى الفصل الكامل بين الدين والسياسة .وفى مناقشته لكتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق يقول إنه بعد سقوط الخلافة الاسلامية فى تركيا «التقط الانجليز فكرة الخلافة الواقعة على الأرض.. نعم لماذا لا ينشئون هم خلافة إسلامية جديدة تنمو فى رعايتهم؟ وأن الخلافة لحجة قديمة للتغرير بالمسلمين، وخلف عباءتها الواسعة تنكرت أنواع من المظالم والخطوب،وهى قد خرجت من مكة وتنقلت بين دمشق وبغداد والقاهرة واستانبول، يمتطيها الحاكم الذى يستبد بالمسلمين، أمويا فى دمشق، عباسيا فى بغداد، فاطميا فى القاهرة، عثمانيا على ضفاف البوسفور. واليوم بعد الحرب العالمية الأولى أصبح المستبد بهذه البلاد هم الإنجليز، فلماذا لا يعززون استعمارهم أيضا بالخلافة الإسلامية؟ وإذا كان من المستحيل- هذه المرة- أن يكون الخليفة إنجليزيا ، فالعملاء بين المسلمين ما أكثرهم ، لماذا لا يجعلون واحدا منهم خليفة للمسلين وما هو أكبر عرش فى الشرق الأدنى، وأقدم عرش يحمل بركة الإنجليز ويعترف لهم بالجميل إنه عرش مصر الذى لولاهم لاقتلعته زوبعة عرابى،والجالس على العرش فؤاد الذى عينوه سلطانا فملكا منذ سنوات لا تبلغ العشر.

وسمع الملك فؤاد هذه القصة، فبدأ يحلم بها ،وإن لم يطلق لحيته كما صنع «فاروق» من بعد!.

وأدرك القصة أيضا الأذناب. وتجار الدين فبدأوا يبثون الدعوة للخلافة الجديدة.. التى علقوا بقيامها شرف الإسلام..(٢٥)».

وحين كشف الشيخ على عبد الرازق فى كتابه أنه ليس هناك أى سند فى القرآن والسنة للخلافة وإن هى إلا جناية الملوك واستبدادهم بالمسلمين» فماذا حدث؟ يسجل بهاء:

«واضح فى سطوره أنه لا يهاجم الخلافة فقط ولا الحكومة الدينية وحدها، بل والنظام الملكى أيضا..(٢٦)».

وفى الستينات خاض معركة باسلة ضد عدد من الشيوخ المحافظين دفاعا عن حرية المرأة.

وقبل أن يدخل الكاتب فى مرضه الطويل الأخير- رحمه الله- خاض معركة عنيفة مع تيارات الإسلام السياسى دفاعا عن علمانية الدولة بمعنى عدم إدخال الدين فى السياسة،وما تزال هذه المعركة الفكرية تشتعل جذوتها من حين لآخر ورغم الغياب القسرى لأحد أشجع فرسانها،وقد أثار المحافظون «وتجار الدين» زوبعة مشابهة لتلك التى ثارت فى الثلث الأول للقرن لدى صدور كتاب الشيخ على عبد الرازق وذلك حين صدر كتاب المستشار سعيد العشماوى عن الخلافة الإسلامية.

على هذا الأساس العقلانى حيث لا شئ يستعصى على التفسير، والديمقراطى حيث الحرية حق الجميع، والعلمانى حيث لابد من فصل الدين عن السياسة من الدولة الحديثة مما وازدهر فكر«أحمد بهاء الدين» الاشتراكى الديمقراطى مشبعا بحسه الشعبى الذى تعاطف مع الكادحين باعتبارهم منتجى الثروة وصناع الحياة. ويستحيل أن يتحول مفكر حقيقى إلى الاشتراكية دون هذا الاساس العقلانى الديمقراطى العلمانى الشعبى.

فما الذى يميز فكره الاشتراكى الديمقراطى عن الاشتراكية العلمية؟ إنه ما يميز الاشتراكية الديمقراطية عموما عنها مع الأخذ فى الاعتبار أنها أى الاشتراكية الديمقراطية تجلت فى البلدان الاستعمارية التى أصبحت مراكز الرأسمالية المتقدمة فى العالم بعد ذلك بصورة مختلفة تماما عنها فى بلدان حركة التحرر الوطنى أو بلدان الجنوب كما تسمى الآن..

تؤمن الاشتراكية الديمقراطية عامة بالتطور التدريجى وترفض مفهوم الطفرة الذى صاغته الماركسية قائلة إن التراكم الكمى يؤدى إلى التغير الكيفى على شكل طفرات.

كذلك لا ترفض الاشتراكية الديمقراطية النظام الرأسمالى من حيث المبدأ بل تسعى دائما لتحسينه والارتقاء به وإصلاحه بصفة مستمرة بهدف الوصول إلى الاشتراكية عن هذا الطريق أى طريق الإصلاح لا طريق الثورة.

وتقوم الاشتراكية الديمقراطية عامة على الطبقة الوسطى أو البرجوازية الصغيرة باعتبارها الطبقة الأساس، بينما ترى الاشتراكية العلمية فى الطبقة العاملة الواعية المنظمة عنصر القوة الرئيسى فى عملية التغيير الثورى سواء تم هذا التغيير سلميا أو بالعنف، ولكنه سوف يتم فى كل الحالات عبر صراع طبقى مرير تحسم فيه الطبقة الوسطى أمرها سواء إلى جانب الاشتراكية فيما إذا كان ميزان القوة يميل لصالح الطبقة العاملة وتحالفها مع الفلاحين، أو إلى جانب



العلمانية عند بهاء هى التفسير العلمى الموضوعى للنصوص الذى يؤدى إلى الفصل بين الدين والسياسة

الرأسمالية وإصلاحها إذا كان الميزان يميل لصالح الطبقات المالكة ويوسع بالتالى قاعدة ملكية الطبقة الوسطى نفسها لتتحول شرائح منها إلى رأسمالية كبيرة بعد ذلك.

واتخذت الاشتراكية الديمقراطية فى المراكز الرأسمالية الكبيرة شكل دولة الرفاهية والتى كانت فى حقيقة الأمر نتاجا للكفاح المتواصل للطبقة العاملة والكادحين متواكبة مع فترة ازدهار اقتصادى حقق فيها النظام الاشتراكى العالمى آنذاك انتصارات ضخمة على كل المستويات ووصلت هذه الدولة.. إلي دولة الرفاهية إلى أوجها فى الستينات.

بينما اتخذت الاشتراكية الديمقراطية فى سياق حركة التحرر الوطنى شكلا آخر جعل وصف رأسمالية الدولة أن يكون أقرب الأوصاف له، والتى حققت فى ظل الناصرية مقولة سيادة الشعب العامل وتذويب الفوارق بين الطبقات وشهدت التوسع فى الخدمات الاجتماعية المجانية.

وفى هذا السياق فان «أحمد بهاء الدين» هو الكاتب الناصرى الأرقى بامتياز، وإذا كانت ظروفه الصحية الطارئة قد حالت بينه وبين رؤية انهيار التجارب الاشتراكية التى قامت كتحد ضخم للرأسمالية وكان هذا التحدى هو أحد عناصر قيام دولة الرفاهية وتقدمها فى الغرب الرأسمالى، وحالت بينه أيضا وبين رؤية انهيار دولة الرفاهية وهجوم الرأسمالية الوحشية فى المراكز الرأسمالية وفى جنوب العالم على السواء.

إذا كان ذلك كله قد حدث فان «بهاء» عاصر وعايش انهيار الاشتراكية الديمقراطية وحركة التحرر الوطنى فى العالم الثالث وفى مصر، فقد شهد الانقلاب على الناصرية ، وكتب كثيرا عن الأخطاء والخطايا التى وقعت فيها وأدت للإنقلاب عليها ولكنه أبى على ولائه للاشتراكية الديمقراطية معتقدا أنه يمكن فى المستقبل إنجاز مشروع جديد لها يتجاوز القديم، وتتجلى علامات هذا الولاء فى تفاصيل كتاباته السياسية وفى تأييده لاتفاقيات كامب ديفيد، وعدم جذريته فى نقد النظام الرأسمالى من الأساس، وقد ظل وفيا شأنه شأن جمال عبد الناصر لفكرة الرأسمالية غير المستغلة التى تجلت فى كتاباته فى شكل الرأسمالية المنتجة الرشيدة والعقلانية دون انتقاد لها او استشراف لحدودها التاريخية.

وبغياب أحمد بهاء الدين فى المرض ثم رحيله فقدنا قلماً شجاعاً مدافعا عن العلم والعدل والحرية قادرا على إثارة «الشغب» والإجماع فى آن واحد، بسيطا وثاقبا وهو ما لا يتوفر إلا لنفر محدود من الكتاب الذين نظروا لعملهم باعتباره مهمة فحملوه محمل الجد ومنحوه القلب والأعصاب والضمير.

الهوامش

(١) «يوميات هذا الزمان» أحمد بهاء الدين» مركز الأهرام للترجمة والنشر القاهرة ١٩٩١ ص ١٢-١٣.
(٢) المصدر السابق ص٤٦.
(٣) المصدر السابق ص٦٦.
(٤) أيام لها تاريخ أحمد بهاء الدين، دار الهلال- القاهرة ١٩٩٠ ص١٠٦-١٠٧.
(٥) المصدر السابق ص١١٠.
(٦) المصدر السابق: ص١١٢.
(٧) المصدر السابق ص١٢٥.
(٨) المصدر السابق ص١٣٤.
(٩) المصدر السابق ص١٤١.
(١٠) المصدر السابق ص٨٠.
(١١) يوميات هذا الزمان ص٣٢.
(١٢) المصدر السابق ص٢٠ وص١٠٦.
(١٣) المصدر السابق ص ١٧٥.
(١٥) أيام لها تاريخ ص١٣٠.
(١٦) المصدر السابق ص١٥٦.
(١٧) أيام لها تاريخ ص١٤.
(١٨) أيام لها تاريخ ص١٧.
(١٩) أيام لها تاريخ ص٢٨.
(٢٠) أيام لها تاريخ ص ٩٨.
(٢١) يوميات هذا الزمان ص٥٥.
(٢٢) أيام لها تاريخ ص٨٢.
(٢٣) أيام لها تاريخ ص٨٣.
(٢٤) أيام لها تاريخ ص٧٠-٧١.
(٢٥) أيام لها تاريخ ص١٦٦.
(٢٦) أيام لها تاريخ ص١٧٣.



كلينتون

كلينتون يتقدم..

بارادة الطبقة العاملة

رسالة واشنطن

سمير كرم

*لأول مرة فى التاريخ الأمريكى الطبقة العاملة تخوض معركة انتخابات الرئاسة ككتلة انتخابية موحدة لتهزم خصومها.. ولكن بلا مرشح اشتراكى.

* تحرك الاتحاد العام للعمال الأمريكيين للوقوف مع كلينتون باعتباره «مرشح الضرورة» يمثل «ميلادا جديدا للحركة العمالية الأمريكية».

تدل كل المؤشرات على أن **بيل كلينتون سيفوز بفترة رئاسة ثانية** فى الانتخابات التى ستجرى يوم ٥ نوفمبر المقبل.

لم يسبق أن كان المحللون السياسيون الأمريكيون- المتخصصون بشئون الانتخابات- يتجرأون -كما يتجرأون الآن- على التنبوء الصريح وشبه القاطع بنجاح مرشح للرئاسة الأمريكية. واستطلاعات الرأى العام إلى ما قبل سبعة أسابيع فقط من موعد الانتخابات. وبعد أن انفض «السيرك القومى الأمريكى» بفرعيه وأعنى المؤتمر بين القوميين للحزبين الجمهورى والديمقراطى ،مستمرة بالتأكيد على تقدم كلينتون على منافسة الجمهورى السناتور السابق« **روبرت دول** »بما لا يقل عن نسبة ٢٣ بالمئة . وهى نسبة قال أحد أبرز مؤيدى دول فى المعسكر اليمينى الأمريكى الداعية الدينى **بات روبرتسون** أنها تشكل «عقبة كبرى لا يمكن تخطيها(من جانب المرشح الجمهورى) إلا بمعجزة من الرب». والمهم أنه قال هذا فى لقاء احتشد له اليمين المسيحى الأمريكى، للاستماع إلى مرشحه دول(..).

وقد تعددت التفسيرات المقدمة لهذا التحول فى مركز كلينتون من رئيس كان إلى ما قبل عام أو أكثر قليلا يبدو فى أكثر المواقع يأسا بشأن فرص اعادة انتخابه.. إلى مرشح تتوفر له كل ضمانات الفوز إلا اذا تدخلت العناية الآلهية لمصلحة اليمين.

وأقوى التفسيرات المقدمة كان التفسير الاقتصادى. وهو تفسير تقليدى فى الحياة السياسية الأمريكية على الرغم من كل الرفض الذى يقابل به التفسير الاقتصادى للتاريخ(...) فأموال الاقتصاد الأمريكى بمقاييس المنتجين والمؤسسات والشركات وقطاعات الأعمال أفضل مما كانت فى أى وقت منذ عشر سنوات.

وثمة إلحاح قوى على العامل الاقتصادى فى ارتفاع أسهم كلينتون فى البورصة الانتخابية، أى لدى الرأى العام والناخبين على وجه الخصوص، على الرغم من أن القاعدة السائدة فى «فن مراقبة انتخابات الرئاسة الأمريكية» تقول: **أن الاقتصاد يمكن إن يطيح بفرصة انتخاب رئيس أمريكى لفترة ثانية.. لكنه ليس بالضرورة العامل الأساسى فى تعزيز هذه الفرصة.** ومعنى هذه القاعدة أنه إذا ساءت الأحوال الاقتصادية خلال فترة الرئاسة الأولى لرئيس أمريكى فمن المؤكد أن يتجه الناخبون إلى التخلص منه فى أقرب فرصة،وهى عادة انتخابات الرئاسة لفترة ثانية أما إذا سارت أحوال الاقتصاد الأمريكى سيرا حسنا بمعايير الأرباح وهبوط معدلات التضخم ومعدلات البطالة وضاقت هوة عجز الميزانية الأمريكية فليس هذا ضمانا أكيدا بفوز الرئيس بفترة رئاسة ثانية. إذ عندئذ يتحول إهتمام الناخبين إلى قضايا أخرى غير الاقتصاد.

وقد أصبح سقوط**جورج بوش** المدوى فى انتخابات عام ١٩٩٢-بعد «انتصاره» فى الحرب الأمريكية ضد العراق- بعام واحد دليلا على صحة الشق الأول من تلك المعاهدة. فلم ينفعه هذا «الانتصار العسكرى» ولم ينفعه «الإنجاز الكبير» الذى حققه فى مجال السياسة الخارجية بتكوين تحالف دولى بقيادة أمريكا لخوض «حرب الخليج» .. لأن الاقتصاد كان يعانى من ركود كاد يصل إلى حدود كارثة على غرار كارثة عقد الثلاثينات.

لهذا يفضل محللون آخرون تفسير تقدم كلينتون على منافسه الجمهورى«دول» بأنه يرجع إلى ضعف شخصية الأخير، وعدد من الاعتبارات الشخصية الأخرى، من بينها عمره الذى يناهز الثالثة والسبعين، ومن بينها عاهة شلت يده اليمنى فى إصابة جسيمة لحقت به عندما كان ضابطا فى الحرب العالمية الثانية. ويقول آخرون :إن المرشح الجمهورى يفتقر إلى برنامج تفصيلى مقنع للناخبين وعندما اختار اغراءهم بوعد بخفض ضرائب الدخل بنسبة ١٥ بالمئة، وهذه النسبة تعنى بالدولارات أن تخسر الحكومة الاتحادية من إيراداتها ٥٠٠ مليار دولار، لم تصدقه غالبية الناخبين، حتى الذين يميلون تقليديا إلى التصويت للمرشح الجمهورى. **وزادت قوة عدم التصديق هذه اتساقا مع استمرار تجنب دول تقديم رد واضح ومحدد على السؤال: كيف سيمكن تعويض الميزانية الاتحادية عن هذا**

المبلغ الهائل إذا خفضت الضرائب بهذه النسبة. خاصة وأنك تزعم انك ستخفض الضرائب وتحقق التوازن بين الايرادات والمصروفات فى الميزانية الاتحادية فى الوقت نفسه؟.

ويذهب تفسير ثالث إلى أن**هيمنة اليمين المتطرف على الحزب الجمهورى** كما اتضحت فى سياسات الكونجرس بعد أن أصبحت الأغلبية فى مجلسيه للجمهوريين هى السبب فى نفور الناخبين الأمريكيين من المرشح الجمهورى.. فهم يلمسون أنه واقع تحت سيطرة هذا التيار المتطرف ولم يستطع طوال الفترة الماضية عن الحملة الانتخابية أن يقنع الرأى العام بأنه له استقلاليته عن قيادات هذا التيار أو أن باستطاعته مقاومة سياساتهم المتطرفة.

والتفسيرات المختلفة التى تعتمد على القول بأن كلينتون قوى لأن دول ضعيف هى بمثابة عودة إلى معارك أخرى «تقليدية» سادت كل الدراسات التى تتناول انتخابات الرئاسة الأمريكية منذ نحو نصف قرن. وتقول هذه القاعدة أن الأمريكيين أصبحوا يدركون أنه **يتعين عليهم «أن يختاروا أهون الشرين»**. ذلك أن انتخابات الرئاسة الأمريكية أصبحت تكشف لهم مرة بعد أخرى أن أمريكا لم تعد تنجب زعماء من طراز يبعث على الثقة ، يتمتع بفضائل قيادية واضحة وقيم ايجابية ويعرف نبض القواعد الجماهيرية ومشكلاتها. إن النظام السياسى الأمريكى أصبح يدفع بشخصيات«سياسية» «تجيد المناورات السياسية والانتخابية وتعرف من أين تأتى بالمال اللازم للانفاق على الحملات الانتخابية وتعرف كيف تكون التحالفات مع القوى السياسية المؤثرة ومع أصحاب المصالح الخاصة»(وهو تعبير مهذب عن قوى «اللوبى» وجماعات الضغط الداخلية والخارجية التى تحكم قبضتها على من يحكمون أمريكا قبل أن يصعدوا إلى السلطة).

وفى رأى القائلين بأن الأمريكيين يتجهون إلى صناديق الانتخاب يحدوهم دافع انتخاب **«المرشح الأقل سوءا »** أن كلينتون يبدو الآن المرشح الأقل سوءا على الرغم من كل التحفظات عليه من كافة الاتجاهات.. وهى **تحفظات أخلاقية وسياسية وشخصية وحتى «أيديولوجية»**.

أما لماذا يبدو **كلينتون** أقل سوءا أو «أهون الشرين» بالمقارنة مع منافسه السناتور السابق دول.. فانه أمر يحتاج بحد ذاته إلى اللجوء إلى واحد من التفسيرات السابقة. فاما لأنه لا يملك برنامجا اقتصاديا واضحا.وإما لأنه واقع تحت هيمنة التيار الجمهورى المتطرف نحو اليمين.. إلخ.

وهكذا نتبين أن التفسيرات المقدمة والشائعة فى الكتابات الصحفية ،وحتى فى كتابات «الأكاديميين» متضاربة وناقصة ولا يقوم أى منها فى حد ذاته كمؤشر مقنع بدرجة كافية إلى الأسباب الحقيقية لترجيح فوز كلينتون بفترة رئاسة ثانية.. **وهو الأمر الذى سيجعله أول رئيس ديمقراطى يفوز بفترتى رئاسة منذ فرانكلين روزفلت أى منذ أكثر من ستين عاما.**

والأرجح أن سبب تهافت هذه التفسيرات إلى حد يجعل من الضرورى الأخذ بها جميعا كعوامل فى صعود فرص كلينتون الانتخابية أنها تتجنب- سواء عن قصد أو بغير قصد- إدراك **«العامل الطبقى»**-وهى تتعامل مع الوضع الراهن الذى جعل من كلينتون أشبه ما يكون بمرشح «مضمون الفوز» على الرغم من كل التحفظات ، ابتداء من المعادلة التى تقول إن الاقتصاد يسقط مرشحا للرئاسة لكنه لا يساعد مرشحا على الفوز.. وانتهاء بأن كلينتون نفسه ليس أكثر من «المرشح الأقل سوءا».

إن المشتغلين بعملية «التنظير» للظواهر السياسية والأحداث فى المجتمع الأمريكى ليسوا بطبيعة الحال ممن يؤمنون بفلسفة ماركسية محددة المعالم والمناهج (وهؤلاء تضيع أصواتهم فى صخب العملية السياسية الانتخابية التى اكتسبت فى المجتمع الأمريكى منذ زمن بعيد أبعاد الدعاية التجارية وأصبحت حملات «إعلانية» بكل الأبعاد خاصة بعد اتساع نفوذ التلفزيون على العقل الأمريكى ..وليس الوجدان الأمريكى فحسب).. ،وبالتالى فليس التفسير الطبقى لاتجاهات الناخبين واحدا من اهتماماتهم . بل -وهذا أهم- أنهم فى غالبيتهم الساحقة ممن لقنوا فى جميع مراحل التربية وعمليات التثقيف المباشرة وغير المباشرة تأكيدا قطعيا بأن المجتمع الأمريكى «بطبيعته» ولاعتبارات تاريخية معينة «مجتمع غير طبقى» . فالفلسفة العامة السائدة فى الحياة السياسية والثقافية الأمريكية تعتبر .. **لاطبقية «المجتمع الأمريكى»أحد أهم مكونات «الاستثنائية» الأمريكية.. أو «التفرد» الأمريكى**، التى تجعله مختلفا تاريخيا واجتماعيا وبالتالى سياسيا عن المجتمعات الأوروبية، فضلا عن المجتمعات الأخرى التى مرت بأطوار التطور الاقتصادى والاجتماعى المختلفة من العبودية إلى الاقطاع إلى الرأسمالية(هذه قضية جديرة بمعالجة مستقلة مستفيضة). ولهذا الاعتقاد السائد لدى هؤلاء المنظرين والذى يبنون عليه تحليلاتهم للعمليات «الديمقراطية» فى هذا المجتمع هو **«أن كل نفوذ يمارس فيه انما يتم من خلال اقناع الآخرين بالحجج والحجج المضادة، وبالتالى فان الوعى الاجتماعى (والسياسى) يتشكل فى منافسة حرة للذكاء»(..)**

وعلى الرغم من تغلغل خرافة المجتمع الأمريكى كمجتمع لا طبقى فى ثقافة الأمريكيين بشكل عام والمثقفين بشكل خاص(باستثناء المثقفين الماركسيين منهم) فان تعبير **«الطبقة المتوسطة»** شائع الاستخدام للغاية ،وهى محط اهتمام كل الساسة والاقتصاديين والدعائيين.. الكل يطلب رضاها وتأييدها . دون أن يكون لدى أى منهم تعريف محدد لها. أما «الطبقات» الأخرى فلا تسميات لها، لكى لا يكون أى وجود لها. **ويندر للغاية أن تقرأ تعبير «الطبقة العاملة» فى غير الأدبيات الماركسية الأمريكية.**وقد نجح مثقفو الرأسمالية الأمريكية فى خلق عداء عميق لفكرة تميز الطبقة العاملة بأى صورة.. حتى شمل ذلك الاتحادات والنقابات العمالية. وهو وضع على العكس تماما مما كان عليه فى أوائل القرن الحالى وحتى الثلاثينات حينما كان الحلم الاشتراكى مشروعا قويا يداعب خيال قطاعات عريضة من الشعب الأمريكى لا قبل ثورة أكتوبر الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ وبعدها مباشرة).

وبسبب هذه الخرافة فانك لا تجد من المحللين السياسيين التقليديين من يطرح -مثلا- السؤال : أى الطبقات تؤيد هذا المرشح للرئاسة ولماذا،وأى الطبقات تعارضه ولماذا؟.

فى تحليلات خبراء انتخابات الرئاسة الأمريكية الآن ليس هناك تساؤل عن «الاتجاهات الطبقية» . لا أحد يحاول أن يعرف حتى إذا كان لمثل هذه الاتجاهات وجود.

والأمر الذى يجعل اغفال مثل هذا الجانب فى حملة الانتخابات الحالية بالذات تجنيا على الموضوعية ودفنا لرؤوس الخبراء ومن يستمعون إلى تحليلاتهم فى الرمال،**أن كل**

من له عين ترى ورأس يفكر يستطيع أن يرى وبوضوح أن الطبقة العاملة الأمريكية تخوض معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية لأول مرة باعتبارها معركة تخصها وتتعلق بأوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وإن لم نقل بمصيرها ومستقبلها.

وفي مرحلة حرجة لم يتهيأ فيها للطبقة العاملة الأمريكية حزب يدافع عن مصالحها فانها تخوض هذه المعركة الانتخابية المهمة باعتبارها معركة دفاعية .. فالهدف فيها منع وصول اليمين الجمهورى إلى الرئاسة. وإذا أمكن (وهو ليس مستحيلا) حرمان اليمين الجمهورى من الأغلبية التى سيطر بها على مجلسى النواب والشيوخ اللذين يلعبان أدوارا مؤثرة فى حياة الأمريكيين تفوق فى كثير من جوانبها دور السلطة التنفيذية.

وفى غياب حزب للعمال قادر على التصدى لمعركة مثل معركة الرئاسة فى المجتمع الأمريكى فى الظروف الراهنة فان الطبقة العاملة تؤدى دورها السياسى من خلال الاتحاد العام للعمال الأمريكيين بعد أن استعاد قوته ودوره السياسى- لا النقابى فحسب- بعد سنوات من الركود والخضوع لهيمنة المصالح الخاصة واليمين السياسى.



روبرت دول مع زوجته اليزابيث

لقد اتخذ الاتحاد العام للعمال الأمريكيين قرارا بالوقوف ايجابيا إلى جانب الرئيس الديمقراطى كلينتون كمرشح يضمن الحد الادنى من الدفاع عن حقوق الطبقة العاملة وحلفائها من الاقليات والفقراء ومحدودى الدخل والمهاجرين.. وذلك باعتبار أن ترك الفرصة لليمين الجمهورى لاحتلال البيت الأبيض تفتح الأبواب على مصراعيها لازالة مكاسب العمال «والطبقات التحتية» من أجل مزيد من الأرباح ولرأسمالية أصبحت شراهتها إلى الكسب لا تعرف حدودا اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية.

الوضع هذه المرة غير مسبوق منذ وقت طويل. فقد كان الاتحاد العام للعمال الأمريكيين تقليديا يعلن تأييده لمرشح الحزب الديمقراطى للرئاسة.. لكنه لم يكن يعتبر فوزه معركة تخص الطبقة العاملة ومصالحها ومستقبل أبنائها. وهذا ما يؤديه فى هذه الانتخابات،على الرغم من أن له تحفظات كثيرة على العديد من قرارات كلينتون وسياساته ومواقفه. ولا تختلف هذه التحفظات كثيرا. وربما نقول أنها لا تختلف أصلا- مع تحفظات يسار الحزب الديمقراطى على تراجعات لكلينتون أمام هجمات اليمين الجمهورى من مواقعه القوية فى الكونجرس.

ولا يقتصر الأمر على **قرار الاتحاد العام للعمال الأمريكيين بانفاق ٣٧ مليون دولار على حملة الانتخابات لتأييد كلينتون ولتأييد المرشحين الديمقراطيين للكونجرس** . ان الاتحاد يخوض المعركة بكل ثقله الجماهيرى مما أكسبها طابعا أكثر تقدميه وقد أثر بوجوده تأثيرا واضحا على نصوص البرنامج الذى وافق عليه الحزب الديمقراطى (وكلينتون) فى المؤتمر القومى للحزب فى شيكاغو. ويكتسب الاتحاد العام للعمال فى الوقت نفسه قوة جديدة وطاقة على العمل و التأثير السياسى من خلال مشاركته فى هذه المعركة الانتخابية. **فالتأثير هنا مزدوج . الاتحاد يقوى بالحملة الانتخابية، والحملة ،تقوى وتكتسب طابعا أكثر تقدمية بدور الاتحاد فيها.**

ولا مبالغة اذا قلنا أن **تحرك الاتحاد العام للعمال الأمريكيين بهذا الاتجاه سيشكل نقطة تحول تاريخية.** ولعل الأدق ما وصفته به بيانات الحزب الشيوعى الأمريكى من أنه بمثابة **احتفال الطبقة العاملة الأمريكية بميلاد جديد لحركتها».**

لم يسبق أن جاب رئيس الاتحاد العام للعمال انحاء الولايات المتحدة طولا وعرضا كما يفعل المرشحون للرئاسة على النحو الذى يفعله فى هذه الحملة الرئيس الحالى للاتحاد «**جون سوينى**» .. الذى خاطب الطبقة العاملة الأمريكية فى يوم «عيد العمل» الأمريكى (الذى يحتفل به- خلافا للعالم كله-فى يوم الاثنين الأول من شهر سبتمبر من كل عام) فيما وصف بأنه «عملية تعبئة لقواتها من أجل الهجمة الأخيرة لالحاق الهزيمة باليمين يوم ٥ نوفمبر».

فى خطاب احتشد له أكثر من ٢٥ ألف عامل فى«مهرجان العمال» فى مدينة ميلووكى الصناعية بولاية «ميسورى» قال **سوينى** أن اتحاد العمال يقود النضال فى انتخابات ٩٦ لاقتلاع جذور القبح الذى يحكم قبضته على عائلاتنا وعلى مستقبلنا. فهذه هى السنة التى إما أن نستعيد فيها السيطرة على بلدنا أو نسمح لليمين المتطرف ، لليمين الجديد واليمين الذى لا يكشف عن مدى تطرفه، بأن يشدد إحكام قبضته على روح أمتنا». ثم راح يسأل جماهير العمال. «هل نريد أن نعود إلى الزمن الذى كانت فيه الشركات تقرر من يحصل على الوظائف ومن

لأول مرة فى التاريخ الأمريكى : الطبقة العاملة تخوض معركة انتخابات الرئاسة ككتلة انتخابية موحدة لتهزم خصومها ولكن بلا مرشح اشتراكى

يبقى فى وظيفته ومن يفقدها؟ هل نريد أن نعود إلى الوقت الذى كانت القاعدة الوحيدة التى تحكم أصحاب رؤوس الأموال هى أن لا قاعدة تقيدهم على الإطلاق؟».

.. وراء كل سؤال كان العمال يجيبون بأعلى أصواتهم : لا.

والزمن الذى يشير إليه **سوينى** فى خطابه ليس من الماضى البعيد أنه زمن ما قبل أكتوبر ٩٥ الذى شهد تغيير قيادات وبرامج وأهداف الاتحاد العام للعمال الأمريكى بقيادات ،وبرامج وأهداف تقدمية حقا. لكن حتى هذه القيادات الجديدة التى تتحدث بلغة تذكر كثيرين بأكثر عهود ازدهار حركة اليسار العمالى والفكر اليسارى عامة فى أمريكا تدرك أن الوضع الراهن ليس مفتوحا لخيارات انتخابية «اشتراكية» أو «يسارية» . الوضع الراهن لا يسمح بأكثر من هدف محدد ومحدود : إما الوقوف مع كلينتون أو التخلى عنه، والتخلى عنه يعنى تكرار ما حدث فى انتخابات الكونجرس عام ٩٤.

المسألة إذن مرحلية. وبالاضافة إلى كونها مرحلية فان الدور الذى تلعبه الطبقة العاملة فى انتخابات الرئاسة يرشحها لتأثير كبير على سياسات كلينتون وادارته فى فترة الرئاسة الثانية. وهى الفترة التى يستطيع فيها أن يتخلى عن الاعتبارات الانتخابية لصالح اعتبارات أكثر مبدئية تعيد إلى الحزب الديمقراطى وجهة أكثر تقدمية وتسمح له بالتخلص من قيود «الوسطية».

وبطبيعة الحال فان نضال الطبقة العاملة الأمريكية- الذى يقوده الآن الاتحاد العام للعمال- لا يتوقف عند حدود معركة انتخابات الرئاسة . هذه معركة تنتهى باعلان نتيجتها فى ساعة مبكرة من صباح ٦ نوفمبر القادم..

ولا هى معركة تتوقف عند حدود تأييد كلينتون. إنها معركة داخل إطار حرب أوسع نطاقا وأرفع مستوى.. **فالطبقة العاملة الأمريكية تتطلع إلى الوقت الذى يصبح لها فيه مرشح للرئاسة.. لا أن تكون مجبرة على قبول مرشح الضرورة** الذى تفرضه الأوضاع والظروف التى يصنعها نظام سياسى يتجاهل وجودها وبالتالى دورها ومصالحها.

فى مدينة **بيتسبرغ** الصناعية فى ولاية **بنسلفانيا** فى الأسبوع الأول من شهر سبتمبر الماضى نظمت مسيرة شارك فيها أكثر من ستين ألفا من العمال وأفراد عائلاتهم. **كانت شعاراتهم ولافتاتهم من أجل «أربع سنوات أخرى لكلينتون» وضد الخصخصة وضد اطلاق قطاع الأعمال من قيود الالتزام بحقوق العمال الاقتصادية الاجتماعية..** ولأول مرة استمع المشاركون فى المسيرة إلى كلمات من قادة عماليين من دول أخرى، من اليابان ومن اوروبا ، فيما اعتبر مظاهرة تضامن مع الحركة العمالية الأمريكية لم تعرفها الأجيال الحالية من عمال أمريكا.

وفى «**ديترويت**» عاصمة صناعة السيارات الأمريكية -التى لا تزال عصب الصناعة الأمريكية والاقتصاد الأمريكى على الرغم من غياب القاعدة الشهيرة التى كانت فى العقود السابقة تقول: ان ما هو خير لجنرال موتورز (أكبر شركات صناعة السيارات الأمريكية) خير لأمريكا جرت مظاهرة تأييد عالمية مماثلة فى ضخامتها وحماسها ودلالاتها.. من أجل فترة رئاسة ثانية لكلينتون.. وبالمثل في **سان فرانسيسكو وشيكاغو ودالاس وفيلادلفيا وسانت لويس وكليفلاند** ، وحينما كان للعمال الصناعيين وجود كثيف.

لكن المحللين الباحثين عن أسباب تقدم **كلينتون** على منافسه الجمهورى فى استطلاعات الرأى لا يزالون يولون ظهورهم لوقوف الطبقة العاملة الأمريكية لأول مرة ككتلة انتخابية واحدة وراء كلينتون بحثا عن أسباب من نوع آخر لأن التفسير الطبقى أشبه ما يكون بالمحرمات النظرية.

وإذا استمر «الخبراء» فى تجاهل الحقائق المادية لنضال الطبقة العاملة على هذا النحو- -بعد معركة انتخابات الرئاسة ، وبصرف النظر عن نتيجتها- وهذا هو الأرجح -فانهم **سيكونون أول من يفاجأ بالتحولات التى ستدخل على الحياة السياسية الأمريكية خلال السنوات والعقود القليلة القادمة بفعل الحركة الجديدة العمالية.. عندما يصبح للعمال الأمريكيين مرشح عمالى أو اشتراكى يتجاوزون به حاجتهم الراهنة إلى الائتلاف والالتفاف حول مرشح الحزب الديمقراطى** بهدف وقف هيمنة اليمين المتطرف الذى تسبب فى سنوات غياب الدور العمالى فى حضن المصالح الخاصة فى تحويل حياة الطبقة العاملة إلى سلسلة متواصلة الحلقات من المعاناة من البطالة والديون وفقدان الرعاية الصحية والاجتماعية وفقدان الشعور بالأمان الوظيفى.. بل وأجبرت خلالها الطبقة العاملة على قبول شروط أقسى للعمل : ساعات عمل أكثر وأجور أقل وحقوق نقابية أقل.. حتى أن حصول العمال الأمريكيين على زيادة للحد الأدنى للأجور كان واحدة من أشد المعارك ضراوة فى مواجهة اليمين الجمهورى فى الكونجرس . ولعلها كانت إشارة الضوء الأوضح لاتحاد العمال الأمريكيين للوقوف وراء كلينتون لتحدى الهيمنة الجمهورية على سلطة الاتفاق التى يملكها الكونجرس. ولو تراجع كلينتون عن مشروع رفع الحد الادنى للأجور لما حصل على هذا التأييد من الطبقة العاملة الأمريكية التى بدأت تأخذ مكانها كأقوى كتلة انتخابية قادرة بوحدة موقفها على ضمان الفوز للمرشح الذى تؤيده. ذلك أن التأييد الصريح والنشط من جانب الاتحاد العام للعمال لكلينتون ليس موقفا يتبناه الأعضاء المنتمون للنقابات المنتمية للاتحاد .. انما هو موقف تتبناه الطبقة العاملة الأمريكية كلها فى ظروف عودة الثقة إلى النقابات وإلى الاتحاد العام .وهى ظروف إقبال جديد على العضوية لم تعرفه الحركة النقابية منذ نصف قرن.

وبحسب قواعد اللعبة الانتخابية فى النظام الأمريكى لن يعود بامكان المحللين السياسين والإعلاميين والاكاديميين أن يتجاهلوا الطبقة العاملة الأمريكية عندما يصبح لها مرشح رسمى يحمل شعاراتها وبرنامجها ومصالحها إلى كافة طبقات وشرائح وفئات المجتمع الأمريكى.

وعندما يحدث هذا فانه لن يكون حدثا غير مسبوق فى التاريخ الأمريكى وهذا موضوع آخر.



الجنرال ليبيد

دائرة التقسيم القوقازية

رسالة موسكو

أحمد الخميسي

مع نشوب الأزمة فى العلاقة بين **تتارستان** -إحدى الوحدات السياسية التسع والثمانين التى تشكل روسيا- وبين **موسكو** باعتبارها مركز الاتحاد الروسى، صرح **رافائيل حكيموف** مستشار الرئيس التتارستانى أوائل أغسطس ٩٣ بقوله :**«لقد بدأ تاريخ الدولة الروسية مع غزو ايفان الرهيب لقازان عاصمة التتار عام ١٥٥٢ ،والآن قد تكون قازان نفسها النقطة التى سيبدأ منها انهيار روسيا»**. لكن نبوءة حكيموف لم تصدق، وعقدت موسكو معاهدة اتحادية لفصل الصلاحيات بين المركز **وجمهورية تتارستان** فى أواسط فبراير ١٩٩٤ أسدلت ستارا كثيفا على مخاوف انهيار الدولة الروسية من عند نهر الفولجا. وكان من الصعوبة بمكان أن تغدو تتارستان نقطة البداية فى انهيار الدولة ،لأنها تشبه جزيرة محاطة من كل ناحية بالأراضى الروسية.

لكن نبوءة **حكيموف** التى أخطأت المكان- . لم تخطئ الاتجاه العام ..وتخير الانهيار لنفسه نقطة أخرى: **الشيشان** .ومنذ أن بدأت الحرب الروسية الشيشانية فى أواخر عام ١٩٩٤ عكف الكثيرون على متابعتها وملاحقة أخبارها كما يتابع المرء حصانا يعدو هاربا- دون أن يدرى فى أى اتجاه قد ينعطف فجأة ليختفى من مجال البصر، أو يبدل درب المطاردة.

لكن الحرب الشيشانية التى راغت مراميها فى كل اتجاه، توقفت فجأة لاهثة يتصبب منها العرق عند منعطف تنفسح أمامه الخطورة بلا نهاية. وقد بدأ ذلك منذ ٦ أغسطس ٩٦ عندما استجمع المقاتلون الشيشانيون قواهم وهاجموا عاصمة بلادهم **جروزنى** وكبدوا الجيش الروسى خسائر فادحة. ولم يكن ذلك الهجوم اضافة كمية لتاريخ طويل من المعارك ، فقد ارتبط بصعود أسهم الجنرال **الكسندر ليبد** كمرشح أساسى بديل للرئيس **بوريس يلتسين** المريض وهو مرشح اجتمع له طلاء الوطنية والقومية الروسية ، مع حزم وروح عسكرية يتخيل البسطاء أنها كفيلة بحل كل المشكلات، علاوة على احتشاد قوى اصلاحية تناصر السوق الحرة خلفه، تخطط له وترسم حركته وتصريحاته.

وفى الواقع العملى فان ليبد هو «رئيس ظل» أوكلت له أعقد المهام : حرب الشيشان، والسفر إلى مينسك عاصمة بيلاروسيا لحل مشكلة الأسلحة النووية التى ما زالت هناك ثم اكتسب ليبد أهمية أكبر حين تلقى دعوة من رئاسة الدورة البرلمانية الأوروبية لحضور اجتماعها فى سالزبورج بفرنسا. ثم حين فوضه **يلتسين** فى حضور دورة حلف الناتو فى بروكسل التى ستنعقد فى ٨/٧ نوفمبر ٩٦ ،وما بين كل أولئك لم يفت ليبد أن يوجه رسالة مفتوحة منشورة للرئيس **يلتسين** ينتقد فيها السياسة الاقتصادية فى **اشارة إلى أن دوره يمتد من مجلس الأمن القومى إلى الشئون الاقتصادية والعسكرية والسياسية والدولية!.**

وبطبيعة الحال فان وقف الحرب فى الشيشان أو الوصول لحل سلمى هناك كفيل بأن يصبح أقوى أوراق ليبيد فى المعركة التى يخوضها من أجل كرسى الكرملين. ومن هذه الزاوية أصبحت الحرب إلى حد ما وربما إلى حد كبير مصنعا لتعبئة الرئيس المقبل فى شكل البطل الوطنى الذى سينقذ روسيا من ويلات الحرب ووضع حد للاستهتار بمصير الشعب لكن هذه اللوحة الجميلة تخفى وراءها صورة لمقدمات انهيار الدولة الروسية بالفعل.

ولم تكن الاشارة إلى المعاهدة الاتحادية التى عقدت بين تتارستان وموسكو صدفة، فقد تعرضت العلاقة بين الطرفين لمشكلات عويصة، ثم وجدت حلا لها فى **معاهدة تمنح تتارستان صلاحيات واسعة ولكن مع بقائها داخل الاتحاد الروسى** ، وتم الجمع بشكل ما بين مصالح الاتحاد الروسى ومصالح الجمهوريات الصغيرة بداخله حتى قال البعض عن تلك المعاهدة انها **«تشبه المعاهدات التى تعقدها روسيا مع ايطاليا أو فرنسا»** . ولكن صيغة كالصيغة التتارستانية لم تستطع أن تعبر دخان حرائق القتال الشيشانى الروسى لتصل سالمة لطرف من الطرفين. وجرى دوما طرح خيارين اثنين لا ثالث لهما: **إما**



بوريس يلتسين

الحرب المدمرة، وإما الانفصال .وعلى مدى أكثر من عام ونصف العام لسبب ما لم يستطع سياسى روسى (أو لم ترد القيادة لأحد تلك الاستطاعة) أن يطرح صيغة تجمع بين توفير الحقوق القومية المشروعة للشعب الشيشانى وبين الحفاظ على الاتحاد الروسى، علما بأن مصير الشيشان-فى حالة استقلالها- لن يكون «الاستقلال» بشعبها الذى لا يتجاوز مليون ونصف المليون نسمة،لأن **استقلالا كهذا لبلد صغير كهذا مستحيل فى ظل التوازنات الدولية الراهنة وفى ظل القوى الدولية الكبرى** . وعندما تستقل الشيشان فانها عمليا ستتراجع بقدميها وأزيائها القومية خطوة من البيت الروسى إلى البيت الأمريكى، ومع أنه لا فرق **-من ناحية النظام الاجتماعى- بين البقاء داخل روسيا بظروفها الرأسمالية الراهنة أو الدخول إلى الهيمنة الأمريكية ، إلا أن** الفارق الوحيد يتضح عندما نعلم أن تلك الخطوة ستهدد وحدة الأراضى الروسية لصالح اتساع نفوذ الطرف الآخر. لكن ثمة عوامل معقدة تجعل الانسان يفضل أحيانا هيمنة «ذلك السيد» عن هيمنة «السيد الآخر» ،وفى مقدمتها التاريخ الطويل من الاضطهاد الروسى الدينى والقومى لشعوب القوقاز ،وقد كادت بعض التيارات المصرية خلال الحرب العالمية الثانية أن تفضل الهيمنة الألمانية القادمة على الهيمنة الانجليزية ، لا لشئ إلا لارتباط الانجليز فى الوعى الوطنى بمذابح دنشواى والاستغلال والاستعمار وغير ذلك مما لم تكن الفازية الالمانية قد سجلته بعد فى دفتر التاريخ المصرى. وتدرك قوى كثيرة خارجية ذلك وتسعى للاستفادة منه. ويمكن هنا طرح سؤال : **من أين للمقاتلين الشيشان مثلا بنفقات التسليح التى ساعدتهم على القتال لأكثر من عام ونصف العام؟ ومن الذى يمدهم بتلك المبالغ الطائلة اللازمة لاستمرار المعارك؟**. ثم كيف أصبح المقاتلون الشيشانيون على وشك الفوز باستقلال الشيشان بعد عام ونصف العام مع أن الشعب الفلسطينى قاتل لمدة ثلاثين عاما قتالا لاحد لشجاعته ولاحد لبسالته فلم يحصل إلا على نقطة ارتكاز محاصرة من كل ناحية؟.

وقد طرحت قضية الاستقلال أو الانفصال بجدية منذ السادس من أغسطس، بعد هجوم شيشانى واسع على جروزنى .وفى١١ أغسطس اتجه **الكسندر ليبيد** إلى الشيشان ليلا عبر داغستان حيث **التقى بأصلان ماسخادوف** ويعلنان توقيع اتفاقية أخرى وانسحاب القوات الروسية بدءا من ٢٣ أغسطس،وفى ٢٧ أغسطس يجتمع الجنرال **تيخوميروف** -قائد عام القوات الروسية هناك **بماسخادوف** ويوقعان اتفاقية تسمى: الاجراءات المشتركة الخاصة بتنفيذ المرحلة الأولى من اتفاقية وقف اطلاق النار»، وتنسحب القوات الروسية بالفعل من جروزنى قبل نهاية أغسطس ،وفى ٣١ أغسطس يوقع **الكسندر ليبد** والزعيم الشيشانى **ياندربيف** اتفاقية بالمبادئ العامة التى تحدد العلاقة بين روسيا والشيشان.

ومنذ ١١ أغسطس حتى ١٧ سبتمبر سافر ليبيد إلى الشيشان سبع مرات، لازالة مختلف العقبات التى ظهرت فى وجه عملية السلام. وتعد الاتفاقية التى وقعها ليبد الخامسة فى تاريخ الصراع. وخلال ذلك حرصت القيادة الروسية لسبب ما على اشراك أطراف دولية فى مقدمتها **منظمة الأمن والتعاون الأوروبية** فى كل خطوة من تلك الخطوات ، بدءا من الاتفاقية الثانية التى وقعها **ياندربيف وتشيرنومردين** بحضور **يلتسين** فى الكرملين (حينذاك حضر تيم جولدمان رئيس بعثة المنظمة فى جروزنى الاتفاق فى الكرملين) انتهاء بالاتفاقية السياسية بين**ليبد وياندربيف** فى**خاساف-يورت**.ولم يختف ولو للحظة وجه **السيد تيم جولدمان** وكأنه حجاب يمنع الحسد حضوره بركة لكل اتفاق. وحتى عندما عقدت القوى السياسية مؤتمرها فى ١٠ سبتمبر فى جروزنى للتوصل إلى تصور للحكومة الائتلافية القادمة أطل وجه **تيم جولدمان** فى لقاء يعد من صميم الحياة السياسية الداخلية للشيشان. ولكن ما هو الوزن الحقيقى للسيد «جولدمان»؟ لا شئ. الأهم من ذلك أن الكرملين كان الطرف الحريص على دعوته دائما ومشاركته.

وقد صور **ليبد** أن الاتفاق العسكرى الذى وقعه مع **مساخادوف** فى ١١ أغسطس ، ثم البيان السياسى الذى وقعه مع **ياندربيف** فى ٣١ أغسطس هما المخرج الوحيد من الأزمة. وقال الكاتب المعروف **سولجينتسين** أن **ليبيد لم يوقع صكا بهزيمة روسيا لكنه قام بالخطوة الوحيدة الممكنة فى ظل الهزيمة الكاملة** . وأطلقت بعض الصحف الروسية على الاتفاقين «صك الهزيمة» وصرح عمدة موسكو **يورى لوجكوف** بأن الاتفاقية السياسية «**اتفاقية استسلام عسكرى أمام مجموعة من قطاع الطرق**» أما «**يجور ستروييف** رئيس المجلس الاتحادى فأكد أن المجلس مع وقف الحرب: «لكن عندما يسعى البعض لدفع وقف الحرب الى اتجاه آخر يهدد وحدة الأراضى الروسية فاننا لن نقف مكتوفى الأيدى».

ويتخذ**جينادى سيلزنيف** رئيس الدوما نفس الموقف المعارض للاتفاق. أما **جينادى زوجانوف** زعيم الشيوعيين فاعتبر البيان السياسى «**مقدمة لتفكك روسيا وتحول جيوبوليتكى خطير**»، بينما اعتبره **جيرنوفسكى** «جزءا من المؤامرة الأمريكية لتقسيم روسيا وتجزئتها». هذا على حين صور آخرون أن الاتفاق كان المخرج الوحيد. المخرج الوحيد من الهزيمة؟.

أية هزيمة؟.

والآن لننظر فى وقائع الهزيمة التى تكبدها الجيش الروسى ما بين ٦ و ١٧ أغسطس فى جروزنى:- فى ١٧أغسطس يعلن **دوكوزافجايف** رئيس الجمهورية الشيشانية الشكلى المعين من قبل الكرملين أن اقتحام المقاتلين لجروزنى تم «نتيجة الخيانة»- لكنه لم يوضح قصده بالخيانة. وبعد يومين يعلن ممثله فى موسكو **أصلان اصلاخانوف** فى مؤتمر صحفى أن حكومة **زافيجايف** قد أخبرت قيادات الداخلية والجيش جروزنى إلى تسلل المقاتلين للمدينة وتمركزهم فى انحائها لكن القيادات العسكرية قالت لهم: «نحن على علم بكل شئ فاطمئنوا» ! وفيما بعد يعلن **زافجايف**-عندما يرى أن وضعه كرئيس مهدد- جروزنى سلمت للمقاتلين بتعليمات مباشرة من الكسندر ليبد .وفى ٥ سبتمبر يصرح **وحيد أبو باكيروف** النائب العام الشيشانى فى حكومة زافجايف بأن «القوات الروسية لم تفقد سيطرتها ولو للحظة على جروزنى، لكن المدينة سلمت للمقاتلين»!.

هذه هى «الهزيمة»!.

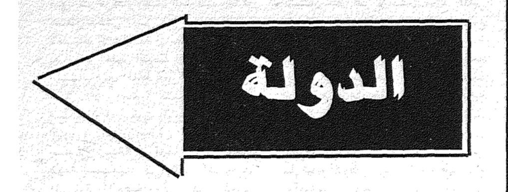
وبناء عليها وقع **ليبد** البيان السياسى مع**ياندربيف** الذى أشار لضرورة توقيع اتفاقية قبل٣١ ديسمبر عام ٢٠٠١ تحدد طبيعة العلاقة بين الاتحاد الروسى والجمهورية الشيشانية «أى إن كانت الشيشان ستظل داخل روسيا أم أنها ستنفصل عنها على أساس استفتاء عام يجرى يحدد فيه الشيشانيون موقفهم . ويستخدم البيان خلال ذلك مصطلحا مثل« النزاع العسكرى» الذى يستخدم عادة عند الحديث عن صراع بين دولتين **ويشير إلى «حق تقرير المصير «دون الاشارة» إلى «وحدة وسلامة**

الأراضى الروسية»، ثم ينص على أن الاتفاقية التى ستوقع بعد خمس سنوات ستكون «**وفقا للأعراف والمبادئ الدولية المتعارف عليها**».

وزاد العامل الدولى من حضوره وتأثيره بعد أن وجهت دورة البرلمانيات الأوروبية دعوة **لالكسندر ليبد وأصلان مساخادوف** لحضور اجتماع الدورة فى سالزبورج فى نهاية سبتمبر ٩٦. ويعتبر القوميون والشيوعيون أن ذلك تدخلاً واضحاً فى شئون روسيا الداخلية، فلم يسبق للمجلس الأوروبى أو لدورته البرلمانية أن دعت -مثلا- ممثلين للجيش الجمهورى الايرلندى، أو قادة الحركة الكردية فى تركيا، أو الانفصاليين فى كورسيكا، ويعرب زوجانوف عن دهشته من أن المجلس الأوروبى سيناقش بيان **خاساف يورت**- السياسى على حين لم يناقشه بعد المجلس الاتحادى (أحد مجلسى البرلمان الروسى) معتبرا أن ما يجرى هو سعى حثيث لتفكيك روسيا وأن المسئول الأول عن ذلك هو الرئيس **يلتسين** . ويرسل **جينادى سيلزنيف** رئيس الدوما خطابا إلى **لينى فيشر**- رئيسة الدورة البرلمانية للمجلس الأوروبى- يعلنها فيها أن **الوفد الروسى لن يشارك فى الدورة إذا تمسكت بدعوة أصلان ماسخادوف والوفد الشيشانى** . بل ويعلن **سيرجى ياسترجيم بسكى** الناطق الصحفى باسم **يلتسين** أن تلك الدعوة «تدخل فى الشئون الروسية الداخلية لن يسع موسكو على الأرجح أن تقبل به» (ولاحظ هنا على الأرجح»)، ويعلن جينادى تاراسوف ممثل الخارجية الروسية أن دعوة ماسخادوف أمر «لا يمكن القبول به» ويبرر ذلك ليس بكون تدويل القضية مرفوض من أساسه بل لأن «الدعوة توجه أيضا **لدكوافجايف**»!.

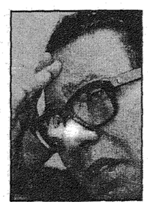
المشكلة أن **لينى فيشر** ترد على كل هذا معبرة عن دهشتها من الضوضاء الروسية بقولها إن دعوة الوفدين الروسى والشيشانى أمر تم الاتفاق عليه مع موسكو بالتفصيل خلال شهر أغسطس!.

وعندما تنفصل الشيشان عن روسيا فانها ستصبح معقلا أماميا لنفوذ الناتو، وحاجزا يفصل نهائيا بين روسيا وبين دول ما وراء القوقاز الثلاث: جيورجيا وأرمينياوأذربيجان. وقد يكتسب انفصالها أهمية أخرى مضاعفة اذا أحيلت القضية إلى بوابة الصراع الاسلامى- المسيحى وهى من الخطط الراقدة لدى الناتو، وتحتل فيها روسيا دور الفيصل الأمامى لتلك المواجهة فى طاجكستان والشيشان وآسيا الوسطى.



الدولة التى حذر منها أحمد بهاء الدين

نبه **أحمد بهاء الدين** - قبل غيره- إلى الدولة الروسية الجديدة التى قد تظهر فى الشرق الأوسط من مجموع المهاجرين الروس، وكان ذلك سابقا بكثير لقول الكاتب اليهودى **زاخارجيمان** فى «**نيزافيستيا جازيتا**» إن: «**دولة جديدة ظهرت فى الشرق الأوسط**»، دولة أخرى داخل اسرائيل. عمادها المهاجرون الروس ويقترب عدد مواطنيها من **المليون نسمة** . وتشير الاحصائيات إلى أن عدد المهاجرين الروس قد وصل إلى **ثمانمائة الف نسمة** اذا استمرت الأوضاع على ما هى عليه فى الشرق الأوسط وروسيا فان عددهم سيبلغ المليون خلال عامين على الأكثر . وبعد أن كانت جالية المغاربة اليهود تعد أكبر الجاليات تقدمت الجالية الروسية لتشغل المكان الأول دون منازع داخل اسرائيل.


أحمد بهاء الدين

ويتميز يهود روسيا- خلافا لليهود الذين عاشوا فى اسرائيل **بعدوانية بالغة** نظرا لحداثتهم ولوصولهم إلى إسرائيل فى لحظة الانتصارات العسكرية والانهيار العربى العام. **إن اللحظة وحداثة العلاقة مع الفلسطينيين أغريا اليهود الروس بمزيد من العدوانية والتطرف** .وقد صوتت غالبية المهاجرين الروس لصالح **نتنياهو** الأشد تطرفا فى مواجهة **شمعون بيريز** الأقل تطرفا فى الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة فى ٢٩ مايو ١٩٩٦، وكانوا أحد العوامل الهامة فى دفع التطرف الاسرائيلى إلى المقدمة مؤخراً.

وبادر مواطن سوفيتى سابق **هوناتانشارانسكى** بتأسيس حزب لأولئك المهاجرين هو حزب« **الطائفة الإسرائيلية**» ،وبفضله أصبح **ناتانشارنسكى** وزيرا للصناعة والتجارة الاسرائيلية. **وكان قد طرد من الاتحاد السوفيتى فى ١١ فبراير ١٩٨٦ بعد أن قضى تسعة أعوام معتقلا بتهمة الجاسوسية** التى ينفيها شارانسكى مدعيا أنه كان يدافع عن «حقوق الانسان» اليهودى بالطبع). وقد جدد احتمال زيارة يقوم بها شارانسكى لروسيا وزيرا- بعد أن طرد منها جاسوسا- مشكلات العلاقة بين تل أبيب وموسكو. ومع أن **شارانسكى** نفى أنه سيقوم بزيارته قريبا إلا أنه أكد أن تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية مع روسيا تعد احدى أولويات سياسة وزارته. وأضاف أن

ثمة طابورا من رجال الأعمال الاسرائيليين ينتظر عقد اتفاق بين موسكو وتل أبيب يوفر الضمانات اللازمة لرأس المال الأجنبى عن مخاطرته بالعمل فى الاسواق الروسية.

ومع استئناف العلاقات الدبلوماسية بين تل أبيب وموسكو عام **١٩٩١** لم يكن حجم التبادل التجارى بين البلدين يزيد عن **أربعين مليون دولار** ، لكنه وصل اليوم إلى **نصف مليار سنويا** . ولكن مشكلات سياسية تلوح من وقت لآخر فتعطل تطوير العلاقات بين البلدين، كانت فى مقدمتها مسألة **اغلاق فرع وكالة سحنوت اليهودية فى موسكو** وهى نفس الوكالة الشهيرة التى أنشئت قبل قيام دولة إسرائيل غصبا وعد عدوانا لتجميع اليهود وحثهم على الهجرة إلى فلسطين لاغتصاب الأراضى وطرد أصحابها منها بالقوة . وبعد إعلان قيام إسرائيل واصلت الوكالة دورها فى تجميع الشتات اليهودى من دول أوروبا وسوقه إلى فلسطين. ثم برز نشاطها على صعيد آخر: رد الاعتبار لليهود الذين لاقوا اضهادا والعمل على توفير المساكن لهم فى المستوطنات، ورعاية الشباب، ثم نشطت فى مجال جديد أسمته **«التطور والتجديد»** استهدف التخطيط والعمل على المدى البعيد لحماية الكيان الاستيطانى. **ولكن الوكالة ظلت وفية لأهداف التجسس وتجنيد العملاء لصالحها**، بملاحظة أن حق تنظيم السفر والهجرة إلى إسرائيل من صلاحياتها وحدها.وفى **١٩٩٢** وافقت وزارة العدل الروسية على تسجيل فرع للوكالة فى موسكو بشرط أن يقتصر نشاطه على العاصمة الروسية وحدها، لكن القائمين على**سحنوت** تحركوا بحرية فى كل أنحاء روسيا ، بل وأنشأت الوكالة خمسين فرعا لها فى مختلف الأقاليم الروسية خلافا لتصريح وزارة العمل.وفى ٢ أبريل ٩٦ قامت الوزارة بالغاء التصريح الممنوح للوكالة، ثم أعلنت عن ذلك فقط فى مايو ٩٦. وبررت الوزارة ذلك بتصريح رسمى متحفظ قائلة أن الوكالة خالفت القوانين الروسية . لكن مصدرا مطلعا فى المخابرات الروسية أدلى بحوار جاء فيه أن **سحنوت كانت تجمع المعلومات على نطاق واسع بشأن الطاقة المحتملة للهجرة اليهودية من روسيا ودول الرابطة، وسعت لاغراء المواطنين بالهجرة بتقديم المنح الدراسية والعلاجية لهم، وكانت تشترط على الراغبين فى تلك المنح أولا الحصول على الجنسية الاسرائيلية**، بملاحظة أن القانون الروسى يسمح بازدواج الجنسية. وأضاف مسئولون آخرون أن سحنوت تسترت بالمؤتمرات العلمية لتدعو بشكل منتظم علماء روسيا من أصحاب المخترعات العلمية والاكتشافات الهامة ثم ترتب لهم سفريات إلى تل أبيب كأنما لمناقشة كيفية تنفيذ تلك المخترعات. وأضاف المسئولون أن الجهات الروسية المختصة تعتقد أن اللجوء لاستغلال الطاقات العلمية الروسية دونما أية رقابة أمر يمس الشئون الداخلية لروسيا.

وفى تعليق على إغلاق الوكالة قال**فيكتور بوسفاليوك** النائب الأول لوزير الخارجية«لا ينبغى اتهامنا بالتحيز أو عدم الموضوعية، كل ما فى الأمر أن فترة الآمال والنشوة التى أعقبت استئناف علاقتنا باسرائيل قد انتهت.. ولا ينبغى أن يثير حزمنا كل ذلك القدر من الحساسية المفرطة. وقبل القرار باغلاق فرع الوكالة كانت المخابرات الروسية **قد القت القبض على ضابط روسى يعمل فى المخابرات العسكرية وهو يسلم إلى أحد مندوبى الموساد صورا سرية لعدد من المواقع الدفاعية فى بلدان من الشرق الأوسط** . ولكن رئيس الوكالة **افرام بورج** لم يستسلم لقرار الاغلاق ، فشد رحاله لموسكو مرة أخرى بعد شهرين فى زيارة خاصة بأمل أن يثنى الجهات الروسية عن قرارها ،وحين فشل ، تقدم نفس العاملون فى فرع سحنوت بطلب آخر لتأسيس وكالة جديدة هى**«الوكالة اليهودية فى روسيا»** لتعاود عمليا نفس النشاط تحت يافطة أخرى. ووصل إلى موسكو المواطن الاسرائيلى **«آريه سادى»** الذى يتقن اللغة الروسية فى انتظار إن يترأس الوكالة الجديدة ما أن تمنحه وزارة العدل تصريحا بالعمل. ويرتبط ذلك الاصرار بمخطط توسيع الدولة الجديدة التى أشار إليها **أحمد بهاء الدين** مبكرا وحذر مصر والعرب من خطورتها. ويشكل أفراد هذه الدولة جسرا بشريا يضع قدما فى تل أبيب، وقدما أخرى فى موسكو ليغدو أحدى أهم حلقات تطوير العلاقة مع روسيا والسيطرة على التوجهات السياسية الروسية.

وبالرغم من الأحاديث والأساطير عن أرض الميعاد والوطن اليهودى إلا أن الروس فى اسرائيل يعيشون حياتهم الخاصة **فيقرءون الصحف الروسية التى تعاد طباعتها فى تل أبيب مثل«موسكوفسكى نوفستى»، و«سيمفودنيا» و «آرجومنتى إى فاكتى»، «وسوبسيدنيك»** ،**وغيرها، ويلتقطون محطات الاذاعة الروسية وقناتين تلفزيونيتين ، ويترددون مع أطفالهم على مسارح خاصة بهم ويلحقون أبناءهم بمدارس روسية، ويقتصرون على العلاقات الأسرية التى تنشأ فيما بينهم.** وأيا كانت الأساطير المقدمة فانهم يستشعرون الغربة التى عبرت عنها شاعرة اسرائيلية من أصل روسى حين كتبت تقول فى أحدى قصائدها:

- وحده الطير المعلق بين السماء والأرض.
- هو الذى يختبر الآسى لفراق الوطنيين».

وبالها من صورة شاعرية لطائر علقه الحزن على فراق وطنيه بين السماء والأرض طائر من الكواسر لا يحرك شجنه سوى عجزه عن التهام قطعة من سماء روسيا وحفنة من تراب فلسطين فى نفس الوقت ، لأنه إن نشب مخالبه فى السماء، هوت من بينها ذرات الأرض الأخرى. وفى الشعر الاسرائيلى يغدو العجز عن العدوان مادة لاحزان القلب وأسفه!.

وكان **أحمد بهاء الدين** أول من أشار إلى ذلك الطائر الكئيب فى السماء قبل أن تراه عين قبله!.

أحمد الخميسى

فى حفل الحزب الشيوعى السنوى النقد والتغيير

المجتمع الفرنسى يتجه إلى أن يصبح أكثر عنف وأقل عدالة.. وتتراجع فيه الحضارة

رسالة باريس

نجلاء العمرى

شهر سبتمبر فى باريس يعنى شيئين : دخول المدارس وحفل صحيفة "**لومانيته**": من الصعب أن تكون بباريس فى هذا الشهر ، ولاتراودك فكرة الذهاب إلى حفل "**الشيوعيين**" كما يطلق الناس فى الشارع هنا على هذا الحفل الذى يمتد ثلاثة أيام – من الجمعة إلى الأحد ، من الصباح وحتى الساعات الأولى من الفجر .

الأفيشات تعلن عن الحفل ، تغزو محطات المترو بدءا من شهر يوليو مذكرة الباريسيين بهذا اللقاء السنوى . وما إن يقترب الموعد ، إلاّ و ينتشر أعضاء الحزب فى أركان الشوارع ، تجدهم على كل ناصية يعرضون المجلة"**لومانيته**" للبيع وتذاكر الدخول والبرنامج . وتستعد هيئة النقل العام هى الأخرى ، فتخرج أتوبيسات خاصة لنقل الآلاف من محطات المترو إلى مكان الحفل المعتاد.. **حديقة " الكورنيف"** إحدى ضواحى باريس الشمالية . الضاحية التى تحمل رقم ٩٣ حيث مقر الجريدة التى يحمل الحفل اسمها ، وحيث أغلبية السكان من الطبقات الشعبية والمهاجرين.

هذا العام ، فاق الحفل كل التوقعات . فمن الجمعة الثالث عشر إلى الأحد الخامس عشر من سبتمبر ، توجه ٦٠٠ ألف باريسى إلى ضاحية "**الكورنيف**" ليمضوا عطلة نهاية الأسبوع فى حفل " الشيوعيين " والرقم ، لايعنى على الاطلاق ، أن كل هؤلاء من الأعضاء فى الحزب . أو حتى من المتعاطفين معه . فأهمية الحفل أنه استطاع أن يجمع قطاعات كبيرة من الباريسيين ، من كل الاتجاهات ، من يهتم بالسياسة ومن لايهتم بها ، من يصوت للحزب الشيوعى أو لليسار ومن يصوت لغيرهم . فلكل من هؤلاء استطاع هذا الاحتفال السنوى أن يجد مايجذبه اليه .

فهناك **العائلات بأطفالها** ،ترى فى الحفل فرصة لقضاء نهاية ممتعة للأسبوع حيث الألعاب والملاهى ، وحيث يمكنك أن تتناول الغداء فى كوبا والعشاء فى فيتنام مرورا بأكواب التيكيلا فى أمريكا اللاتينية .. والعرقسوس أو الشاى الأخضر فى المنطقة العربية وحتى عصير الأرز فى الصين فكل مقاطعة فرنسية جاءت بتراثها من الأزياء والمأكولات والمشروبات ، وكل دولة أو حزب جاء هو الآخر بما يميز بلده.

ثم هناك **الشباب** الذى تجذبه الموسيقى ، موسيقى الشعوب ، ولكن أيضا موسيقى الروك والجاز وأصوات المغنيين المشهورين الذين ينجح الحفل فى استقطابهم كل عام ، فيتيح بذلك لهذا الجمهور من الشباب أن يرى ويستمع إلى أصوات مشهورة على مدى أيام ثلاثة بمبلغ لايصل إلى ربع ثمن تذكرة حفل أى منهم فى مكان آخر.

وهناك أيضا **المثقفون والمسيسون** تجذبهم أروقة النقاشات بلغ عددها هذا العام **مائة وخمسين ندوة** مابين الأدب والإعلام والحقوق والسياسة.

حتى **الأطفال** ،لهم قريتهم الخاصة ، حيث عروض البهلوان والماكياج وأيضا منظمة العفو الدولية تعرض لهم " وثيقة حقوق الطفل".

النجاح الجماهيرى إذا كان هذا لعام مثار حديث وسائل الإعلام التى تناقلت رقم الستمائة ألف زائر ورأت فى هذا الرقم مع الشعار الذى عقد حوله الاحتفال بداية جديدة للحزب الشيوعى الفرنسى فالشعار كان "**شيوعية : التغيير**" وهو ذاته عنوان آخر كتب سكرتير عام الحزب **روبير هيو.**

فى أروقة الندوات ، وأهّمها كانت ندوة السكرتير العام بالقطع، تأكدت السياسة الجديدة للحزب ، التى تشكل من ناحية **قطيعة واضحة مع تراث" جورج مارشية"** ، ومن ناحية أخرى ، الأساس الذى سيعقد حوله **المؤتمر التاسع والعشرين للحزب** فى ديسمبر القادم استعداداً لخوض الانتخابات التشريعية فى ١٩٩٨ . واتضح من الوثيقة التى طرحت للنقاش وصاغتها اللجنة الوطنية ، وفى مجمل النقاشات فى المرحلة الجديدة تحت شعار " التغيير" تقوم على مبدأين: **الأول ، الانفتاح ، الانفتاح على مجمل قوى اليسار . والثانى التوجه إلى الفرد والإعلاء من قيمة التجربة الذاتية الفردية ، وفى المبادرة الفردية فى صيغة تطرح المجموع على أنه حاصل جمع لهذه التجارب لانافيا لها.**هذان المبدأن ظهرا بوضوح فى وثيقة اللجنة الوطنية المطروحة من الأن وحتى ديسمبر للنقاش ونحاول أن نعرض هنا النقاط الخمس الأساسية التى قدمتها.

أولا : خيار الإنسانية والديمقراطية

تبدأ الوثيقة بالتساؤل حول الجدوى من وجود الحزب الشيوعى فى ظل حقيقة يجب الاعتراف بها ألا وهى **تقدم " اليمين"**؟ وجدوى الخيار الذى حدده لنفسه ، خيار الانسانية والديمقراطية ومدى فاعليته فى مواجهة الرأسمالية؟ وفى نطاق النقد الذاتى الذى هيمن على الوثيقة ، تطرح التساؤل حول الفارق الكبير مابين الأصوات التى يحصل عليها الحزب ومابين نوايا التصويت له أو حتى اتجاهات التعاطف معه؟

فمنذ سنوات ثلاثة ، وفى المؤتمر السابق للحزب ، قرر الحزب التحول إلى **" حزب شيوعى من نوع جديد ، يتوحد مع القدرة الذاتية لكل فرد ومع الديمقراطية**.ودعا إلى هيكل سياسى جديد ، يجمع داخل البرلمان وداخل الحكومة كل قوى اليسار والتقدم على أن تقوم هذه القوى - بالمشاركة مع الشعب - على تنفيذ سياسة التغيير.

وترى الوثيقة أن مواجهة ،حقيقة تقدم اليمين لاتتم إلا بتحقق شرطين : الشرط الأول **أن لاييأس الشعب أبدا وأن لايتخلى عن قدرته على التدخل بكل الوسائل التى تمكنه من التأثير على سلوك القوى السياسية المختلفة وبخاصة من خلال التصويت** .ومبدأ **"التعددية"** هو الأساس لليسار مع الاعتراف أن العدد الضئيل جدا المؤيد للجناح الشيوعى داخل هذا اليسار هو عائق ضده وتزييف لطبيعته.

وأثارت هذه النقطة الأخيرة - فى مناقشات الحفل - انشقاقا وجدلا كبيرين . فظهر اتجاهان ، الأول يرى أن صياغة الوثيقة قد ذهبت بعيدا فى هذا الخصوص والأخر يرى أنه من الأهمية إحداث تغييرات من نوع مختلف دون أن يحدد مع ذلك وعلى وجه الدقة ماهية هذه التغييرات المختلفة . ولاشك أن الجدل حول هذه النقطة سيثار وبشدة خلال المؤتمر القادم .. وهى تعد فى حد ذاتها استمرارا للنقد الذاتى الذى مارسه الحزب منذ **مؤتمره الثانى والعشرين** عام ١٩٧٦ ، وفيه سجل قطيعة مع العديد من المسلمات والممارسات القديمة.

والقطيعة أصبحت أكثر وضوحا مع التعريف الجديد المطروح اليوم للحزب الثورى . فالوثيقة المطروحة للنقاش من قبل اللجنة الوطنية للحزب تقول أن **" حزبنا هو حزب ثورى ، ليس بمعنى أننا نريد تحطيم كل شئ واقامة مجتمع جديد بغض النظر عن حقائق الواقع . ولكن بمعنى أننا نريد المساهمة فى ايجاد حلول ملائمة لهذا الواقع ولتحدياته على أن تكون هذه الحلول مواكبة لتغيير عميق فى المجتمع ، ومن أجل نظام عالمى جديد.** إن اختيار **"الانسانية والديمقراطية"** يستجيب لحاجة معظم الأفراد للتغيير ، ولإرادتهم فى تحقيق الاستقلال ، وفى أن يكون كل فرد مسموعا ومحترماً . ولكنه يصطدم بالمنطق الحالى للرأسمالية التى تسعى أكثر فأكثر إلى تركيز السلطات والمعارف والثروات ، والتى تغذى المنافسة بين الأفراد والشعوب ، وتغذى مشاعر القلق ، وأحلام انتظار " الزعيم".

وتعترف الوثيقة **بصعوبة خيار الديمقراطية** ،فهناك أزمة حقيقية تمر بها السياسة بشكل عام ، وهى أزمة لاينجو منها الحزب الشيوعى نفسه.

وفى إطار **" الواقعية"**،تعترف الوثيقة أيضا بأن **أغلبية الشعب لاترى فى قوى اليسار اليوم بديلا حقيقيا**.ولابد وأن هذا " الوعى" يعبر عن حقيقة ما خاصة فى ظل استمرار الخلافات مابين قوى اليسار حول الخيارات التى يجب اتخاذها لمواجهة **هيمنة " المال من أجل المال"**.

وحول هذه النقطة ، انقسمت الأراء أيضا . فهناك من رأى قصر التجمع على الحزب الشيوعى ، بينما رأى آخرون ضرورة البحث عن صيغة توافقية جديدة بين كل قوى اليسار خاصة مع الانتخابات القادمة وحدد المناقشون هذه القوة فى **اليسار المتطرف والبيئيين.** وطرح التساؤل حول ضرورة الاجابة بصراحة حول ماإذا كانت هذه القوى هى بالفعل على استعداد لتولى الحكم معا؟ وإذا كانت الاجابة بنعم ، فعلى أى أساس ؟

تراجع المجتمع الفرنسى

النقطة الثانية فى النقاط الخمس تتعلق بالمجتمع الفرنسى ذاته والتغييرات التى تعتمل بداخله . واجابة اللجنة قاطعة **،فالمجتمع الفرنسى فى طريقه إلى أن يكون أكثر عنفا وأكثر حدة ، وأقل عدالة ، وتتراجع فيه الحضارة.**

وفى العادة ، ماتساق تبريرات التقدم والتكنولوجيا والعولمة لمثل هذا التراجع . ولكن المناقشات والوثيقة أكدا على أن هناك سببا أخر ، **فهذا التراجع والتردى يعود إلى الاختيارات الطبقية للأوساط المتحكمة فى الدولة وفى الاقتصاد فى ظل سياسة تخضع لاعتبارات الكسب المادى وتريد أن تخضع المجتمع كله لها.** ومن الأجدى أن يقودنا التقدم والتكنولوجيا الحديثة وتراجع الحضارة إلى التساؤل عن ماهية الهدف الذى يجب أن يناط بـ مجتمع متحضر؟ هل هو الكسب والمال من أجل المال ، أم الانسان وسعادته وحقوقه.

فلا شك أن فرنسا دولة متقدمة وهى إحدى القوى الرئيسية فى هذا العالم . ومع ذلك ، فاليوم **،تضرب البطالة فيها عائلة من كل أربع عائلات . والعمل المؤقت ولنصف الوقت يكتسح** حتى أصبح العمل وضماناته فى الدستور غير المدون وكأنها من مخلفات عصر سابق . وأصبحت كل المكتسبات الاجتماعية للفرنسيين ينظر إليها وكأنها ترف لم يعد مقبولا فى أوقات الأزمة . وكأن كل مايصرف على الانسان ومن أجله هو من قبيل المصروفات الزائدة الواجب ضغطها.

وتؤكد النقاشات على أن **حالة التردى أصابت العالم كله** ، فلقد أصبح أكثر خطورة وأكثر تهديدا .**وتعدت ذلك إلى الفرد ذاته** فى علاقاته بالعمل ، وبالسياسة وفى حياته الاجتماعية وفى حياته الخاصة .

وتطرح الوثيقة التساؤل الآتى: أليس من الأفضل بدلا من الحديث عن التردى أن نتمسك بما تمخضت عنه هذه الأزمة من التساؤل حول الهدف فى المجتمع ، وفى ظهور أشكال جديدة من التضامن الاجتماعى ؟

وتضرب مثلاً على ذلك بالأسرة . ففى الوقت الذى أصبحت فيه **الأسرة** مهددة بالانهيار أعيد لها اعتبارها كمساحة من الحب والتضامن . والشئ نفسه يتعلق **بالمرأة** ،فتهديد مكتسباتها ، أعاد الحياة إلى الحركات النسائية . حتى **العولمة**،فى شكلها الحالى ، فبدلا من التعامل معها على أنها " السياسة الممكنة الوحيدة " كما يدعى اليمين أو تدعى " الواقعية اليسارية" فمن الأفضل النظر إليها بشكل ايجابى . فالتقدم الهائل فى إمكانيات التبادل والتعاون بامكانه أن يساهم فى فرز نمط جديد فى التنمية على المستوى العالمى .**فالعولمة الحالية" يمكن مواجهتها بعولمة أخرى ، عولمة التعاون فى خدمة التنمية المشتركة للشعب.**

وتؤكد الوثيقة على ضرورة أن تلغى فى ثقافة الحزب وممارساته **قيم " الدولنة ETATISME** أى التدخل والاعتماد المبالغ فيه على الدولة . وأيضا على قصر التغيير على الوصول إلى الحكم . فمع الاعتراف **بأن مسألة الوصول إلى الحكم تظل جوهرية وأساسية إلا أنه يجب النظر إلى**

السكرتير العام للحزب يعلن

القطيعة مع تراث« جورج مارشيه»

التغيير على أنه عملية تتم حيث توجد أى سلطة : داخل المؤسسة ، فى الحياة الاجتماعية ، داخل حدود فرنسا أو على مستوى أوروبا .فمن المهم بناء علاقات جديدة تواجه قواعد اللعبة الرأسمالية فى كل مكان وفى كل المستويات.

الشيوعية الجديدة

أية حضارة نريد وأية شيوعية نعنى؟ السؤال يصبح صعبا فى اللحظة التى يواجه فيها المجتمع تراجع الحضارة؟ ويبحث بالتالى عن أفكار وقيم جديدة . ومع الاعتراف بأن ماحدث فى دول أوروبا الشرقية باسم الشيوعية أصاب هذه الشيوعية عندما صورها وكأنها عاجزة على أن تحمل المثالية التحررية ، **فمن الضرورى إعادة التفكير فى الشيوعية مع قراءة جديدة لتاريخ تطبيقها قائمة على النقد.**

هذه القراءة بدأت بالفعل مع المؤتمر السابق الذى دعا إلى تفكير أعمق حول المفاهيم التى شكلت على مدار العقود الماضية الرؤية للمجتمع وللثورة وللاشتراكية وللدور الثورى للحزب . وأشار المؤتمر آنذاك إلى أن **الماركسية اللينينية** قدمت ولعدة أجيال رؤية للثورة فى شكل " كتالوج" جاهز من القوانين . ومن قبل منذ عام ١٩٧٦ ، أعلن الحزب الشيوعى الفرنسى تخليه عن مفهوم " **ديكتاتورية البروليتاريا** " كبداية محاولة لارساء مشروع اشتراكى فرنسى قومى الديمقراطية .

وهذه المراجعة ، تؤكد عليها وثيقة اللجنة الوطنية مضيفة أن الطريق أصبح بالفعل ممهدا للتحرر من نمط المفاهيم التى أكدت عليها الدولية الثالثة: **الماركسية - اللينينية ، الحزب - القائد ، المركزية - الديمقراطية .**

هذه المراجعة تستمد مشروعيتها من فشل المشروعات المقدمة سلفا على طريقة" تسليم مفتاح" **فتحرير المجتمع من الهيمنة الرأسمالية يتطلب ليس تفضيلا لمصالح طبقة بعينها ، ولكن العمل من أجل جمع كل هؤلاء الذين يعانون من هذه الهيمنة** .فعلى سبيل المثال ، من المهم طرح مفهوم جديد للعمل ومفهوم جديد لوقت الفراغ ، فلا يمكن أن يحدث التقدم فى ظل حضارة قائمة على تكنولوجيا شديدة التعقيد لم يسبق لها مثيل فى التاريخ وتستمر فى التعامل مع المقدرات الانسانية على أنها سلع تشترى بأرخص الأسعار ثم يقذف بها بعد ذلك إلى البطالة . ومن المهم أيضا التملص من " إنابة الدولة ETATISME dele-gartion وحل محلها قيم الديمقراطية المباشرة ، المسئولية . والتضامن المتبادلين ، وتقاسم الأدوار والمعارف.

وحول كيفية التخلص من هيمنة رأس المال فى كل قطاعات الانتاج والحياة الاجتماعية ، ترى اللجنة الوطنية ضرورة **بحث مسألة الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ولوسائل التبادل الكبرى** .مع ضرورة التفكير فى صيغة جديدة للعلاقات مابين القوى والادارة وأنماط الملكية حتى تتجنب الدولنة والجماعية (ألا يغالى فى فرض الصيغة الجماعية) GIlectivisme على أن يحدث نوع من الربط والمزج مابين تنوع أنماط الملكية الشخصية والاجتماعية.

تجمع اليسار الجديد

وتقرر النقطة الرابعة للوثيقة أن " وفاقا ما جمع مابين اليمين والحكومات الاشتراكية منذ الثمانينات حول " صنم" الليبرالية جعل هذه وتلك فى النهاية تتخذ توجهات متشابهة ومن الضرورى الآن تحطيم هذا " الصنم" . وليس ذلك ابتعاداً عن الواقع فالواقعية الجديدة يجب أن ينظر اليها على أنها ارادة فعل شئ مختلف وسياسة مختلفة غير تلك التى فشلت فى حل مشكلات مجتمعنا ومن المهم إقرار فى ذلك الشأن حقوق جديدة للعاملين ومن المهم أيضا التأكيد على أن التراث الفرنسى هو أن السياسة التى تحكم فرنسا هى تلك التى يختارها شعبها . ويصبح **من المهم تحقيق التضامن مابين العاملين والقوى النقابية والتقدميين على مستوى أوروبا لمواجهة شروط معاهدة ماستر يخت** . ففى الوقت الذى بدأت فيه شعوب أوروبا تحتج على السياسات الليبرالية ، فان فرنسا إذا ماقررت اتخاذ طريق مختلف لن تكون أبداً معزولة.

والمسألة تتعدى حدود البعد الاقتصادى وحده . ففضائح كفضيحة " **البقرة المجنونة أو الأدوية التى يرفض انتاجها بدعوى أنها غير مربحة تجاريا ، كلها ممارسات يجب ادانتها . والحقوق الجديدة للعاملين يجب أن تتخذ حق المعرفة باقرار مبدأ الشفافية وتوافر المعلومات حول حركة الأموال . كما يجب الغاء الانفاق غير المبرر الذى نتج عن النمو المالى وعن المنافسة المبالغ فيها فى ظل الحرب الاقتصادية القائمة ، مع التأكيد على التعاون مابين القطاعين العام والخاص ورأس المال الوطنى والدولى.**

وتؤكد الوثيقة ، فى هذا الجزء ، على ضرورة تحديث التعليم ، وتوفير الحماية الاجتماعية لأن الاستثمار فى الوقاية هو السبيل الحقيقى لخفض النفقات.

وفيما يتعلق بالديمقراطية تندد الوثيقة بما أسمته" **الانحراف الملكى للحكم**" أى هيمنة المؤسسة الرئاسية على قطاعات متعددة ومنها الإعلام . وتؤكد على ضرورة اعادة إحياء الديمقراطية التمثيلية بمستوياتها المختلفة وخاصة فى أماكن العمال " فلا يمكن أن توجد الجمهورية فى المجتمع بينما توجد الملكية فى أماكن العمل ".

الحزب

وتختتم الوثيقة نقاشاتها بالتساؤل عن دور الحزب ذاته ، وهل هو على الطريق السليم؟ وهل يسير بالسرعة المطلوبة؟ ثم كيف يرى الرأى العام الحزب الشيوعى وكيف يرى الصحافة الشيوعية ومضمونها وتوزيعها؟ وكيف يمكن لها أن تعكس التوجه الجديد أى التنوع والانفتاح.

ويؤكد هذا الجزء على ضرورة إعطاء مساحة أكبر لكل عضو كفرد . فلم يعد هناك قالب واحد لابد وأن تصب فيه كل الأراء ." والمركزية الديمقراطية " لابد من تخطيها داخل الحزب ذاته وفى قيادته .**مع التأكيد على الانتخاب كوسيلة وحيدة فى كل مستويات إدارة الحزب** .واعطاء الفرصة للشباب وللمرأة على أن تتم مواءمة أساليب العمل لأنماط حياة الأجيال الجديدة وليس العكس.

.. وينتهى الحفل

ويختار **روبير هيو** أن يعهد بالخطاب الختامى إلى وجه جديد ، إلى إمرأة مؤكدا بذلك توجهات الحزب الجديدة.

وقبل مغادرة الحفل ، نتجول فى " الساحة الدولية " ، تطغى عليها أجنحة ثلاثة: **الجناح الكوبى ، والجناح الصينى ، والأجنحة الجزائرية** التى تعددت . واستقلت المرأة الجزائرية بجناح خاص بها .

وتتضاءل بعد ذلك الأجنحة العربية الأخرى ، فالجناح السورى خال إلا من لافتة وركن لبيع سندويتشات الشاورمة ، وجناح منظمة التحرير خال إلا من بعض مقاعد فارغة . ونبحث عن الجناح المصرى .. ويبدو - وكما هو الحال منذ عدة سنوات - أنه قرر هذه المرة أيضا .. الاختفاء.

نداء من عالمة اسلاميات المانية إلى الرئيس مبارك

حكم النقض ضد نصر أبو زيد يضر بسمعة مصر والإسلام

رسالة ألمانيا

نبيل يعقوب

معركة **د. نصر حامد أبو زيد وزوجته د. ابتهال يونس** محتدمة فى الاعلام الأوروبى. واصدقاء مصر والعرب والمسلمين من الاوربيين فى مأزق. مقالات وبرامج تلفزيونية واذاعية لا حصر لها تنظر الآن إلى العالم العربى والاسلامى من منظار حكم محكمة النقض المؤيد للتفريق بين **د. نصر أبو زيد وزوجته د. ابتهال يونس**. والادانة قاطعة ومطلقة من كل الاتجاهات لكافة مراحل الحرب ضد أبو زيد والتى بدأت بمحاولة بعض أساتذة الجامعة حرمان العالم المصرى من لقب الاستاذية بادعاء خروج استنتاجاته العلمية عن الدين، ثم محاولة اغتيال كرامته وحريته وحياته الزوجية بالمطالبة بالتفريق بينه وزوجته الدكتورة **ابتهال يونس** حتى صدور حكم التفريق وتأييده من محكمة النقض. والحساسية فى أوروبا عالية تجاه المساس بحقوق الانسان أو التعرض لكرامته بسبب التراث الطويل فى الصراع ضد الاضطهاد الفكرى والذى وصل تحت جور محاكم التفتيش فى العصور الوسطى إلى ملاحقة افكار كوبيرنيكوس حول علم الفلك فمنعت الكنيسة الكاثوليكية مؤلفاته عن حركة الكواكب، ونفذ الحكم بحرق العالم **جوردانو برونو**، واجبر **غاليلو غاليلى** على «اعلان التوبة» والتبرؤ من اكتشافاته.

والآن يكاد الحصار يطبق على الجهود الكبرى التى يبذلها مستشرقون معاصرون متعاطفون مع الشعوب العربية والاسلامية لدحض الاحكام المسبقة فى علم الاستشراق التقليدى ولدى الاعلام الاوروبى. وكان صدور هذا الحكم ضد العالم المصرى ذى السمعة العالمية المرموقة مفاجئة غير متوقعة لدى هؤلاء المستشرقين الذين أصدرت **لجنة مناصرة نصر أبو زيد وابتهال يونس** المعبرة عنهم بيانا متفائلا قبل صدور حكم النقض. واللجنة تشكلت من عدد من أساتذة «السيمينار الشرقي» فى جامعة بون، وتضم مجموعة من علماء الاستشراق الجدد والكتاب والفنانين الذين يبذلون جهدا هاما للرد على الاتجاهات المناهضة للاسلام ،ومن أعضاء اللجنة الاستاذة **آنيمارى شيميل** عالمة الاسلاميات الالمانية الشهيرة وعضوة أكاديميا العلوم فى أمريكا وألمانيا وبروفيسور **ستيفان فيلد** بجامعة بون ورئيس تحرير مجلة **«عالم الاسلام»** والكاتبة الصحفية **بيانه هينريش** والصحافى **يوهانيس دوخرو**، وعالم الإسلاميات **ناند كرمانى** والاستاذة **جودرون كريمر**، وعدد من أبرز علماء الاسلاميات الألمان وكانت اللجنة قد استنكرت فى بيان لها الحكم بالتفريق بين **أ. د. أبو زيد وزوجته د. ابتهال يونس** وحذرت من أن هذا الحكم يمثل- فى مصر- **«سابقة لمحكمة تفتيش اسلامية»** ضد مثقف مصرى يفكر بشكل نقدى» وفى الصراع بين الاسلامويين الذين يزدادون راديكالية والحكومة يعزز هذا الحكم السياسة الشمولية التى تزيد من تقييد حرية الرأى وتحرم الكلام على النقاد بناء على تفسيرها العقائدى للاسلام.

وفى بيانها التأسيسى قالت اللجنة :«إن أعضاء لجنة المناصرة يريدون أن يوضحوا للرأى العام الالمانى **أن الاسلام ليس المسئول عن هذا التطور وانما المتطرفون اليمينيون الذين يوظفون الدين لاغراضهم السياسية ويتنكرون للتقاليد الاسلامية السمحة**. وكانت اللجنة قد وجهت رسالة إلى الرئيس حسنى مبارك تقول فيها أن الدولة المصرية مسئولة عن حماية مواطنيها من تعديات المتعصبين الذين يخفون اغراضهم السياسية خلف ستار الدين. وان هذا الحكم يمكن أن يفتح الطريق لسلسة من أحكام مماثلة تحول مصر ثقافيا إلى صحراء قاحلة. وأن الحكم يضر بمكانة الاسلام.

ولكن تفاؤل اللجنة السابق أصيب بخيبة أمل شديدة بعد حكم محكمة النقض.

إن الصورة القديمة التى رسمها الفكر الاستعمارى للعالم العربى الاسلامى كعالم مثير للخوف والرعب ولا يؤتمن.. هذه الصورة التى بنت عليها واضافت اليها الدعاية الاسرائيلية يزداد رسوخها فى الذهن الاوروبى للاسف الشديد.

دفاعا عن سمعة مصر ونظامها القانونى.

وجهت السيدة **آنيمارى شيميل Annemarie Schimmel** (٧٤) سنة ،المستشرقة واستاذة وخبيرة اللغات الشرقية، التى اشتهرت عالميا لتعمقها فى علوم الاسلام وبتبحرها فى الطرق الصوفية، وجهت نداء للرئيس **مبارك** ليتدخل دفاعا عن سمعة مصر ونظامها القانونى وعن **د. نصر أبو زيد** العالم الذى أخذ على عاتقه الدفاع عن الاسلام فى الغرب.

وكانت بروفيسور **انيمارى شيميل** قد

تمنحها سنويا دور النشر الالمانية ويقدمها رئيس الدولة للفائزين بها. وأبرز قرار منحها أرفع الجوائز الادبية «معرفتها للاسلام وفهمها له ولحياته الداخلية، وبلقائه المحيي للثقافة في الغرب. كما نوه القرار بان عملها الفكري يمثل علامة على اللقاء بين الثقافات وليس المواجهة بينها».

ولكن **أنيماري شيميل** التي اجتهدت ولا زالت لاقامة جسور تفاهم بين العالم الاوروبي والاسلامي تعرضت بعد حصولها على الجائزة لحملة في وسائل الاعلام الالمانية بسبب **انتقادها لسلمان رشدى لانه «جرح مشاعر المسلمين بشكل بالغ فى شره»** وكانت السيدة شيميل قد أثارت دهشة وسخط مثقفي الابراج العاجية الالمان لانها لم تشارك في حملة التمجيد **لتسليمه نسرين** بل أنها أبدت تفهمها لسخط الحانقين على الطبيبة الكاتبة التي بكتاباتها أمدت الخلاف بين الهندوس والمسلمين بزيت يزيد النار اشتعالا (حسب تقييم الأوساط الفكرية والسياسية الوطنية الحريصة على وحدة بنجلاديش وتقدمها)، وجاء الاعتراض على منح العالمة الالمانية الجائزة من أوساط فكرية لا علاقة جدية لها بالعالم الثالث ولم تنطلق إلا من معايير ليبرالية مطلقة.

وقد بدأت **انيماري شيميل** دراسة اللغة العربية في الخامسة عشرة من عمرها، ومما يعد تأكيدا لقدراتها الخارقة أنها حصلت على الدكتوراة وهي في التاسعة عشر من عمرها وهي تجيد العديد من اللغات الشرقية وتترجم من ست لغات شرقية منها العربية والفارسية والتركية والاردو ولغات هندية أخرى.

وقد عاشت السيدة شيميل حياتها مترجمة ومدرسة ودارسة لاداب وفلسفات العرب وشعوب الشرق الاسلامية الأخرى. وقد ترجمت **لجلال الدين الرومي** والفت مرجعا لا مثيل له في اللغات الاوروبية عن الصوفية في الاسلام. وعملت استاذة بجامعة هارفارد في أمريكا لعدد من السنين. وعادت أخيرا لالمانيا بعد أن تقاعدت.

والعالمة الالمانية بعيدة عن أن تكون مناصرة لأي لون من ألوان التعصب، وهي تؤيد حرية الرأى وترفض أحكام الاعدام على أي كاتب، ولكنها **تطالب بإصرار باحترام الاديان والانبياء** كمبدأ أصيل في العلاقة بين الحضارات المختلفة. وهي بكل عملها الفكري طوال عشرات من السنين توجه انتقادا عمليا للغرور الغربي الذي لا يقيم وزنا لحضارات وتقاليد ومقدسات الشعوب الأخرى.

من ضمن الذين وجهوا لها الانتقاد **مودجر ليكتيهاز** في الملحق الادبي لصحيفة **«سيد دويتشه تسايتونج»** التي تصدر في ميونيخ وهو يبدأ بالاعتراف بفضلها كاتبا انها «عالمة كبيرة ولها افضال بسبب دورها كوسيط بين الاسلام والغرب» ولكنه يلومها على عدم اتخاذها موقفا أصوليا في الدفاع عن حرية الفكر ووصل الأمر لان تفتح صحيفة **دى ستايت** الوقورة صفحاتها للهجوم على **أنيماري شيميل** وصل للمطالبة باعادة النظر في الجائزة التي حصلت عليها، واصفا منحها الجائزة بانها «خطأ قاتل».

وتنشر اليسار نداء الاستاذة **شيميل** إلى الرئيس **محمد حسنى مبارك** حسب النص الذي وزعته لجنة مناصرة **أبو زيد وابتهال يونس في بون.**

ولتعريف القارئ بالمعركة الفكرية الدائرة تنشر اليسار مقال شيميل ردا على الحملة الجائزة التي تعرضت لها.

رسالة آنيماري شيميل

حكم محكمة النقض يهدم جهودي الساعية لاثبات تسامح الاسلام
السيد الرئيس حسني مبارك
رئيس جمهورية مصر العربية

بعد التحية والسلام

لقد كرمتموني بمنحي وسام الاستحقاق للفنون والعلوم. اتذكر كلمات سيادتكم التي وصفتم بها جهودي المتواضعة من أجل تفهم أفضل للثقافة الاسلامية والدين الاسلامي في الغرب. وهذا الهدف هو في الواقع الدافع لمواصلة عملي العلمي.

وأسمح لنفسي بأن أضيف لهذا الشكر بضعة سطور لاني قلقة للغاية بسبب مصير زميلي الاستاذ الدكتور نصر حامد أبو زيد. وأنا على ثقة بانكم مطلعون على حالته. فبسبب اطروحات توصل إليها في أبحاثه العلمية اتهمه عدد من الزملاء بالكفر والارتداد. وعلى هذا الاساس اصدرت محكمة مصرية قرارا بالتفريق بينه وزوجته الدكتورة ابتهال يونس. ومنذ وقت قصير أيدت محكمة النقض هذا الحكم.

وأنا أحترم استقلال القضاء المصري، ولست مخولة لتقييم ما إذا كان الحكم المذكور يتفق مع نص وروح الدستور المصري أم لا. ولكنني أعرف أيضا أن المنظمة المصرية لحقوق الانسان، ونجيب محفوظ حائز جائزة نوبل، وعدد من الشخصيات والمؤسسات البارزة قد توجهوا لسيادتكم بنداء لكي تتدخلوا في هذه القضية.

والواقع أن هذه القضية تزيد عن أن تكون مأساة شخصية. فعندما يحاضر الاستاذ أبو زيد في الغرب يدافع عن الاسلام ضد الاتهامات الظالمة الموجهة اليه ويسعى لاثبات أن هذا الدين مفتوح على العالم وانه يسهم في صياغة مستقبل سلمي. وقد أصبحت حالة أبو زيد الآن موضوعا لمناقشات واسعة محتدمة في الصحافة الالمانية والبلدان الأوروبية الأخرى. وأخشى أن يهدم حكم محكمة النقض المصرية الكثير من الجهد الذي بذلته من أجل أن أبين أن الاسلام دين متسامح وأن الثقافة الاسلامية تقبل الحوار العلمي النقدي والآراء المختلفة، بل وأنها تدعم هذا الحوار لهذا فانني أخشى أن يضر هذا الحكم بسمعة مصر الحسنة وبالمكانة العالية لنظامها القانوني.

وأرجو أن تغفروا هذه الكلمات لإنسانة تحمل أعمق المحبة لمصر وللاسلام. وقد وجدت أن من واجبي أن أتوجه إلى سيادتكم بهذه الملاحظات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استفت قلبك وإن أفتاك المفتون.

واتقدم إليكم مرة أخرى بالشكر للتكريم العظيم الذي غمرتموني به واسمحوا لي بان اتمنى لكم ولبلدكم كل خير.

أشكركم من صميم قلبي وارجو قبول خير تمنياتي وعاطر سلاماتي.

حفظ الله بلاد مصر وأهلها.

وأطال بقاءكم ومنحكم اليمن والسعادة والسلامة.

الاستاذة الدكتورة وحاملة الدكتورهات الفخرية **آنيماري شيميل.**

Professor Dr. DRS. H.C
Mult.Annem arie Schinnel.

العالمة الألمانية شيميل تدعو

إلى الحوار وترد على الحملة الجائرة

إنكم لم تفهموا الإسلام

اليسار تقدم ترجمة كاملة لمقال انا ماري شيميل والذى لا نبالغ إن قلنا:إنه بمثابة وثيقة هامة من عصرنا تشهد علي نضال علماء خيرين للتفاهم بين الشعوب والحضارات في وجه ثقافة الهيمنة التي تغلب عليها نظرة احادية البعد منبعها ومصبها في أوروبا التي تمثل لأصحاب هذه النظرة «صرة العالم» . ولا شك أن المعركة التى دارت على صفحات المجلات والصحف الالمانية تعكس جانبا من النقاش الصعب بين من يريدون نظاما عالميا قائماً على المساواة بين الشعوب وحقها في تقرير مصائرها واختيار سبل تطورها الحضارية من ناحية،وبين من يبررون لاستمرار الهيمنة الاقتصادية والفكرية من ناحية أخرى.. وهو نقاش يعكس آخر الأمر الصراع بين من يريدون تسيير مليارات البشر حسب وصفة واحدة يعرفونها ،وما اقرب منطقهم الذي خلف واجهة الحداثة يكرر ما ينتقدونه لدى الاخرين!.

مقال أنا مارى شيميل دعوة للحوار بين العالمين الغربى والاسلامي: دعوة لحوار في ظل السلام والحرية . المقال يحمل عنوان: الاسلام الذى لم يفهم (بضم الياء وسكون الفاء) - رداً علي نقادى وقد نشره الملحق الادبى لصحيفة فرانكفورتر الجيمانية تسايتونج(٢٤-٥-٩٥).

*****

التسامح والصبرمع أصحاب الفكر الآخر

هما من القيم الأساسية للإسلام

تصل الأخبار عن حصار سراجيفو كل يوم تقريبا، تلك المدينة الواقعة في قلب أوروبا ، والتى عاش فيها المسلمون والمسيحيون الروميون واليونانيون مئات السنين بسلام ،والتى كانت مكتباتها التى دمرت الآن تحوى كنوزا غنية تخدم البحث العلمى في التاريخ الاسلامى. فى أوروبا ،فى البوسنة، يقتل شعب وتقتل حضارته . هل يوجد من يثيره هذا؟ ومن يرمى ببصره أصلا الي هناك عندما يقتل ويشرد مئات الالاف من البوسنيين مسيحيين ومسلمين؟ إن المسلمين المقتولين في سراجيفو ، مثلهم مثل المسيحيين من رفاقهم في العذاب ، ليسوا أصوليين ، ومعهم يموت جزء من تاريخنا الاوروبى والذى أسهم الاسلام فيه أيضا من يتحرك ضد فتوى الكراهية التى أصدرها سياسيون ينتمون لدائرة الحضارة المسيحية ضد البوسنة وضد شعبها،ضد آخر معقل للحضارة الإسلامية فى أوروبا؟.

سراجيفو كانت مثالا متأخرا لطليلة لانه فى أسبانيا العصور الوسطى كان من الممكن العثور على تلك الصلة المثلى بين الحضارات المسيحية واليهودية والإسلامية، والتى عن طريقها وصلت معارف العرب العلمية الطبيعية والفلسفية والصوفية الى أوروبا، لتشكل التربة الخصبة التى نمت فوقها بلاد الغرب الحديثة. أليس من المهم أن نتذكر هذه الحقائق اليوم أكثر من أى وقت مضى؟.

لقد تعودنا الآن للأسف أن نوجه بصرنا إلى جانب واحد فى الاسلام ،وبالتحديد إلى ذلك الجانب الذى يعد بالنسبة للغالبية العظمى من المسلمين بعيدا جداً عن الجذور الاصلية للاسلام . ليس بين اصدقائى من

المغرب إلى ماليزيا من يتحدث مؤيدا اصولية قتالية ، سواء كانوا من الليبراليين المستنيرين من أنصار الحداثة، أو من التقليديين المتمسكين غالبا بجذورهم الصوفية المتوارثة، أو حتى المسلمين الذين تلقوا تربية غربية ،والذين ترتبط عندهم الحياة العادية للمتخصص فى أحد علوم الطبيعة ، أو الطبيب، أو عالم اللغة بعمق الايمان. وبالمناسبة : كل هؤلاء ، وكذلك علماء الغرب الباحثين فى الاسلام ، يعتبرون «الأصولية» ظاهرة مقلقة لا يكاد يكون لها علاقة بعقيدتهم،والتى نجد تفسيرها فى الظروف الاجتماعية للعديد من البلدان الاسلامية.ان الفقر المتفشى والناشئ جزئيا بسبب من مشاكل عصر ما بعد الاستعمار ، وانعدام الاستقرار السياسى، والبطالة المنتشرة بالدرجة الأولى بين اعداد من الشباب تتزايد باستمرار.. مثل هذه التربة، كما نعرف من تاريخنا نحن، تصلح بشكل خاص لتنمو منها حركات راديكالية ،وان استخدام الشعارات الدينية هو وسيلة ناجعة لتعبئة الجماهير.

انه لامر بديهى بالنسبة لى أن أكون رافضة كليا لمثل هذه الحركة «الاصولية» وأن أدين «الفتوى» الموجهة ضد سلمان رشدى ورصد مكافئة مالية لقتله ولكن أليست هى شهادة سيئة عن حالة مجتمعنا وقدرته على الحوار عندما يتعين على أن أكرر هذا القول المرة تلو المرة لأن البعض وببساطة لا يريدون أن يأخذوه بعين الاعتبار.

أثناء عملى السابق لمدة خمس سنوات فى التدريس فى كلية أصول الدين الاسلامى فى أنقره(كشابه غير مسلمة)وفى جولات لا حصر لها حاضرت فيها فى العالم الشرقى الاسلامى لمست منذ الخمسينات بشكل مستمر كيف يتمنى المسلمون بشدة أن نبادر من ناحيتنا للوصول إلى فهم أعمق لقيمهم الخاصة، ولمست كذلك رغبتهم فى فهم قيم الحضارة الغربية من أجل الوفاء بمتطلبات الحياة الحديثة على أفضل وجه، وذلك دون القطيعة مع الماضى. هنا كان ماضى ألمانيا ذا جاذبية خاصة لأنها لم تكن قوة استعمارية كبيرة وبالتالى لا تصيبها سهام الهجوم الذى شنه ادوارد سعيد ضد «الاستشراق».

انهم منشغلون بكيفية التخلى عن التفسيرات المتحجرة للاحكام القانونية والتى تراكمت عبر القرون حول النواة الحية للاسلام، إذ أن الكثير من التصورات التى تقدم إلينا على أنها «إسلامية» لا أساس لها فى القرآن، بل أنها نتاج مئات السنين من التطورات الاجتماعية،والتى تتوحد فى الموقف المتعنت تجاه التجديد، وبعضها ، مما كان مقبولا تماما فى القرنين الثالث والرابع عشر، أصبح مرفوضا بحزم اليوم. مثل هذا الموقف ينبع من خوف معين من خطر مجهول هو غول «الحداثة» ولكن الحوار هو أفضل وسيلة لعلاج الخوف ، لأن الإنسان يكره ما لا يفهمه. وأن دعاة الحداثة الإسلامية مثل الشاعر والفيلسوف الهندى الاسلامى محمد إقبال «الأب الروحى لباكستان» (١٨٧٧- ١٩٣٨) قد أشاروا دائما إلى أن الاسلام قوة ايجابية ديناميكية وان «عالم القرآن» كما يسميه يفتح دائما جوانب جديدة من الضرورى فهمها وتفسيرها تفسيرا صحيحا.

ولا يجوز أن ننسى أن الاسلام ليس محصورا فى العالم العربى أو الايرانى وإنما يمتد من غرب افريقيا إلى اندونيسيا عبر أقاليم يملك كل منها لغته وتقاليده الخاصة مع أن الاساس واحد: وهو الشهادة بان لا إله إلا الله ، وحقيقة أن محمداً رسول الله، وخاتم قافلة الانبياء التى بدأت مع الخليقة ،وآخر من كان قبله هو عيسى ابن مريم العذراء . إن أشكال ظهور هذه العقيدة فى الزمان والمكان متنوعة مثل تنوع أشكال المسيحية ،والتى لا يجوز أن يختزل ثراء حياتها الروحية كما يحدث الآن مع الاسلام من خلال الميل لاحداث مطابقة وحيدة الجانب بينه وبين الاصولية والتى فوق ذلك تمثل جانبا غير نموذجى . هذا يؤدى بدوره إلى هجوم ضد العالم الغربى من جانب الاصوليين لان الضغط يؤدى دائما إلى ضغط مضاد وتنمو بذلك دوامة سوء الفهم. ولكن وضع حد فاصل تجاه الاصولية المرفوضة بحزم ضرورى ومشروع ويمكن أن يفتح الطريق نحو فهم أفضل للقيم الحقيقية للاسلام. ان مسلمين معاصرين كثيرين يبدون ميلا معينا نحو الاسلام الصوفى لانهم يجدون فى تقاليده تلك الحرية الروحية التى يبحثون عنها. ويشهد لهذا التيار عدد من الاعمال لمؤلفين حديثين من مختلف البلدان . ولكن الحرص واجب فلا يجوز التسوية بين الصوفية والشغف. فالمقصود هو إيمان داخلى عميق بالإسلام بعقيدة لا يكتفى المؤمنون بها مثلما قال علامة العصور الوسطى الكبير الغزالى (مات عام ١١١١) بمعرفة أدق تشعبات حقوق الميراث وما أشبه وإنما يسعون إلي لقاء الله والاستعانة به لاكتساب القوة لعملهم.

مرة اخرى تلح على ذهنى صورة سراجيفو المدينة المعذبة، التي عاش فيها المسلمون والمسيحيون جنبا الي جنب، وتحدثوا مع بعضهم البعض. اذ يبدو لي اننا في زمننا الراهن بالتحديد احوج ما نكون الي حوار حقيقي. ولكن هذا الحوار يجب ان يدور بشكل حضاري ، يجب ان يذكرنا بما ندين به للمسلمين من شكر وبالعديد من اوجه عالمهم التي ادمجناها بشكل غير واع في حضارتنا . ان مثل هذا الحوار الحضاري ينبغي ان يدار بحيث لا يفهمه المسلمون كضرب جديد من ضروب الاستعمار . بل ينبغي ان يكون حوارا حقيقيا مع عدد لا حصر له من المسلمين الذين يبحثون في الغزارة المحيرة للعالم الحديث عن موقع يستطيعون فيه تحقيق افضل التقاليد في تاريخهم.

ونفكر مرة أخرى في الاندلس وكذلك في الامبراطورية العثمانية حيث وجد اليهود الذين طردتهم أسبانيا سنة ١٩٤٢ وطنا جديدا ،ونفكر في شيراز مدينة الصوفيين والشعراء، وفى سمرقند وبخارى حيث وحدت حضارة جبارة بشرا من أصول مختلفة ،وفى شبه القارة الهندية بتعدديتها الحضارية الاخاذة . ونفكر في النظرة التاريخية للشمال افريقيي العظيم ابن خلدون الذي توفي عام ١٤٠٦ ،وهو اول من قام بمحاولة انشاء علم تاريخ اجتماعى ، المحاولة التى تملك حتى اليوم دلالة عظيمة.

مثل هذا الحوار يتطلب من كافة الاطراف ان تحترم الكلمة . ان التسامح والصبر مع اصحاب الفكر الاخر هما من القيم الاساسية للاسلام . الاسلام السائر نحو الحداثة يستند الي هذه التقاليد ،وهو يرفض التعصب الذي يؤدى الي متاهات الضلال ، وساواصل الاسهام بطريقتي في ان يستطيع المسلمون السير علي طريق الحوار بقوة اكبر وفي ان تقل فرص المبسطين البشعين.

ان يبدأ هذا الاسبوع بخبر توقف الحكومة الايرانية عن تهديد سلمان رشدى بالموت كان بمثابة النور الذى أضاء يوم الأحد وهذا يدعنا نأمل أن الحوار مع العالم الاسلامى ،والذى كان الطريق مسدودا فى وجهه لمدة طويلة ، يمكن أن يستأنف من جديد لصالح الجانبين،ونأمل أيضا أن تتمكن تسليمه نسرين وكتاب آخرون من العمل فى أوطانهم. الحوار فى سلام وحرية بين العالمين الغربى والاسلامى سيكون أكثر ما أتوق إليه بعد انشغالى بالحضارة الاسلامية ولغاتها وفنونها وآدابها طوال عشرات السنين.

حلمى يسين ابن الأكابر «سابقا»



حلمى ياسين وزوجته رفيقة الدرب.. ثريا أدهم

كان كبار كبار الأعيان ينالون شرف التوجه إلى قصر عابدين مرتين كل عام.. فى عيد الميلاد الملكى وعيد الجلوس الملكى. ويصطف الأعيان فيما كان يسمى التشريفة الملكية ليصافحوا يداً بيد مولانا الملك المعظم فؤاد الأول.

واصطف كبار أعيان بنى سويف تحت رئاسة كبيرهم ولاحظ كبير الياوران وجود طفل بين المصطفين فحاول إخراجه من الصف ، لكن كبير الأعيان احتج وهدد بانسحاب وفد بنى سويف .. وكان له ما أراد.. وبقى الطفل ضمن التشريفة.

الأب هو والد حلمى يسن.. والطفل هو واحد من الأبناء المدللين لأسرة بالغة الثراء، واسعة النفوذ .. أسرة «يسن».

الأسم: محمد حلمى يسن.

تاريخ الميلاد: ٥ أبريل ١٩١٩.

محل الميلاد: قرية أبو صير الملق. بنى سويف.

المهنة: مساعد معمل كيماوى- محترف ثورى- موظف بشركة مصر للألبان- المدير المالى والادارى لمؤسسة الأهالى.

الاسم الحركى: إسماعيل.

د. رفعت السعيد

كان فى قرية **أبو صير الملق** أسرة قابضة على عنقها.. وزمامها وكل النفوذ فيها. الابناء التسعة لجد شديد الثراء، ورثوا أرضا واسعة ونفوذا أوسع. وبيت الأسرة ذو الحجرات العديدة والعبيد وأولاد العبيد خمسا وثلاثين فرداً فى مظاهرة دائمة ومستديمة.

الاب المدلل لأسرة تعرف كيف تدلل أبنائها يهوى القراءة وكلما سافر للقاهرة يعود ومعه لفافه من الكتب ذات العناوين الغريبة: عن عصر النهضة ، وعن الثورة الفرنسية. والأم بنت الأكابر هى أيضا كانت- فى هذه الأيام- طالبة فى المدرسة السنية. أخرجوها من المدرسة عام ١٩١٨ لتتزوج وتنجب **محمد حلمى** فى العام التالى مباشرة.

الأب المتحرر الفكر، الوفدى الانتماء كان مشهوراً فى القرية بأنه نصير للمرأة- لا تأتيه امرأة شاكية إلا ويعيدها منتصرة على زوجها.

ومع اشتعال ثورة ١٩١٩ تشتعل مصر كلها.. وتشتعل بنى سويف تحت زعامة الاسرة الوفدية التى أنجبت واحداً من أشهر الوفديين حماساً واندفاعاً فى محبة النحاس باشا .. **حسن يسن.**

ومع انشقاقه أحزاب الأقلية، ومحاولاتها للتسلل إلى البرلمان ، كان الأب هو قائد المعارك المسلحة التى تنتهى دوماً . إما بفوز المرشح الوفدى، أو القبض على الأب وعلى العديد من شباب الأسرة.

والطفل «**حلمى**» يولد وفديا وما إن تأتى الأجازة الصيفية ويعود للقرية ، حتى ينطلق كل صباح إلى أطراف القرية ليقابل


حلمى ياسين

البوسطجى الطواف الذى يحمل لوالده لفافة بها جريدتان وفديتان **كوكب الشرق والجهاد**.. وقبل أن يعدو بهما إلى المنزل يكون قد توقف بقامته القصيرة وسط عدة حلقات من الفلاحين الواقفين فى إنتظاره ليقرأ لهم بلهجة خطابية أهم ما فيها من مقالات.

الجميع فى الأسرة وفديون.. حتى النساء. وفى انتخابات **صدقى باشا** التى أجراها بعد الغاء دستور ١٩٢٣ .. أبلغت القرية بأن الباشا المدير (المحافظ الآن) سيحضر بنفسه ليمر مع مرشح **حزب الشعب(حزب صدقى)**.. نساء القرية اجتمعن تحت زعامة والدته وأتين بطفل اسمر وجردنه من ملابسه وبللنه بالماء والطين ومددنه أمامهن بعرض الطريق الوحيد المؤدى للقرية، وما إن اقترب الموكب حتى بدأ الصراخ والعويل.. على الغريق المزعوم..

ورغم الصراخ حاول الباشا المدير اقتحام صفوف النسوة بموكبه وهنا تصدى له الرجال وكانت معركة انتهت بالقبض على العديد من الرجال وعلى رأسهم الأب، وعديد من النساء وعلى رأسهن الأم.

***

ولكن . وفيم كان حلمى يجاهد محاولا إنجاز مرحلة التعليم الثانوى بالقاهرة. كانت الأسرة تتهاوى . الرجال جميعا أدمنوا المخدرات. وبددوا ثروتهم.. ومعها تبدد النفوذ أوكاد.

وطوال مرحلة التعليم الثانوى كان حلمى وفديا نشطاً مشاركا فى كل المظاهرات الوفدية أليس أبن عم زعيم الطلاب الوفديين **حسن يسن**؟.

.. من فرط حماسه للوفد انضم لفرق **القمصان الزرقاء** وخرج فى استعراضها الأول المهيب الذى هز شوارع القاهرة. شئ واحد أزعجه فيما هو يحث الخطى مع الطوابير ذات القمصان الزرقاء أن قائد الطابور **د. محمد بلال** ، كان يهتف وهم يرددون «**شبابنا للملك والوفد**» .. فى أعماقه قال: للوفد نعم أما الملك فلا. وانسحب من القمصان الزرقاء. وبقى وفديا.

حصل عام ١٩٣٦ على شهادة البكالوريا قسم علمى. قرر أن يطوى ملف طموحه للالتحاق بكلية الحقوق. الأب أفلس تماماً.. وعليه أن يتغاضى عن أحلامه فهو بحاجة إلى وظيفة ليعول أسرة بأكملها وتوظف فى معامل وزارة الصحة المركزية (مساعد معمل كيماوى) بمرتب خمسة جنيهات.

وإذ تشتعل الحرب العالمية الثانية، كان أغلب المحيطين به يمنحون تأييدهم ودعواتهم لهتلر عدو الإنجليز.**أما هو ودون أن يدرى لماذا فقد ساند الحلفاء**. وخاض فى سبيل ذلك معارك كلامية بغير حدود.. والتقطه واحد من أقاربه ليدعوه إلى ندوة يحضرها أناس يتخذون ذات الموقف..وفى شارع عدلى رقم ٥ ،خطا الفتى أول خطوة له باتجاه مستقبل جديد.. ومصير أبدى.

إنها «**جماعة الدراسات**» هناك استمع فى انبهار إلى محاضرات ونقاشات من نوع جديد.. حزم قوية من الضوء تقتحمه لتضئ العقل والنفس معا. وهناك التقى باسماء أثرت كثيرا فى حياته.. كثير من الأجانب على رأسهم **بول جاكودى كومب** .. وقليل من المصرين **يوسف درويش. صادق سعد . ريمون دويك. عبد العزيز فهمى. محمد اسماعيل**..ويزداد عدد المصرين فتتكون منهم جماعة جديدة «**جماعة الشباب للثقافة الشعبية**» التى نظمت عدداً من المحاضرات . حاضر فيها **أمين الخولى . بنت الشاطئ عبد الحميد الحديدى.** والقى **حلمى يسن** محاضرة مترجمة عن كهربة خزان أسوان.

ثم خطوة أخرى نحو الهدف ..(الهدف هو الاقتراب الفعلى والعضوى من العمال والفلاحين).. مركز لتعليم الفلاحين وكان فى شكل فصول لمحو الأمية وسلسلة محاضرات تثقيفية واختيرت قرية **ميت عقبه**. ثم مركز آخر فى قلب الحى العمالى **بولاق** فى شارع سكة جلال الملك.

الفتى المشتعل حماساً ما إن ينتهى عمله فى المعامل المركزية لوزارة الصحة حتى ينطلق ، الترامواى يصل به إلى نهاية الخط(عند مكان مسرح البالون الآن) . ثم يخترق الحقول سيراً على الأقدام لعدة كيلو مترات حتى يصل إلى قرية **ميت عقبه** ليبدأ فصل محو الأمية.

وفى عام ١٩٤٤ عندما تصدر «مجلة الفجر الجديد» صدر له تكليف باستلام عدد من النسخ لبيعها.. وكتب عدة تعليقات نشرت أحيانا باسم حماده وأحيانا أخرى باسم محى.

وفى هذه الأثناء بدأ دراسات منظمة فى الماركسية.

ويأتى يوليو ١٩٤٦ . وتأتى معه عاصفة الطاغية صدقى. حيث ألقى القبض على مئات من الشيوعيين والتقدميين والديمقراطيين.. هو كان فى «القرية» ينتزع من هناك آخر ما تبقى لهم من بقايا أموال ضئيلة فأخته ستتزوج ولابد من مال لشراء «الجهاز» . ما أن قرأ الأخبار فى الصحف التى نشرت بعناوين بارزة «أكبر حملة قبض على الشيوعيين» حتى أسرع إلى القاهرة. فى الطريق كان قد اتخذ قرارا خطيراً . ما أحضره من مال قليل، ورغم ذلك قرر

اقتسامه النصف للعروسة.. والنصف الآخر للرفاق المقبوض عليهم. وزار زوجة ريمون دويك وسلمها المبلغ كمساعدة للرفاق المعتقلين.

وفى أوائل سبتمبر ١٩٤٦ اتصلت به زوجة ريمون ..قالت إن شخصا يريد أن يقابله فى ميدان الاسماعيلية. هناك وجد **صادق سعد. بهدوء قال** صادق سعد إنه يود أن يبلغه قراراً مهماً : «لقد تقرر أن تصبح عضواً. «يا نهار أسود» . صاح حلمى أمال أنا كنت إيه طوال السنوات الست الماضية. قال الآخر بهدوء: كنت مرشحا.

وهكذا وبعد ست سنوات من النضال أصبح **حلمى يسن** عضواً فى خلية بتنظيم «**طليعة العمال**».

***

فى الخلية كان معه سائق اتوبيس **عم محمد . ومحمد اسماعيل. وعبد العزيز فهمى** .. وكلفته الخلية بعدة تكليفات:

١- العمل على إنشاء رابطة أو نقابة لمساعدى المعمل.

٢- العمل على إنشاء نادى رياضى فى حى الخليفة.

٣- الانضام إلى لجنة الوفد بالخليفة.

٤- جمع توقيعات للمطالبة باجراء انتخابات حرة تجريها حكومة محايدة.

٥- الاشتراك فى توزيع المنشورات الحزبية التى كانت تصدر بشكل شبه منتظم كل عشرة أيام تقريبا.

واندفع بحماس لتنفيذ التكليفات.. وقد نجح فعلا فى تحقيق الجانب الأكبر منها. ولأنه لم يكن معروفا كشيوعى فقد كلف بالعمل فى جهاز الاتصال الحزبى. وفى الخلية تلقى دراسة منظمة ومنتظمة للنظرية الماركسية.

.. وذات يوم رتبوا له فى سرية دقيقة موعداً ليجد نفسه فى شقة فى شارع الشيخ ريحان..إنه المؤتمر المنتخب لمدينة القاهرة. المندوبين ١٢ فيما يذكر. فى الاجتماع انتخب مسئولا للجنة قسم ثم صعد إلى لجنة منطقة القاهرة.

وفى عام ١٩٤٨ تعلن الاحكام العرفية ويعتقل العديد من الرفاق. ويتقرر تصعيده لعضوية اللجنة المركزية وتجتاز المجموعة المتبقية خارج السجون محنه حكم **النقراشى -عبد الهادى** بنجاح. وتقود التنظيم حتى يأتى الانفراج عام ١٩٥٠ . فيخوض التنظيم معركة لإنجاح مرشحى الوفد فى وجه حملة نظمتها السراى ونطقت باسمها صحف أخبار اليوم تحت شعار برلمان متوازن. ونجح الوفد. ورغم ذلك يقبض عليه فى ظل حكومة الوفد فى ٣١ أكتوبر ١٩٥٠ ليبقى فى السجن فترة ،ويفرج عنه.

لكننا بهذا نقفز بعيدا عن أهم خطوة فى حياته.

ففى مارس ١٩٤٩ . وكان قد استقر وظيفيا. وأصبح مساعدا للمدير العام للمعامل المركزية.. وارتفع مرتبة خمس عشرة جنيها(وهو مرتب كبير بمعايير هذا الزمان) . استدعاه **أبو سيف يوسف** وبهدوء معتاد سأله : هل أنت مستعد للاحتراف . والإجابة : نعم .. متحمسة متى؟. والإجابة : الآن. وبعد يومين كان قد استقال وأصبح محترفا.. مرتبة ستة جنيهات وثلاثة جنيهات أخرى للسكن .. غرفة أعلى سطح منزل متهالك فى باب الشعرية.

ونعود إلى مسيرة النضال.

بعد أن أفرج عنه بفترة يكون حريق القاهرة . فيختفى . ليقبض عليه من جديد. ومن المعتقل يفرج عنه فى ٢٨ يوليو ١٩٥٢ أى بعد الثورة بأيام. ويصدر له التنظيم قرارا بالاختفاء من جديد. والسفر الي الاسكندرية .الاحتراف ابتداء من هذه الفترة يتخذ طابعا مختلفا تبحث عن عمل لبعض الوقت يعطيك غطاءً ، ويكفل لك دخلا تعيش منه ولا تكلف التنظيم شيئا. فى الاسكندرية عمل مدرساً خصوصياً ثم كلف بالسفر إلى المحلة ..وهناك عمل ممرضا فى عيادة طبيب للأمراض الصدرية. هناك بدأت علاقاته تتسع بالعمال.. ومع حلقة من العمال الوفديين بدأ نشاطا هاما. فى هذه الفترة قام البوليس بحملة قبض عشوائية لتطهير المدينة من المعارضة تمهيدا لزيارة سيقوم بها **صلاح سالم** .. وقبض عليه مع عدد من العمال على أنهم وفديون . قدم نفسه للبوليس باسمه المستعار.. ولكن القاهرة توقفت أمام الأوصاف المعطاه للشخص وطلبت معلومات تفصيلية ثم طلبت ترحيله ليكتشفوا انه **حلمى يسن** الهارب من حكم غيابى بالسجن ثلاث سنوات فى القضية التى قبض عليه على ذمتها عام ١٩٥٠.

.. ويفرج عنه فى مايو ١٩٥٦ . أسابيع قليلة قبل تأميم القنال.

وبعد التأميم ينشط فى تشكيل لجان المقاومة الشعبية.. وسافر إلى الشرقية ليسهم فى تنظيم وتثقيف اللجان الأقرب إلى خط المواجهة.

..وفى عام ١٩٥٧ يرشح نفسه فى انتخابات مجلس الأمة..فى الدائرة ١٩ وتشمل روض الفرج وقسماً من بولاق. وفى هذه الانتخابات نبتت فكرة «**لجنة الوعى الانتخابى**» .. وكان برنامجه السياسى معبراً عن الموقف العام لحزبه.. وبعد معركة جماهيرية واسعة اعلن الاتحاد القومى قائمة المرشحين التى استبعد منها كل المرشحين اليساريين ماعدا مرشح واحد وكان حلمى من المستبعدين ، لكن نشاط لجان الوعى الانتخابى لم يتوقف. واستمر فى تأييد عديد من المرشحين «الأفضل» من غيرهم.

ثم.. يتوحد الشيوعيون فى حزب احد.. ويصبح عضوا فى لجنته المركزية . ثم ينقسمون ويبقى فى ذات الموقع فى الموقع الذى اختار البقاء فيه.

ويأتى يناير ١٩٥٩ ويقبض عليه ليكون ضمن المجموعة الأولى التى قدمت للمحاكمة أمام المجلس العسكرى العالى برئاسة الفريق **هلال عبد الله هلال** قائد سلاح المدفعية.

لعل عبد الناصر كان يتصور مجرد جلوس عسكريين بهذه الرتب العالية فى مجلس القضاء قد يرهب الشيوعيين. لكن «الفريق» ورئيسه فوجئا بعدد من المتهمين وهم يتحدون القضاة ومن أرسلوا القضاة. يعلنون أنهم أعضاء فى **الحزب الشيوعى المصرى** ويعتزون بشرف عضويتهم فيه. تسعة رفاق توالت دفاعاتهم السياسية تدافع عن الديمقراطية والاشتراكية وتاريخ الشيوعيين ونضالهم.. ويصعق «الفريق» ويبدأ فى الانحناء معلنا من على منصة المحكمة «إن أحدا لا يشكك فى وطنيه الشيوعيين».

لم يكن ضد **حلمى يسن** من الناحية القانونية أى دليل يذكر. وكان بالإمكان أن يحكم عليها بالبراءة.**لكن موقفا نضاليا كان قد تقرر اتخاذه كلفه حكما بالسجن ثمانى سنوات أشغال شاقة.**

الآن وبعد مضى سبع وثلاثين عاما على هذا الموقف يكتب حلمى يسن بخط يده مخاطبا إياى **«برغم مرور هذا الزمن ما زلت أذكره بكل احترام واعزاز وفخر واعتبر أننى اديت بهذا العمل بعض ما على من دين للعقيدة التى جعلت منى إنسانا آخر».**

ولكن للتاريخ أحيانا حكمة بليغة.. فعبد الناصر لم يغفر للمناضلين دفاعهم السياسى الشامخ، لكنه لم يمنح الذين تسلحوا بالصمت شيئا. وظل الجميع فى ذات السجن الذين حكم عليهم بالسجن، والذين حكم عليهم بالبراءة .. وظلوا معا.. عذبوا معا، ذات التعذيب الوحشى النازى الطبيعة. ثم أفرج عنهم معا.. فى أبريل ١٩٦٤.

****

يفرج عن الجميع. ويحل الحزب. ويجد حلمى يسن وظيفة صغيرة فى شركة مصر للألبان لكنه يفرض نفسه سريعا ليحال إلى المعاش وهو مدير إدارة.

يسهم فى إصدار مجلة الطليعة.. يعمل بنشاط فى الاتحاد الاشتراكى.

وعندما يتشكل حزب التجمع يسهم فى تأسيسه من اليوم الأول.

ويعمل لعدة سنوات مديرا ماليا وإداريا لمؤسسة الأهالى.

ولم يزل العطاء يتوالى.. فالرجل.. يعطى دوما إلى آخر لحظة.

د. سمير حنا صادق

رحلة «البيجل»

ولد **تشارلز روبرت داروين** في انجلترا فى ١٢ فبراير ١٨٠٩. وكان والده طبيبا معروفا وكانت والدته من أسرة غنية. لم يكن تشارلز حتى سن السادسة عشرة يبشر بأى نجاح مهنى، فقد كان ، كما وصفه والده «**يهوى الصيد ومطاردة الفئران والكلاب**» وقد حاول والده الحاقه بكلية الطب بادنبرة، ولكن تشارلز ترك ادنبرة بمجرد رؤية جثث الموتى وغرف العمليات. واتخذ والده قراراً بأن يصبح ابنه من رجال الدين، وأرسله إلى كامبريدج للحصول على المؤهل اللازم. وأدى تشارلز واجبه نحو والده واندمج فى الدراسة بغير حماس واجتاز الامتحانات اللازمة وحصل على المؤهل.تعرف داروين فى أثناء دراسته بكامبريدج على العديد من علماء النبات والحيوان، وقرأ الكثير من الكتب فى هذه المواضيع.

وجاءت لداروين فرصة عمره: فقد تقدم للانضمام ، كباحث بدون مرتب ، إلى طاقم سفينة الابحاث «**بيجل**» **Beagle** وقبل طلبه. وبعد اعتراض من والده ووساطة من والدته وأسرتها، حصل داروين على موافقة مترددة من الوالد.

بدأت رحلة البيجل فى ٢٧ ديسمبر ١٨٣١.وفى الجزء الأول من الرحلة قرأ داروين كتابا لعالم الجيولوجيا الشهير فى ذلك الوقت **لايل Lyell**، وكان **لايل** يحاول أن يثبت فى كتابه أن وديان وسهول الأرض قد نتجت عن الأمطار والرياح والزلازل والبراكين.**وقد كانت هذه الحقائق العلمية البسيطة تدخل فى تلك الايام فى مجال الكفر.**

وفى ١٦ يناير ١٨٣٢ رست **البيجل** فى ميناء «**برايا**» **Praia** فى جزر كيب فرد Cape Verde Islands. ورأى داروين فى هذه الجزر لأول مرة فى حياته شجر التمر هندى والموز والنخيل. وعندما بدأ فى دراسة جيولوجيا المنطقة لاحظ داروين فى أحد التلال المواجهة للبحر طبقة بيضاء ترتفع مئات الامتار عن سطح البحر وتمتد أميالا عديدة. وعندما تفقد هذه الطبقة وجدها مليئة بالاصداف البحرية المماثلة للاصداف الموجودة فى قاع البحر فى تلك المنطقة وهكذا تأكد داروين بنفسه مما وصفه لايل فى كتابه: وهو أن هذه المنطقة المرتفعة كانت فى وقت من الأوقات غارقة فى قاع البحر.وهكذا ثبت فى عقل داروين أن البيئة المحيطة فى حالة تغيير مستمر.

سارت **البيجل** فى طريقها إلى البرازيل وهى تسحب خلفها شبكة تجمع الحيوانات والنباتات البحرية التى كان داروين يضعها كل يوم محل دراسته المتعمقة، ويحفظ منها مئات النماذج لترسل لإنجلترا لمزيد من الدراسة.

فى مجرى الانهر فى الارجنتين مر **داروين** بتجربة هامة: فقد اكتشف **حفريات لحيوانات منقرضة** . اكتشف أن أحدها(**توكسودون Toxodon**)يعادل الفيل حجما ويشابه الخرتيت فى الاسنان ويماثل فرس النهر فى وضع الاذنين والعينين والانف مما يشير إلى أن هذا الحيوان كان يعيش فى الماء. واكتشف أيضا هياكل لحيوان ضخم يشابه **الارماديلو** Armadillo الحديث الصغير الحجم. واكتشف أيضا أسناناً لحصان مما يثبت أنه كان من حيوانات القارة ولكنه انقرض إلى أن وصل المستوطنون الاسبان بالحصان العربى . وكتب داروين فى مذكراته «**أن هذه حقيقة مذهلة فى تاريخ الثدييات : أن يثبت أن بعضها قد وجد ثم اندثر**».

ووصلت السفينة إلى ميناء «**تيراديل فويجو**» **Terra del Fuego** قرب القطب الجنوبى ورست هناك. ووجد داروين فى هذه المناطق نوعا غريبا من البشر ، يسير عاريا فى مياه شديدة البرودة. وسجل فى مذكراته «**أن هذا النوع من البشر مزود باستعداد بيولوجى لتحمل هذا**

الرحلة التى وضعت علم «البيولوجيا» على قدميه

العذاب». وبالفعل، ثبت فيما بعد ارتفاع معدل الايض(التمثيل الغذائى) عند هذا الجنس ليساعده على تحمل درجات الحرارة المنخفضة.

واكتسب **داروين** فى زيارته **لجزر «جالاباجوس» Galapagos Island** كثيرا من المعلومات، فهذه الجزر معزولة تماما عن باقى القارات، ويتكون سطحها من صخور بركانية وهى قليلة النباتات. ووجد داروين فى هذه الجزر نوعا غريبا من السحالى لا يوجد مثيل له فى أى مكان آخر، فقد كان يعيش على النباتات البحرية ويقضى جانبا كبيرا من الوقت فى مياه البحر. واكتشف أيضا نوعا ضخما من السلاحف التى يصل وزن بعضها إلى ما يزيد عن مائة كيلو جرام. ووجد أن لكل جزيرة من الجزر سلاحفها الخاصة المميزة، ولعل أجمل اكتشافاته هو أنه **فى الجزر التى لا توجد بها الا نباتات مرتفعة فان «ظهر» السلاحف الجاف يوفر فتحة فوق الرقبة تمكن الحيوان من رفع رأسه لقطف اوراق النباتات المرتفعة.**

كان أكثر ما يقلق **داروين** هو طريقة وصول هذه النباتات والحيوانات الى هذه الجزر البعيدة عن القارات الرئيسية، فقد زعم علماء النبات أن بذور النباتات لا يمكن أن تعيش فى الماء المالح لمدد طويلة ، فأجرى داروين تجارب على بذور بوضعها فى ماء مالح بارد لمدد طويلة ، ووجد أنها تنمو طبيعيا لو زرعت بعد ذلك، وبذا اثبت إمكان انتقال بذور النباتات مع تيارات المحيط. بل أنه أطعم بعض هذه البذور لأسماك وأطعم الأسماك لبعض طيور مهاجرة، فوجد أن هذه البذور يمكن أن تزرع بعد نزولها فى براز هذه الطيور. كما لاحظ داروين أيضا أن أقدام الطيور المهاجرة عليها الكثير من الحشائش التى يعلق عليها أنواع من القواقع تهاجر معها من مكان إلى مكان.

ولعل أجمل ما لاحظه داروين هو أنه يستحيل على الضفادع والثدييات اجتياز المحيطات بمثل هذه الطرق وبالفعل، فان هذه الجزر كانت خالية تماما من هذه الحيوانات.

فى ٢ أكتوبر ١٨٣٦ بعد رحلة دامت حوالى خمس سنوات عادت البيجل إلى شواطئ انجلترا. كانت مجموعات داروين من الحيوانات والنباتات والمذكرات قد سبقته إلى منزله وكان سنه فى طلك الوقت ٢٧ سنة. وعكف منذ وصوله على دراسة مجموعاته ومذكراته وبدأ يفكر فى نظريته التى اوقفت علم البيولوجيا على قدميه وأصدر كتابه **«عن أصل الانواع» On the Origin of Species** بعد ما يزيد على عشرين عاما من الدراسة.

كان علم **البيولوجيا** قبل رحلة البيجل سداحا مداحا مباحا لكل مغامر وأفاق. وكان يقتصر على الوصف الخارجى للمخلوقات مع إضافة الكثير من التوابل الخرافية. فكانت هناك مخلوقات برءوس متعددة وطيور باربعة ارجل وتنينات تخرج من فمها النيران. وكان يمارس هذا العلم فى الكثير من الاحيان أمراء وملوك هواة يلهون به ليملأوا فراغ حياتهم وليضيفوا مجموعاتهم ومذكراتهم إلى ما يجمعوه من مهرجى البلاد وعازفى الموسيقى. وبلغت بهم الجرأة فى تحدى الحقيقة أن زعم أحدهم أنه أثبت أن طيور الاوز المهاجر تنمو على الاشجار فى مناطق بعيدة.

هكذا كان علم البيولوجيا قبل رحلة **البيجل**.

وبعد رحلة **البيجل** تأصل العلم ووضع على قواعده الثابتة وربطت المعرفة بين أشكال الحياة المختلفة، وأخذت النظرية من العلم أدلة جديدة وأخذ العلم من النظرية توجيها سليما، ونمت شجرة المعرفة واثمرت كل ما نراه من تكنولوجيات متقدمة من زراعة الأعضاء إلى عمليات القلب المفتوح إلى دراسات البيئة إلى الهندسة الوراثية.

فكل مريض تجرى له عملية فى القلب مدين لرحلة البيجل..

وكل مريض يتعاطى انسولين بشرى لعلاج السكر مدين لرحلة البيجل.

وكل مريض يتعاطى انترفيرون مدين لرحلة البيجل.

وكل مريض تنقل له كلى أو كبد أو قلب أو رئة مدين لرحلة البيجل..

وهكذا يكون حب الإنسانية والتفانى فى خدمتها.



فن



فيلم «ميت فل» لرأفت الميهى:

هل هناك فن ثورى لا يؤمن بالإنسان؟!

أحمد يوسف

إن كان هناك من بين فنانى السينما المصرية الجديدة من تستحق أفلامه أن يطلق عليها «سينما المؤلف» ، فليس هناك من شك فى أن أقربهم إلى ذلك هو **رأفت الميهى**، الذى اقتصر منذ أول أفلامه مخرجاً «**عيون لا تنام**» (١٩٨١) على تأليف وإخراج أفلامه بنفسه، بل إنه أصبح يمارس انتاجها أيضا فى الفترة الأخيرة، فليس غريباً إذن أن تتوقع أن تأتى هذه الأفلام تعبيراً متكاملاً عن رؤيته الفنية، الانسانية والسياسية ، خاصة وأن قدراً قليلاً من التأمل سوف يشير على نحو ما إلى أن أفلام **رأفت الميهى ليست فى حقيقتها إلا فيلما واحداً، أو أنها فكرة واحدة يقدم لها وعليها التنويعات السينمائية مرة بعد أخرى**، مما دفع ببعض النقاد إلى وضع هذه الأفلام جميعاً تحت عنوان «**الفانتازيا**» ، هذا المصطلح الذى ساهم **رأفت الميهى** نفسه فى الترويج له بصفته رائداً فنياً فى هذا المجال ، ثم عاد وتراجع عنه ليطلق على أفلامه تعبيراً أكثر اقتراباً من الحقيقة، وهو «**المسخرة**»!.

جاءت شهرة **رأفت الميهى** إذن من تميزه بأسلوب يبدو غريبا عن التيار الرئيسى فى السينما المصرية خلال الثمانينات ، وهو التيار الذى يميل إلى أسلوب المعالجات الواقعية بملامحها المتعددة ، والمهمومة دائما بقضايا الوجود الانسانى المهدد بالضياع أو المهانة فى سياق اجتماعى شهد كثيرا من الانقلابات والاضطرابات العاصفة، ومن هذه الانقلابات ذاتها انطلق **رأفت الميهى** ليصنع ارتباطاً وثيقاً بين المضمون الاجتماعى العبثى ، والشكل الفنى الملائم له، والذى رأى أنه يجب أن يسعى إلى تحطيم كل التقاليد الواقعية فى السينما. فاذا كان الواقع ينتهك أحاسيس البشر ويستخف بعقولهم، فلماذا لا يقوم الفن بتجسيد هذا الانتهاك والاستخفاف، لعله يثير فى المتفرج نوعاً من الاستفزاز، يجعله يعيد التفكير فى المسلمات والبديهيات التى يفرضها عليه المجتمع، فربما يستطيع يوماً أن يتمرد عليها ويقوم بتغييرها؟.

تلك كانت البدايات «النظرية» فى سينما **رأفت الميهى** منذ فيلمه «**الأفوكاتو**» ،والتى وجدت تطبيقها فى العديد من أفلامه الأخرى، نال بعضها نجاحاً جماهيرياً ونقدياً كبيراً، **لكن المنحنى بدأ فى المرحلة الأخيرة يسير فى اتجاه الهبوط ، فبدأ بعض النقاد بدورهم يراجعون موقفهم المتحمس تجاه هذه السينما** ، وإن كان الأهم عند **رأفت الميهى**- منتجاً-هو أن النجاح التجارى لم يعد حليفه، بعد أن كان يميل إلى الايمان بأنه قد توصل إلى حل المعادلة الصعبة بين الفن الجاد والتوابل السينمائية الجماهيرية فاذا بالجمهور يخذله فى فيلميه الأخيرين «**قليل من الحب كثير من العنف**» ، و «**ميت فل**» على الرغم من احتشادها بالنجوم الساطعة، والكوميديا الساخرة اللاذعة.

الصراع بين الفنان والمنتج

ماذا حدث للفانتازيا ذائعة الصيت؟.

ولماذا لم تعد «المسخرة» تثير اهتمام المشاهدين؟.

بكل الحسابات ، فان **رأفت الميهى** كان يجب أن يكون اليوم أقرب إلى النضج فى إتقان صناعة أفلامه ذات الملامح الفنية الخاصة والغريبة، والمضامين المتمردة الطموح، لكن تلك الحسابات لم تثبت صحتها، وهو ما يوجب قدراً أكبر من التأمل لأفلامه، لنتلمس السبب الحقيقى وراء ذلك، ونظنه سببا أصيلاً وعميقاً فى سينما **رأفت الميهى** ذاتها، ربما بدا جنيناً صغيراً لا يشعر بوجوده الكثيرون، حتى اكتمل كائناً كاملاً أصبح يفرض وجوده ويطل برأسه بين الحين والآخر، فيفسد على المتلقى متعته فى تذوق الفيلم والاستمتاع به، كما حدث على نحو شديد الوضوح فى فيلمه الأخير« **ميت فل**».

ولعل فى قصة اختيار عنوان الفيلم ونجومه تكمن بعض العناصر السلبية التى تكبل قدرة **رأفت الميهى** على تحقيق ما يحلم به من «سينما المؤلف» فقد ظل سيناريو الفيلم حبيس الأدراج منذ سنوات عديدة، تحت عنوان «**ملوخية بالأرانب**»، فى فترة سادت فيها «موضة» إطلاق أسماء أنواع المأكولات على عناوين الأفلام(!)،وربما يقول **رأفت الميهى** إنه كان يقصد به التعبير عن رغبة شخصيات الفيلم فى أن ينعموا يوماً بأكلة شهية لا تتيحها لهم ظروفهم الفقيرة، لكنه على أية حال قام بتغيير العنوان- بعد انتهاء «الموضة» -إلى «**ميت فل**»، وهو يقول الآن إنه يرمى إلى أن يثير فى المتفرج رغبته فى أن يعيد تقييم واقعه، الذى يصفونه دائما بأنه «على خير ما يرام»، أو «ميت فل» باستخدام التعبير العامى الشائع ، بينما هو واقع **مثير للاشمئزاز و«مقرف»**.(وسوف تسمع هذه الكلمة كثيرا فى كل سطر من حوار فيلمه ، وإن كانت قد ترددت سابقاً فى كل أفلامه!)

من جانب آخر ، فقد انتهى الفيلم إلى أن يقوم ببطولته **شيريهان وهشام سليم**- بعد أن كانت الشخصيات قد تم رسمها فى السيناريو الأصلى لتلائم بطلى رأفت الميهى الأثيرين فى مرحلة الذروة الفنية له: **معالى زايد ومحمود عبد العزيز**- وهو ما اضطره بالطبع إلى إضافة الكثير من «الرتوش» (أو ربما ما هو أكثر من ذلك) إلى فيلمه لكى يلائم النجمين الجديدين ، **خاصة أن وجود شيريهان يقتضى- من ناحية تجارية خالصة- أن يفرد لها بعض الرقصات الاستعراضية المشهورة بها، حتى لو أدى ذلك إلى الاستطرادات التى تزيد الفيلم اضطرابا فى بنائه الدرامى**. لكن المنتج بداخله أبى إلا أن يسعى لاستغلال نجومية **شيريهان** التقليدية، وأن يقوم بما يبنغى عليه من الالتواء بالدراما حسبما يقوده هذا التنازل.(ولتقارن ذلك بوضوح الرؤية الفنية ونضجها عند محمد خان فى عالم فيلمه «**يوم حار جدا**»،والذى دخلت إليه **شريهان** -بالاضافة إلى المغنى **محمد فؤاد**- دون تنازل فنى واحد يسعى لاسترضاء نزعة «الفرجة» الساذجة عند قطاع من الجمهور ، سواء بالرقصات أو الاغنيات).

من العديد من تلك القرارات الفنية المترددة التى يتخذها **رأفت الميهى** ، فى صراعه بين كونه منتجاً وفناناً فى وقت واحد، يتسلل الصدع رويداً إلى قدرته على صياغة رؤيته الجمالية والفكرية على نحو أكثر اتساقا وتكاملا وتأثيراً، وهو التردد الذى جعله يقرر بعد الانتهاء من فيلمه السابق «**قليل من الحب**» ، وعرضه فى بعض العروض الخاصة على النقاد والمثقفين، أن يحذف منه عند عرضه الجماهيرى أجزاء مهمة أدت إلى أن يفقد الفيلم تماسك الشكل الفنى، بل أنه صنع للفيلم عند عرضه بالفيديو نسخة ثالثة تختلف عن السابقتين ، وإن لم تنجح بدورها أن تقلل من حجم الفشل التجارى! لكن **رأفت الميهى** يحاول أن يبدو فى حواراته الصحفية على عكس هذه الصورة تماماً، واثقاً كل الثقة مما يفعل، مؤمناً كل الايمان حين تنجح أفلامه جماهيرياً بأن الجمهور «الواعى» يفهم أفكاره الغامضة، لكنه يعود فى حالة إخفاق أفلام أخرى إلى التأكيد على أنها تسبق عصرها، وأنه ما يزال ينتظرها ربع قرن من الزمن لكى تستطيع الجماهير استيعابها!.

حلم اختيار «الأب»

إن كان للفنان رأفت الميهى من فضل حقيقى على السينما المصرية الجديدة، فهو أنه جعلنا نتوقف عن التسليم والاستسلام للسينما التقليدية ، وأقنعنا بأن موقف المتذوق للأفلام يجب أن يكون موقفاً «ديموقراطياً» حراً، أو بالأحرى متمرداً على المفاهيم التى نتصورها أزلية أبدية ، فى الفن والحياة على السواء، لكن جوهر المفارقة فى سينما **رأفت الميهى** هو أنها تبدو فى الوقت ذاته «ديكاتورية» فى إملاء شروطها ومفاهيمها على المتفرج ، حين تقدمها على أنها البديل «الوحيد» والممكن على المستوى الفنى والفكرى، حتى لو كان هذا البديل لا يشفى للمتفرج غليلاً فى الاستمتاع بأسلوب فنى متكامل الملامح والعناصر، أياً كانت غرابته وشذوذه، أو الاقتراب من صياغة رؤية واضحة تجاه الواقع، أياً كان تمردها وجموحها.

تلك هى المفارقة التى تتجسد فى فيلمه

«**ميت فل**» فى الشكل والمضمون معاً، فهو يبدأ من تحطيم كل الأشكال السينمائية الواقعية، ويسخر منها، كما أنه ينطلق من مفهوم بذر الشك فى نفوسنا حول الهالة «المقدسة» التى نضفيها على علاقة الأب بأبنائه ، وهى بداية لا نستطيع إلا الاقرار والاعجاب بطموحها، لولا أن الفن لا يقيس الانجاز أبداً بالنوايا.

وبالطبع فان **رأفت الميهى** -كعادته فى أفلامه الأخيرة- لا يدعوك إلى أى «حدوتة» بالمعنى التقليدى ، فكل حواديته هى من بنات أفكاره ، قد ترى فيها ظلاً شاحباً من الواقع، لكنه يأخذها إلى حدودها القصوى حتى يجعل منها «مسخرة» من كل شئ وأى شئ، لكنك على أية حال سوف تتعرف على **دلال (شيريهان)** ابنة الحلاق الفقير، والسكرتيرة المتواضعة في إحدى الشركات ، كما سوف ترى حبيبها **كمال (هشام سليم)** ابن الموظف العجوز رقيق الحال، وهذا الفتى يعمل حمالاً فى أحد الفنادق على الرغم من تخرجه من كلية الطب(وتلك هى إحدى الأفكار التى تلح على رأفت الميهى، على نحو ما ترى فى بطل فيلم «**سيداتى آنساتى**»، ولأن فقرهما يمنع اكتمال قصة حبهما فى بيت الزوجية السعيد، فان كلاً منهما يخفى حقيقة أصوله المتواضعة عن الآخر، ويزعم أنه ينتمى إلى عائلة ثرية ، وهكذا يرضيان بالزواج فى السر، واللقاء المختلس فى الفنادق المشبوهة إشباعا لرغبات جسديهما ، مما يعرضهما لإهانات تبتذل فيها إنسانيتهما، والتى تراها عند **رأفت الميهى** فى دخول موظفى الفندق الرخيص لاستراق النظرات على لقائهما الجنسى بحجج واهية، يريد بها الفيلم إضحاك الجماهير فى موقف إنسانى شديد الجدية والمأساوية!.

يعرف إذن كل من **كمال ودلال** (ولتلاحظ اختيار جرس الاسمين فى محاولة لتحقيق خفة الظل) بفقر الطرف الآخر بعد أن حانت لحظة المصارحة ، لتختمر فى ذهنيهما فجأة فكرة البحث عن أبوين ثريين، ويتناقشان فيها للمرة الأولى فى حافلة مزدحمة بالناس، مما يثير استياء الجميع منهما، (وكأن **رأفت الميهى** يريد أن ينصحنا بأن نتمهل حتى لا نعلن نحن أيضا -كمشاهدين - عن استيائنا). وبينما يخوض كمال فى بحثه عن تحقيق فكرته المجنونة- من خلال نمر تقليدية تماما- فى سلسلة من سوء التفاهم ، حين يعرض نفسه كابن على الاثرياء والأجانب فى الفندق الذى يعمل فيه، مما يعرضه لأن يتصور البعض أنه يعانى من الشذوذ (ولا تسأل عن علاقة ذلك بالمضمون «الثورى» الذى يزعمه الفيلم، فهدفه الوحيد هو اغتنام أية فرصة لمحاولة «زغزغة» الجمهور!) ، فان دلال من ناحية أخرى تنجح فى أن تعثر على ضالتها فجأة في اجتماع مع رجل للأعمال واسع الثراء، هو **حسين أوزال أفندى(حسن حسنى)**، لتجد نفسها -على موسيقى شهرزاد لكورساكوف- وقد انتقلت بين غمضة عين وانتباهتها إلى عالم مسحور فى قصر منيف، بعد أن تبناها الرجل الكهل الذى يبدى بدوره سعادته البالغة بابنته الجديدة.



حسن حسنى وهشام سليم وشريهان

إن هذا الثراء المفاجئ يجعل دلال تشعر بالكثير من «القرف» تجاه حبيبها وزوجها السرى كمال، وتسخر من رائحته «النتنة» وملابسه الداخلية الفقيرة (وهى فكرة ملحة أخرى على رأفت الميهى ، ظهرت فى «**الأفوكاتو**» من خلال المرأة التى بدأت فى التأفف من رائحة فم خطيبها، فقط بعد أن باتت الثروة قريبة منها) . إن هذه التفاصيل الساخرة- التى تراها تقليدية تماما فى سخريتها من الفقراء وليس من الفقر، كما فعلت وتفعل السينما المصرية منذ فيلم« **لو كنت غني**» وحتى« **بخيت وعديلة**» -قد توحى بالقاء الضوء على السياق الاقتصادى والاجتماعى ، الذى يحول البشر فى ظل الفقر إلى وحوش لا تعطى اهتماما كبيرا بصدق عواطفها، لكن المشكلة الحقيقية فى الرؤية الفنية تجاه الانسان فى أفلام **رأفت الميهى** هى أن الانسان كان وسوف يظل للأبد وحشا مشوهاً!.

الأب ورموزه المتعددة

فلنتأمل إذن ذلك المنعطف الجديد الذى يدخل إليه الفيلم ، عندما يقتنع حسين أفندى بأن يتبنى أيضا الفتى كمال ، ليصبح أخاً علنيا لزوجته السرية دلال، ليحاول رأفت الميهى فى سعيه لاجتذاب الجمهور أن يبذل كل ما يستطيع من جهد لكى يلفق لقاءات عديدة بين «الأخ والأخت»، أو الزوجين السريين، بعيداً عن عينى «الأب» ، حتى يستخرج منها بعض الضحكات العشوائية والتوابل اللاذعة الساخنة. لكن ما يزال هناك «المضمون » الأعمق الذى يزعم الفيلم أنه

يقترب منه (ولنتذكر الالحاح الدائم على فكرة تحطيم «التابوهات» عند رأفت الميهى ، وهى الفكرة التى تبدو- إن خلصت النوايا وتحقق الانجاز- منطلقا حقيقياً لاعادة النظر فى العديد من تصوراتنا الجاهزة ، ولكن المعالجة الهازلة تؤدى بها إلى غاية مناقضة تماما) ، فقصر «الأب» ليس هو «الجنة» إذا كان شروط وجود الرجل والمرأة فيها هو التخلى عن عواطفهما الإنسانية (ولتصرف النظر عن أن الفيلم يصورها على أنها غرائز بدائية وحشية) ، لذلك فان «الأب» لن يكون النعمة التى هبطت علي البطلين ، بل أنه النقمة الحقيقية إذ يبدو أنه اشتراهما من أجل تحقيق نزواته «الأبوية» ، وهى الفكرة التى قد تحمل العديد من الدلالات التى تشير لكل أنواع «السلطة» ، بدءا من المستوى الرومانسى- بالمعنى الفلسفى للكلمة -الذى يتحدث عن حياة الإنسان فى «الطبيعة» ، وفقدانه لإنسانيته مع تنازله عن حياته الفطرية لاقامة حياة اجتماعية، مرورا بالمستوى السياسى الذى يشير إلى أن السلطة التى نختارها قد تصبح وسيلة لقمعنا ، وانتهاء بالمستوى الميتافيزيقى الذى يلمح إلى قوى متعالية على الانسان وتتحكم فى مصائره.

من هنا يبدأ فهم عنوان الفيلم باللغة الانجليزية كما اختاره رأفت الميهى «هيا نقتل أبانا!» ، على نحو يذكرك بفيلمه «للحب قصة أخيرة» (والذى يعتبر واحدا من أفضل وأجمل أفلام السينما العربية فى شكله ومضمونه الجريئين، على الرغم من أنه لا يحتمى وراء دعوى «الفانتازيا»!) ، فانظر إلى أين انتهت محاولات «قتل الأب» ، الذى بدأ تسلطه على البطلين باختيار اسمين جديدين لهما: «سر من رأى» للفتاة دلال ، و«ميت فل» للفتى كمال (هل عرفت الآن سبباً متناقضاً جديداً لمعنى عنوان الفيلم بالعربية؟!) ، لأنهما الاسمان اللذان يضيفان مجداً ومهابة على الرجل عند ارتباطهما باسمه ، خاصة وأننا سوف نعرف أن سائقه وخادمه الأبله (أشرف عبد الباقى) ليس إلا أبنه الحقيقى، فقد رفض الرجل الاعتراف به لتخلفه العقلى، وإن كنت لن تشعر أبداً أن وجود ذلك الابن سوف يزيد من عمق فكرة «الأب» المسيطر، سوى أن يكون هذا الأبله بملامحه الشبيهة باحدى شخصيات «الاخوان



فضل الميهى على السينما المصرية هو وقف التسليم والاستسلام للسينما التقليدية

ماركس» الكوميدية أقرب إلى دور «الكورس» فى المسرحية الاغريقية، أو الشخصيات الثانوية التى تعرف كل شئ عن الأحداث وتقوم بالعديد من الأدوار فى بعض المسرحيات المعاصرة ، مثل شخصية الخادم فى مسرحية «رجل لكل العصور» لروبرت بولت ، فهو يخبر البطلين- فى تأكيد على رمز الفيلم- أن «الرجل لا يموت، وكل الأشياء تموت ما عداه»، أو هو أحيانا يساعد «الأب» فى أن يمارس لذته الأبوية بضرب الابنين عندما يخالفان التقاليد المهذبة، فيقوم السائق (الخادم) برش بعض الماء على مؤخرة الابنة حتى تبدو وكأنها «بللت» نفسها لكى تكتمل تمثيلية العقاب، أو هو أحيانا أخرى يصطنع حيلاً مسرحية لاتقان الجو الملائم للاحداث، مثل إصدار صوت الرياح والأعاصير والرعود، أو هطول الأمطار، مثلما فعل حارس السجن فى مشهد عابر فى فيلم «الأفوكاتو».

انتقائية الشكل، وكلبية المضمون

إن هذا الخليط من التلميح إلى الجذور الاقتصادية والاجتماعية لأزمة البطلين ، والتعثر فى الوقت ذاته فى الإيحاء بدلالات رمزية ذات ظلال إنسانية أزلية أبدية، يلتقى مع قدر هائل من التشوش فى «أساليب» الفيلم الانتقائية، التى يبدو أن اختيار رأفت الميهى لها يتم كيفما اتفق، دون بذل محاولة حقيقية لصهرها معاً فى شكل فنى متسق يجمع بين المتناقضات ، ويحقق القاعدة



سر من رأى مع ميت فل

الجمالية البديهية فى الفن، وهى «الوحدة فى التنوع» ، إلا إذا كان رأفت الميهى يصر على أن يعبر عن اضطراب القيم والافكار بصنع أعمال فنية تتسم هى ذاتها باضطراب الأسلوب.

ليس غريبا إذن أن يستقبل الجمهور، بالكثير من الفتور، هذا الخلط الذى يصطنع التعقيد الفنى والعمق الفكرى ، وهو الفتور الذى يعود إلى أسباب عديدة، لعل من أهمها النزوع إلى شكل فنى يخلو من أى منطق، تحت اسم «الفانتازيا» الزائفة تارة، و«المسخرة» تارة أخرى،(فى الحقيقة أن هذا النوع من السخرية والجموح فى الخيال يمكنك أن تجده على نحو شديد الاتقان فى أفلام أمريكية كوميدية ضحلة المضمون مثل« أكاديمية البوليس» أو «لقطات ساخنة»، فالسخرية الجادة تحتاج إلى منطق،«فنى» شديد التماسك ، ربما أكثر من أى فيلم «واقعى».

أن أردت اقترابا من حقيقة التشوش فى أفلام رأفت الميهى الأخيرة، فاننا نراه يعود إلى رؤية عبثية- أو بالأحرى فوضوية بالمعنى الفلسفى للكلمة- للعالم كله، وهى الرؤية التى تجعل السخرية عنده، تقف على حدود النزعة«الكلبية» التى لا تهدف أبداً إلى كشف أسباب العبث فى الواقع، أو السياق الاجتماعى والسياسى أو حتى الميتافيزيقى، الذى ينزع عن الإنسان إنسانيته، بل إن الإنسان عنده لا يستحق أن نسبغ عليه تلك الأفكار والمشاعر «الإنسانية» . فأفلام رأفت الميهى أصبحت تميل إلى تصوير البشر كلهم- فى كل زمان ومكان- على أنهم يثيرون «القرف» (ولا يخلو واحد من أفلامه من ترديد هذه الكلمة عشرات المرات) ، تنبعث منهم رائحة العرق والبول ، ويتصاعد شخيرهم وتخرج الغازات من أمعائهم أثناء نومهم، (كان كازنتزاكس يتساءل دائما فى دهشة الشاعر عن الإنسان، ذلك الحيوان القادر على أن يصبح ملاكاً من خلال ذلك الجسد نفسه) ، وكل العلاقات الإنسانية مشوهة، فعلاقة الآباء بالأبناء هى مسح المؤخرات أو ضربها، بل إن «الحياة ذاتها مقرفة قوى» ، كما قال «الأفوكاتو» حسن سبانخ. وإن كنت تتصور أن تلك الرؤية للحياة تنتمى إلى بطل هذا الفيلم- كشخصية فنية- أكثر من انتمائها لصانع الفيلم نفسه، فاننا نحيلك إلى الوجه الآخر لحسن سبانخ، شقيقه أحمد سبانخ فى بطل فيلم «سمك لبن تمرهندى» ، الذى يردد العبارات ذاتها، فكأن رأفت الميهى يستخدمها -كما يستخدم كل أبطال أفلامه- لكى يضع على ألسنتهم فلسفته، التى ما تزال تتردد أصداؤها فى«ميت فل».

وقد تكون عبارات مثل «الناس كلهم حمير، مش فاهمين حاجة»، أو «المجتمعات المتخلفة ما تعرفش حاجة أسمها العلم وأى محاولة لتغيير حركتها بقوانين علمية تعتبر غير علمية فى حد ذاتها(!!)، قد تكون هذه العبارات قد جاءت على لسان هذه الشخصية أو تلك ، لكن أليس من الغريب أن تردد كل شخصيات الأفلام الأخرى نفس الكلمات والأفكار؟! من تلك الحقيقة البسيطة استحق رأفت الميهى أن يكون مؤلفا لسينما خاصة به، وهذا حقه الذى نعترف له به، لكن من حقنا أيضا أن نتفق أو نختلف مع رؤيته، التى نراها تبتعد أكثر وأكثر عن الاقتراب من الجماهير (أو بالأحرى عن «الإنسان» ، لأن كلمة «الجماهير» أصبحت تثير حساسية عند البعض) ، فهذه الرؤية أصبحت توغل فى العبث المصطنع، أخطر ما فيه إنه لا يؤمن بقدرة الإنسان على صنع مصيره، أو أنه العبث الذى لا يؤمن بجدوى أن يضع يده على العوائق الحقيقية التى تجعل الإنسان عاجزا عن صنع هذا المصير. لذلك لم يكن غريبا أن تنصرف الجماهير عن فيلم «ميت فل» ، لأنه يوهمهم بأنه يمنحهم ديمقراطية التمرد والرفض، وإن كان يملى عليهم رؤيته السوداوية الديكتاتورية!.

****

مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى



الطوق والاسورة اخراج:ناصر عبد المنعم

كناسة دكان العالم

عبله الروينى

إذا كانت الدورة السابقة لمهرجان القاهرة للمسرح التجريبى أثارت استياء المسرحيين بضعف مستواها الفنى، فان الدورة الثامنة هذا العام لم تثر استياء أحد بعد أن فقد الجميع حماسهم وأصابتهم بلادة جماعية.

نفس الأخطاء ، نفس الفوضى، نفس سياسة الكم، والقيمة الإعلامية والمنهج الاحتفالى فى إدارة مهرجان ثقافى مسرحى!!.

أكثر من ٧٠ فرقة مسرحية يمثلون ٤٣ دولة من أنحاء العالم. الاتحاد السوفيتى (السابق) شارك بـ ١٤ فرقة مسرحيةمن جمهورياته المستقلة **لتوانيا ، اذربيجان، كازاخستان، لاتفيا، روسيا، بيلاروس، تتارستان، شوفاشيا وأوكرانيا** والتى شاركت وحدها بـ ٣ فرق مسرحية! مثلما شاركت روسيا بـ٣ فرق مسرحية أيضا!.

وشاركت **المانيا** بـ٤ فرق مسرحية **وسويسرا** بـ٣ فرق مسرحية **والبرتغال** بـ٣ فرق مسرحية.

ولأن سياسة الكم هى بالأساس صيغة احتفالية دعائية، فقد اتسمت معظم الفرق المسرحية المشاركة**بضعف مستواها الفنى وغياب الخبرة والامكانية والفلسفة** الواضحة فى تناول العمل الفنى.. هكذا شاركت **المانيا** بعرض (**قطعة مسرحية -١**) **لفرقة فلبباخ للمسرح المدرسى**!! وشاركت **البرازيل** بمسرحية (**وصول البحارة**) لفرقة اونيناوى أولوبيو وهم **مجموعة من الهواة بالمسرح العمالى**..إلى جانب العديد من الفرق حديثة التكوين(فرقة لاتفيا، فرقة اندونيسيا، فرقة ماليزيا، فرقة لتوانيا) إلى جانب ضعف المشاركة المسرحية العربية هذا العام.

هكذا احتشد المهرجان **بكناسة دكان العالم المسرحى** خاصة مع اختفاء الفرق

المسرحية المتميزة والتى سبق لها المشاركة بالمهرجان فى سنوات سابقة إضافة إلى **عجز إدارة المهرجان عن دعوة الفرق المسرحية ذات التاريخ والأهمية المسرحية** خاصة وأن لائحة تنظيم المهرجان لا تتضمن لجنة لاختيار العروض المسرحية الهامة من أنحاء العالم وغالباً ما تخضع فى اختياراتها إلى اتفاقيات التبادل الثقافى بين الدول أو الاختيارات العشوائية.

ويتجدد اقتراح المسرحيين عاما بعد آخر بتخفيض عدد الدول والفرق المشاركة والاكتفاء باختيار دقيق ومتميز لعدد قليل جداً من الفرق المسرحية التى يمكنها إثراء المهرجان والإضافة الحقيقية للحركة المسرحية المصرية.

كارمينا بورانا هدية المهرجان

كادت أن تختفى هذا العام ظاهرة العروض الراقصة ليستعيد النص المسرحى مكانته على خشبة المسرح من خلال تنوع فى المادة الدرامية نصوص مسرحية كلاسيكية : اليونان **(الكترا)** البرتغال **(الحداد يليق بالكترا)** أوكرانيا **(ماكبث)** **(اياجو)** ونصوص معاصرة : لبنان **(الكراسى)** ليونسكو. روسيا**(الدرس والكراسى)** إلى جانب عروض تستند إلى التاريخ والسيرة والرواية الأدبية روسيا **(بيزنطة)**، سنغافورة **(احفاد الادميرال).** سوريا(**الدب)** لتشيكوف و**(مات ثلاث مرات)** عن قصة قصيرة لامادو، مصر **(الطوق والأسورة)** عن قصة ليحيى الطاهر عبد الله. وقدمت الأردن **(كأنك يا بو زيد)** وبولندا **(كارمينا بورانا)** التى استحقت بجدارة جائزة أفضل عرض مسرحى من لجنة النقاد المصريين وجائزة أفضل تقنية من لجنة التحكيم الدولى.. والمسرحية تتناول الحب الذى يفسره المخرج بانه التقاء الروح الحرة مع الأغنية.. كارمينا بورانا عرض موسيقى يستند على أغنيتين أو أسطورتين شهيرتين فى الثقافة الأوروبية «كارمينا بورانا» تلك الاشعار التى تمتد إلى القرنين الثانى عشر والثالث عشر والتى ظلت حتى السبعينيات من هذا القرن مفقودة فى أحد الأديرة بمرتفعات الألب البلغارية. وأسطورة «تريستان وإيزولدة» وهى قصة انجلو رومانية ترجع لنفس الفترة التاريخية.



* عرض لفرقة جنوب افريقيا *

* العرض الروسى *





هموم ناصر ٢٠٠٠

مشهد من فيلم ناصر ٥٦

تعجبت من الذين أصيبوا بصدمة من تخلفنا الرياضى فى **دورة أتلانتا** .تعجبت من صدمتهم رغم أن منظومة حياتنا من سياسة واقتصاد وثقافة تعكس تماما عدم مشاركتنا فى صنع حضارة اليوم ،لأننا **لم ندخل بعد القرن العشرين . نحن بالكاد على أبواب القرن الـ ١٩ والبعض يشدنا بقوة إلى القرن الـ ١٧** .إننا ندعى أننا نتعلم، وأننا نمارس الديمقراطية، وأننا نمارس التفكير العلمى. والواقع يقول عكس ذلك تماما . فكيف نفوز ؟

إذا كان الذى يفكر بيننا مثل الأستاذ الدكتور **نصر أبو زيد** يحكمون عليه بالتفريق بينه وبين زوجته ، ونحن على أبواب الألفية الثالثة وهم يعقدون المؤتمرات الآن فى الغرب لاعادة النظر فى كل المسلمات والثوابت بعد أن شكوا فى وجود حياة على المريخ ، فلماذا نفكر؟!

د. أحمد محمد صالح

وكيف نفوز فى أتلانتا ونلبس شورتات وهى حرام !

وكيف نفوز وهناك حزب يسمى نفسه **الأحرار** يعلن فى شوارع الإسكندرية عن فتح عيادات لعلاج الجن والشياطين . كيف نفوز فى أتلانتا وأصبح فى كل بيت مصرى عفريت وشيطان وجن يحتاج أكثر من شيخ ودجال لاخراجه ؟!

فكيف نفوز والدكتورة المصرية معدة برنامج ياهلا (تحية سعودية) فى المحطة الفضائية (**راديو وتليفزيون العرب**) ذات التمويل والتوجهات السعودية تعرض على عدة أيام فى شهر أغسطس حلقات عن العفاريت والشعوذة والجن ، طبعا فى المجتمع المصرى،لأن الدكتورة لاتستطيع أن تقترب من المجتمع السعودى وتقدم مشاكله ، فالجميع يسترزق على حساب مصر . ونشاهد فى البرنامج وزير بحث علمى سابقاً مشهوراً بالتوابع يحكى عن مواقف شعوذة كأنها معجزات . وأستاذ أمراض نساء فى أكبر كلية طب يتحدث بفخر عن مؤتمرات السحر ، ويح صوت الدكتور **يحيى الرخاوى** وزميله عالم الاجتماع فى تنبيه الحضور لعدم الخلط بين المصطلحات ، **وأن منظومة الفقر والقهر والجهل والمرض وضعف التعليم والبطالة هى التى ساعدت على نشر الخرافة** ، فيبتسم عالم الدين وعميد أصول الدين بسخرية ويقول: هذا كلام فى السياسة! لا .. ياмولانا كل شئ فى حياتنا سياسة حتى حضورك فى البرنامج سياسة ورحم الله الجميع.

وبقية الأحزاب لاتختلف كثيرا عن الأحرار ، فهذا حزب اجتماعاته تستمر بالعشر ساعات كلام فى كلام ، عشر ساعات كلام بحجة الحوار فى حين يظهر فى العالم خلال نفس الفترة ١٠٠٠ عنوان كتاب جديد ، هناك طرق للحوار كثيرة توفر الوقت وتنظم الأراء وتجدولها وتبوبها . وحزب ثان مازال يلبس الطرابيش ، ويستثمر دعم الحكومة فى رحلات العمرة والحج . وحزب ثالث متمسك بلقب الباشا ويعلم الناس تربية وأكل عش الغراب ، والحزب الكبير يرعى شبكة المصالح التحتية للنخبة الحاكمة .**والدولة تحاصر أحزاب المعارضة لتأكل نفسها من الداخل .**

كيف نفوز وأصبحنا نتحاور بالسلاح أو فى المحاكم التى أصبحت أحكامها تثير الدهشة والقيل والقال، وتستثمر فى السياسة ؟! علاوة على مزيد من قضايا الفساد والإرهاب التى تكتشف كل حين وأصبح موضة هذه الأيام أن يهرب الإرهابيون بعد أن يمارسوا القتل وسرقة البنوك ومحلات الذهب فى عز النهار.

ولاننسى إسرائيل وهى تعربد بعمليات الاستيطان الجديدة باسم السلام.

وتزداد الوجعات فنسمع أن أربع جامعات خاصة نشأت بجرة قلم فى أربعة أيام فقط، ثم يكتشفون أنها بدون بنية أساسية: من معامل ومكتبات وأعضاء هيئة تدريس ، لدرجة أن بعض تلك الجامعات لم تستلم الأرض التى ستبنى عليها ، فالمهم أن يزداد عدد المطابع التى تعطى شهادات ، وكلها تجارة ومصالح شخصية وتسكين للناس على حساب الوطن ، وبعد كل ذلك يسأل شباب

الجامعات لماذا يتشاءم الأساتذة؟!.

وفى وسط تلك الضربات على الوجدان المصرى كان هناك بريق أمل فى إقبال الناس الشديد على مشروع **مكتبة الأسرة** ومعارف التنوير ، على أمل محاربة الجهل والجهالة وتكوين ثقافة جديدة لمجتمع جديد . وبريق الأمل الثانى كان فيلم **ناصر ٥٦** ،الذى صمم أطفالى على مشاهدته فى أول يوم عرض ، وكأنهم شعروا باحتياجى إلى ناصر . ومع **ناصر ٥٦** تحولت عندى مشاعر اليأس والإحباط إلى روح جديدة فقدت منى منذ سنوات عديدة ، حين **كنت أهتف مع الصبية فى الشارع عام ٥٦ حنحارب.. حنحارب** .وأتذكرها جيدا حين عبرت فى حرب أكتوبر ٧٣ كجندى جامعى مقاتل فى الجيش المصرى ، وجدت نفسى فى حماس وطنى غامر أعيش مع عبد الناصر وأغنى معه :**هذه أرضى أنا وأبى ضحى هنا** ..

والله أكبر .. الله أكبر على المعتدى .

عشت مع بساطة ناصر وتواضع معيشته ، وكيف كان يضع مصلحة مصر قبل كل شئ، وانحيازه للفقراء . ولاحظت أن حماسى ومشاعرى الجياشة انتقلت إلى أطفالى الذين لم يعايشوا تلك الفترة . ولفت نظرى أنهم يضحكون مع الجمهور كلما ظهرت شخصية معينة ، واكتشفت أنه **أنور السادات** .وطوال الفيلم يسألون عن الشخصيات المصاحبة لعبد الناصر ، وعن الإنجليز وبور سعيد والسويس ، وأهمية القناة ومعنى التأميم وحرب ٥٦ ، ومن هو **ايدن وتشرشل** ؟وسمعتهم يعلقون معقول رئيس جمهورية يعيش بالتواضع ده !.

وطوال مشوار العودة كانت الأسئلة تحاصرنى إلى أن سألتنى ابنتى الصغيرة :**هو ناصر مات امتى ؟! هو فى حد قتله ؟ مش ممكن يكون عايش وحيظهر فى الوقت المناسب** ؟! وكنت أنا بدورى أكلم نفسى، نعم أكلمها فكلنا مجانين .**هل معقول مصر ٥٦ تؤمم قناة السويس ومصر ٩٦ تبيع القطاع العام لكل من هب ودب ؟!!** والغريب أن المبررات الوطنية للتأميم هى نفس المبررات التى تدعيها الحكومة الآن للبيع باسم التنمية ! والسؤال: هل مصر الآن فقدت إرادة الرفض والتحدى؟ هل فى إمكان مصر الآن أن تقف أمام العوائق لتحقق أهداف التنمية لصالح أغلبية مواطنيها ؟

يجب الاتفاق أولا على أن كل مرحلة سياسية فى مصر، منذ أن بدأ التاريخ حتى الآن، مارست عمليات القهر السياسى بأساليب تتفق مع متغيرات كل مرحلة . ورغم اختلاف الأراء حول سلبيات وإيجابيات الحقبة الناصرية إلا أننا **يمكن أن نميز فترة ناصر بالانحياز للفقراء ، والكبرياء الوطنى** الذى فجر روح التحدى بين الناس ولم يستطيع أى توجه سياسى جاء بعد عبد الناصر أن ينحاز للفقراء أو يعيد تلك الروح باستثناء فترة حرب أكتوبر ٧٣ .

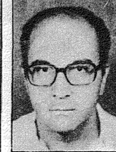
لذلك نزعم أننا نحتاج بعمق وبشدة إلى **ناصر ٢٠٠٠ ، ناصر الروح والرمز والمعنى والكبرياء الوطنى والتحدى** الذى يوقظ الحلم المشترك والإجماع الوطنى ويشحذ الهمم من حوله ويعلن تعبئة المصريين جميعا لحل مشاكل الوطن ، وبدون تلك البداية لن نستطيع أن نواجه تحديات المستقبل . وناصر ٢٠٠٠ قد يكون شخصاً أو حزباً أو حدثاً قومياً أو كارثة طبيعية أو حرباً اقليمية أو قضية أو مشروعاً قومياً أو **يساراً مصرياً جديداً يتكلم بلغة العصر ويشحذ الهمم ويصحى مصر من النوم ويبعث فيها الروح الوطنية والتوحد مع الوطن** .نحن نحتاج إلى ناصر ٢٠٠٠ يقف على منبر الأزهر الآن، ويدعو الناس إلى الاستعداد وحمل سلاح العلم وتعليم الكمبيوتر . ويعلن الحرب على التخلف والجهالة والإرهاب وتجار الدين والفساد . نحن نحتاج إلى ناصر ٢٠٠٠ ليعلن فى ميدان المنشية باسم الأمة. تأميم قدرات وجهود المصريين للقضاء على الجهل والمرض والفقر لصالح تنمية الوطن . تنمية تستند على منظومة الثقافة المصرية التى تمتد جذورها إلى عمق التاريخ . تنمية قادرة على إحداث إنعاش اقتصادى دون التضحية بالصالح العام الاجتماعى والروحى . وناصر ٢٠٠٠ أمامه تحديات وآمال تختلف تماما فى طبيعتها عن تحديات وآمال ٥٦ ، لاختلاف المتغيرات الإقليمية والعالمية . ونحول الآن أن نرصد بعض أهم تلك التحديات التى نتوقع أن تواجه ناصر ٢٠٠٠ والآمال المتوقعة :

١- يجب أن نسجل أولا أننا لم ندخل عصر الصناعة بعد، فالموضوع ليس بناء مصانع بل بناء **منظومة فكر وسلوكيات المجتمع الصناعى** ،الذى يعتبر أساساً للدخول فى القرن القادم عصر المعلومات الذى أصبحت فيه المعرفة أهم عنصر من عناصر الإنتاج .**نحن خارج عصر الصناعة** ،وتلك الهوجة التى نسمعها ونقرأها فى وسائل الإعلام خاصة الصحف والمطبوعات والكتب عن خيارات مصر فى القرن الواحد والعشرين وثورة المعلومات والمستقبل ، مجرد سياسة وتسكين وتسويق وتجارة ، **لأننا ببساطة لم نتحول بعد إلى مجتمع صناعى وأمامنا عشرت السنوات لكى ندخل القرن العشرين وليس الواحد والعشرين** ،لذلك دعونا نتفق أن أقصى مانحلم به أن نتقن مهارات ثورة المعلومات التى أنتجها المركز، وأن نوظفها ونستثمرها لكى نسرع فى الدخول إلى عصر الصناعة ونتحول إلى مجتمع صناعى .

٢- إن التحولات العالمية القائمة على ثورة التكنولوجيا والمعلومات لاتنطوى على إيجابيات لجميع الدول ، فسوف تستفيد منها الدول الصناعية المتقدمة القادرة على توظيف هذه التحولات لصالحها ، وبالعكس لها آثار سلبية شديدة على الدول الأقل استعدادا للإستجابة وتوظيف تلك التحولات وهى فى الغالب الدول المتخلفة . وعلى الرغم من أن المعوقات الثقافية للاستجابة وتوظيف ثورة التكنولوجيا والمعلومات موجودة فى كل المجتمعات لأن التغيير يهدد المعتقدات الدينية والاجتماعية وأنماط الحياة والعادات القائمة ، لكن **مايميز الدول المتخلفة أن المعوق الأساسى ينطلق من النخبة الحاكمة التى فقدت السيطرة على شئونها الاقليمية والدولية**،وهى غير مؤهلة للتحدى الأعظم فى القرن الواحد والعشرين وهو كيفية استثمار الانفجار المعرفى والتكنولوجى لاشباع حاجات السكان المتزايدة . والسيناريو المتوقع للدول المتخلفة عام ٢٠٠٠ هو انفجار سكانى (وستدخل مصر القرن الواحد والعشرين ب ٧٠ مليون ، وسنصل عام ٢٠٢٥ حوالى ١٠٠ مليون نسمة)، منافسة على الأرض والهجرة ، **اضطراب اجتماعى،وقلق وإرهاب ، وندرة فى المعرفة والتكنولوجيا** .والتوسع فى توظيف واستثمار نتائج الثورة العلمية والتكنولوجية والتى أنتجت مايسمى بثورة المعلومات والاتصال يتطلب شروطا اجتماعية وثقافية أعمق من مجرد استيراد تطبيقات تلك الثورة ، ومجمل هذه الشروط أن تتوفر منظومة خصائص وقيم المجتمع الصناعى القائم بداية على **مناخ سياسى مشجع لحرية الفكر والإبداع**.

٣- **لذلك يتوقع من ناصر ٢٠٠٠أن يبدأ باصلاح سياسى شامل للوطن يقوم على أساس تعميق الديمقراطية وحقوق الإنسان ، وحقوق المشاركة السياسية ، ومزيد من الحرية للمنظمات غير الحكومية والمبادرات الشعبية** .ويتحول الوطن إلى مجتمع شفاف تتدفق فيه المعلومات للحكام والمحكومين لاتوجد فيه فرصة للتعتيم على قرار أو فساد فى أى موقع ، بمعنى تحرير شامل للمجتمع ، لأن **الحرية الاقتصادية بدون تعميق الديمقراطية تؤدى إلى بطالة وغلاء وفقر** ، لكن الإصلاح السياسى الشامل بتأكيد الحقوق وتعميم المشاركة ، وفك قيود التخلف من العملية التعليمية هو الركيزة لمواجهة مقتضيات المستقبل.

٤- إن التغييرات العالمية الناتجة عن ثورة التكنولوجيا والمعلومات تفرض نفسها على السيادة الوطنية لدول الأطراف المستهلكة للحضارة فى القرن الواحد والعشرين ، ولامهرب من وصول آثار تلك


د. يحيى الرخاوى


نصر أبو زيد

التغييرات لجميع الدول ، والسبيل الوحيد للحفاظ على السيادة الوطنية المصرية هو عودة مصر لضمير أبنائها، بترسيخ الديمقراطية الفعالة التى تضبط السلطة ، فالحدود السياسية فى القرن القادم لاتحفظ السيادة والهوية الوطنية ، بل ثقافة **المجتمع الديمقراطى بأشكالها المختلفة هى التى تحمى السيادة والهوية الوطنية.**

٥- رغم أن عالم ناصر ٢٠٠٠ سوف تتقارب شعوبه بشكل لم يسبق فى التاريخ، نتيجة ثورة الاتصالات ، وسيؤدى هذا التقارب إلى تغيير عميق فى علاقات الدول ، **لكن الصراع بيننا وبين إسرائيل صراع حضارى، سوف يأخذ أشكالاً اقتصادية وثقافية وتكنولوجية ومعلوماتية وبيئية وأولها صراعات الماء القادمة** ،ورغم هذا التقارب الكونى إلا أن الخلافات العربية لن تنتهى، بل سوف تزداد تعقيدا حول أدوار الزعامة ، ويصبح الأمل فى ناصر ٢٠٠٠ أن ينجح فى **تكامل اقتصادى عربى وسوق عربية مشتركة.**

٦- إن تطبيقات ثورة التكنولوجيا والمعلومات تسيطر عليها تماما الشركات المتعددة الجنسيات التى تحتكر الابتكارات العلمية ، وهى تصدر التكنولوجيا بشروطها ، وذلك يستلزم تنمية التكنولوجيا المحلية ، وتوظيف قدرات العلماء والبحاث داخل الوطن ، وهذا يحتاج ثورة فى التعليم، توظف فيها تطبيقات تكنولوجيا المعلومات . وإذا كان ناصر ٥٦ نجح فى بناء السد العالى ، فالمتغيرات العالمية تجعل ناصر ٢٠٠٠ يسعى لإنشاء **وادى سيلكون مصرى (silicon valley** فى كاليفورنيا تنتج فيه أرقى تكنوجيا فى العالم) تنفجر فيه التكنولوجيا وتطبيقاتها الملائمة للمنطقة العربية لكسر تميز وتفوق إسرائيل فى صناعة المعلومات ، خاصة وأنه تتوافر لدينا الكوادر المؤهلة لذلك ولاينقصنا إلا روح التحدى التكنولوجى .

ومن ناصر ٥٦ الذى أمم قناة السويس إلى ناصر ٢٠٠٠ الذى نتوقع أن يوظف تكنولوجيا المعلومات فى إعادة اكتشاف الموارد البشرية والطبيعية لمصر للاسراع بالدخول إلى عصر الصناعة ، وأن يوظفها ويستثمرها لحل القائمة الطويلة لمشاكلنا.

٧- إن المقولة الشائعة إن الإسراع بالخصخصة من ضمن عوامل نجاح الإصلاح الاقتصادى فى مصر هى مقولة مغلوطة ، لأن نجاح الخصخصة فى دول مثل مصر منخفضة الدخل متوقف على فاعلية الإشراف الحكومى وكفاءة القطاع الخاص. فالخصخصة فى روسيا حتى الآن لم ترفع معدلات الإنتاج ،**فالمشكلة ليست فى شكل الملكية لكن فى الإدارة ومدى نجاحها .** والادارة فى عصر المعلومات لها هيكل وبناء اتصالى وخصائص مختلفة عن الادارة التقليدية . لذلك نتوقع ناصر ٢٠٠٠ ثورة إدارية فى مصر كلها توظف فيها تكنولوجيا المعلومات لحل مشكلة الإدارة فى القطاعات الاقتصادية.

٨- سيحرص ناصر ٢٠٠٠ على الإصلاح السياسى الشامل حتى لايقع تحت سيطرة الطبقات صاحبة الثروة المرتبطة بقوى خارج الوطن خاصة بعد إلغاء الدعم السياسى والاقتصادى للطبقتين الدنيا والوسطى ، فالاصلاح السياسى الشامل هو السبيل الوحيد لمواجهة السلبيات الاجتماعية المترتبة على انحسار دور الدولة فى السيطرة على وسائل الإنتاج وفقا لآليات السوق التى يتجه إليها العالم اليوم ، فديمقراطية المشاركة ، والتخطيط الطويل المدى والإدارة اللامركزية ، وتحويل التأهيل والتدريب للعمال إلى الاعتماد على المهارات العقلية ، كلها شروط لمواجهة الآثار السلبية المتوقعة ، ولن يسمح ناصر ٢٠٠٠ بالاستغلال الصارخ والقهر من جانب طبقة لطبقة أخرى ، ولن يكتفى بتنمية الثروة المادية لمصر ، بل سيسعى إلى توزيعها **بما يحقق التكافل والعدل الاجتماعى** تحت أى مسمى أيديولوجى بشرط ألا يتعارض مع المنظومة الثقافية لمصر.

٩- إن ثورة الاتصالات كسرت احتكار الدولة للمعلومات واخترقت الحدود القومية وأتاحت الفرصة للمصريين لأن يسمعوا ويروا كيف يؤدى الآخرون فى العالم المتقدم أعمالهم وكيف يعيشون ، وجعلت المصريين أكثر وعيا بالهوة بينهم وبين العالم المتقدم ، ولكن لا يستطيع التعليم والثقافة والانفتاح على العالم الخارجى تغيير وتحويل المجتمع المصرى إلى عصر المعلومات فجأة ، لأن ذلك يستلزم إحداث تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية تحولنا أولا إلى سلوكيات المجتمع الصناعى ، وتتيح للمصريين مزيداً من الحرية حتى لاتنتشر مشاعر الإحباط والمرارة والتمرد.

١٠- وأخيرا دعونا نتفق أن الحزب أو المشروع القومى أو الشخص الذى ينجح فى أن يتكلم لغة العصر ويواجه مشكلات مصر بحلول جديدة تعتمد على توظيف ثورة التكنولوجيا والمعلومات للإسراع بها إلى عصر الصناعة ، ويستطيع أن يتفهم جيدا التحولات العالمية فى القرن القادم أمامه فرصة كبيرة لكى يصبح ناصر ٢٠٠٠ الذى يشحذ همة المصريين ويعيد روحهم الحقيقية فى النضال.

١١- **واليسار المصرى له فرصة كبيرة ومنطقية وطبيعية ومؤهل فى القرن القادم لكى يكون ناصر ٢٠٠٠ إذا استطاع أن يفهم ويتكلم لغة القرن القادم** .وإذا استطاع أن يجمع مصالح ضحايا تحويل المجتمع إلى عصر الصناعة وهم ملايين الفقراء وغير المتعلمين وملايين الفلاحين ضحايا ثورة التكنولوجيا الحيوية وهندسة الجينات فى الزراعة ، والعمال غير المهرة وغير المدربين ضحايا الكمبيوتر والتصنيع الآلى ، حيث تزداد الفجوة بين الأغنياء والفقراء،وتزداد فرص الاضطرابات الاجتماعية. وستكون مهمة اليسار هى منع هذه القلاقل بدفاعه عن المصالح والحقوق الإنسانية لضحايا التحول . **وعلى اليسار أيضا أن يتفهم اضطرابات واحتجاجات العمال فى المستقبل التى ستأخذ أشكالاً اليكترونية مثل مظاهرات الفاكس ، وتعطيل العمل عن طريق فيروسات الكمبيوتر ونشر احتجاجاتهم عن طريق الانترنت لتدور حول العالم فى ثانية ، وعقد مؤتمرات معارضة من على بعد ، وأيضا احتجاجات الفلاحين عبر البريد الأليكترونى ، الذين سيرسلون التوقيعات والعرائض والشكاوى الإليكترونية من خلال الأنترنت لمنظمات حقوق الإنسان العالمية والمحلية.** وستجد النقابات العمالية والمهنية والأحزاب نفسها لاتملك المؤهلات والخبرات اللازمة فى مثل هذه الأمور ، فمثلا من الحقوق الواجب التركيز عليها بجانب الحقوق التقليدية للعمال والمهنيين حق إعادة التأهيل والتدريب على مايستحدث من تكنولوجيا ، كل هذه موضوعات يجب أن يستعد لها الحزب الذى يأمل أن يصبح ناصر.





أسامة أنور عكاشه

ابراهيم سعدة

حلال عليهم.. حرام على أسامة

الحملة الشرسة التى تشنها صحيفة **أخبار اليوم** ضد السيناريست "**أسامة أنور عكاشه**" ،بسبب اتفاق القوات المسلحة معه ، على كتابة فيلم خاص بحرب ١٩٧٣ ، تدعو للدهشة . فالصحيفة ترجع الحملة على الكاتب إلى أنه يكره أنور السادات الذى اتخذ قرار الحرب ، وأنه لن يكون محايدا بشأن تقييمه لدوره. ومبعث الدهشة أن الصحيفة التى فتحت المجال واسعا للتنكيل بعهد عبد الناصر والتشكيك فى ذمته المالية وكيل الاتهامات الباطلة لكل إنجازات عهده قد منحت نفسها هذا الحق ، بينما تحرمه على الكتاب الآخرين الذين يختلفون مع رأيها فى الرئيس **أنور**

المحررة :

شكرا للصديق ايهاب على مساهمتك ، وعنوان اليسار مكتوب على غلافها الداخلى ، ومرحبا بك فى أى وقت . لكن اسمح لى أن أختلف معك ، فى أن القضية ليست مفاضلة بين الهجوم على عبد الناصر أو السادات ، كما أنها ليست فقط حق الكاتب فى أن يكون له رؤية وموقف من عهود الثورة الثلاثة ، لكن المشكلة هى أن تسخر مؤسسة كبيرة من مؤسسات الدولة كل امكانياتها للهجوم على فرد لايملك أسلحتها ، ولا تسمح له بحق الرد حتى على حججها بفرض صحتها ، وهذا لاوصف له إلا أنه ارهاب . أما نصر أكتوبر فلم يصنعه عبد الناصر والسادات فقط ، إنه ملك للجيش المصرى العظيم ولتضحيات الشعب المصرى ولشهدائه ، وكما خلدت السينما العالمية الحربين العالميتين الأولى والثانية فى مئات من الأفلام حرصت معظمها على تعظيم وإعلاء العسكرية القومية للدول المشاركة بها ، فان بوسع فيلم عن حرب أكتوبر أن يفعل ذلك دون أن يكون عبد الناصر أو السادات أبطالا به.

" الاشتراكيون بين المطرقة والسندان "

ينطبق على الاشتراكيين المصريين المثل القائل " لاطال عنب اليمن ولابلح الشام " ففى حين كتب الاشتراكيون المصريون بدمائهم صفحات خالدة فى الدفاع عن الديمقراطية وكانوا على مر **العصور الملكية والناصرية والساداتية** ضيوفاً للمعتقلات والسجون وضحايا للتعذيب والقهر بصفتهم ضحايا دائمين لإنتهاك الحرية وغياب حقوق الانسان . جاءت أحداث انهيار النموذج السوفيتى للإشتراكية ومالازمه من تضخيم لدور غياب الديمقراطية فى سقوط التجربة لتضع الاشتراكيين عموماً فى موقف المتهم والجانى ، وكأنهم مارسوا أودعوا لأى سياسات أو ممارسات تتنافى مع الديمقراطية . والمضحك والمثير للعجب **أن كفاح الاشتراكيين المصريين من أجل الاشتراكية لايوازيه القدر والجهد والتضحيات من أجل الديمقراطية.** فكل تاريخ كفاح الشيوعيين المصريين هو من أجل الديمقراطية لكل الشعب . والأعزب أن السلطة التى كانت تنادى بتطبيق الاشتراكية وضعت الاشتراكيين الحقيقيين فى السجون.

وواقع الأمر أن الشيوعيين لايشربون القهوة ولايقبلون العزاء .فنحن لم نجن على أحد وأيدينا نظيفة من أية دماء اللهم سوى دمائنا ودماء زملائنا من الشهداء ولاينبغى علينا الوقوع فى الشعور بالذنب تجاه ممارسات آخرين حكموا وأخطأوا فى تجارب مختلفة لانتحمل وزرها من قريب أو بعيد . أقول ذلك نظراً لما لاحظته من اتجاه القسم الأعظم من الشيوعيين المصريين والعرب للحديث عن الاشتراكية الديمقراطية الأمر الذى قاربهم من أفكار الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية والتى هى فى واقع الأمر أحزاب إصلاحية تسعى لتحسين الواقع وتسعى لتغييره.

وحتى لانكون أسرى لرد الفعل ونتحمل ذنوباً لم نقترفها وجرائم لم نرتكبها ، فعلينا أن نعلن صراحة موقفنا من كوننا **ديمقراطيين أصلاء فى الدفاع عن حقوق الشعب بوصف الاشتراكية والعدل الاجتماعى هى القاعدة الصحيحة لأى ديمقراطية شعبية** تعطى الكادحين الفرصة للحصول على حقوقهم من الناتج القومى وتفتح أمام الطبقات الكادحة الطريق لتنمية ملكاتهم الفكرية والذهنية ، فما نعتقده وشما يعيبنا ليس عيباً ومحاولة تغيير الجلود لاضرورة لها ، بل أن الصدق وإعلاء المواقف الثابتة فى كل الأوقات هو الطريق الصحيح للحصول

على مصداقية الشعب . وعلينا أن لانقيد أيدينا مسبقاً بشكل مستقبلى لتطبيق الاشتراكية - فما زال الأمر بعيداً ومعطيات الواقع الحالى تجعل التكهن أو التصوير كيف ستكون الاشتراكية وهى من الخيال .. **ويكفينا أننا فى الماضى والحاضر والمستقبل ديمقراطيون أصلاء واشتراكيون أصلاء أيضاً وهو أمر ليس فيه تعارض كما أعتقد .**

أحمد طاهر
المنصورة

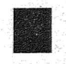


حينما حل التغيير الوزارى الأخير بمصر بقيادة د.**الجنزورى**.كان الهدف رفع كفاءة الحكومة سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا ولكى يتناسب الأداء مع المتغيرات العالمية ومع الدور العربى والاقليمى لمصر.

وأتساءل من منبر مجلتنا الغراء اليسار .. هل مصر تملك مشروعا اقتصاديا يحقق للمجتمع ذاته .. وقطار الخصخصة يترنح يمنيا ويسارا ؟ وهل هناك توازن بين الانتاج المستهدف والطاقات الانتاجية لقطاع الأعمال؟ .. ومتى تتحرك الحكومة لتنمية الموارد البشرية المصرية . بعيدا عما يدار فى كواليس التعليم بالجامعات الخاصة؟ .. وهل الانتاج المصرى حاليا يمتلك الجودة والذوق والمتانة واتفاقية (الجات) قادمة أم أننا نتحرك بالإعلان التجارى .. مابين الجانبين .. والعلب الفارغة لمسحوق .. إلى كعوب علب السجائر .. الخ .. انتظارا للعجلة والسيارة والدعم المادى؟ أى عصر هذا .. وأى اقتصاد يتشكل بالإعلان التجارى .. حتى تاه أطفالنا مابين الإعلام التجارى .. والأفلام والمسلسلات وهلما جرا .. ونحن حقيقة لانملك صناعات خفيفة أو ثقيلة نطرحها فى أسواق الاخرين .. وحتى أحكام محكمة النقض .. حول بطلان عضوية أكثر من مائة عضو لمجلس الشعب تاهت ؟؟

اذن من نحن؟؟ ونحن لانستطيع التشخيص أو اصلاح الخلل فى العديد من السياسات .. وكم من نظرات وتأملات فى المشهد اليومى للانسان المصرى .. وزمن اليقظة لم يحن بعد ؟؟ تلك هى نقاط أرصدها لنعى حاضرنا ومستقبلنا

يحيى السيد النجار
دمياط



كاريكاتير القارئ
من طه محمد المنيا



الأفكار بين نبل الهدف واستحالة التحقيق

أصبح واجب الماركسيين الأساسى بعد سقوط التطبيق السوفيتى للماركسية إعادة النظر حيال الماركسية ومحاولة تجديدها لخلق نوع من أنواع الماركسية الجديدة المناسبة للعصور والمتلائمة مع المتغيرات المستمرة .. وإعادة النظر للنظرية لايتنافى مطلقاً مع الفكر الماركسي المنافى لوجود ثابت والمؤكد بأن كل شئ قابل للتجدد والتغير واسمحوا لى بتناول نقطتين يجب إعادة النظر حيالهما .

* **"مفهوم البروليتاريا"..** حينما أقر ماركس وانجلز أن المجتمع يتكون من طبقتين فقط واحدة مستغلة ومالكة لرأس المال ووسائل الانتاج وأخرى مطحونة لاتملك شيئا فإن الرؤية بذلك كانت غاية فى الوضوح ومن هنا أقروا بأن واجب المستغلين وخاصة طليعتهم الواعية من البروليتاريا القيام بالثورة وقمع أصحاب رؤوس الأموال.

أما الآن ونحن فى عصر الموجة الثالثة حيث قلت أعداد العمال وتم استبدالهم بأساليب التقنية الحديثة .. ونحن فى عصر تعقدت فيه العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بشكل محير .. أصبح من الصعب علينا حصر المجتمع فى طبقتين فقط وبالتالى تغيرت واجبات ثورية كانت منوطة بطبقة واضحة سهل السيطرة عليها .. فيبدو أصحاب رؤوس الأموال والمصريين طبقة هلامية كبيرة مكونة من البرجوازية الصغرى وأعداد هائلة من الموظفين والتكنوقراط فمفهوم البروليتاريا أصبح غير واضح كما كان .. فعلى الخطاب الماركسى الجديد أن يتوجه إلى هذه الطبقة الهلامية فضلاً عن بقايا البروليتاريا بمفهومها الكلاسيكى.

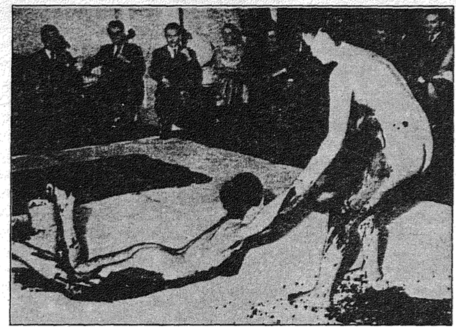
* **" مفهوم الثورة"** فالثورة كانت مرتكزا أساسيا ووسيلة وحيدة للتطبيق الماركسى والآن نجد أن معظم الأحزاب الشيوعية طرحت مفهوم الثورة جانبا واتجهت إلى الوسائل الديمقراطية المتمثلة فى الانتخابات .. وبالتالى فمفهوم الثورة وماتنتجه من ديكتاتورية بروليتاريا أصبح مستبعدا فى الفكر الماركسى الحديث.

على الماركسيين تنقية النظرية من الأفكار الطوباوية غير القابلة للتحقق فى الواقع .. مثل زوال الدولة بوصول المجتمع إلى أعلى مراحل الاشتراكية .. حيث تزول الطبقات ويصبح العمل غاية فى حد ذاته ولا يصبح هناك فرق بين عمل يدوى أو ذهنى.

فبالرغم من نبل هذه الأفكار إلا أنها مستحيلة التحقق على أرض البشر .

محمد أحمد فرحات
المنوفية

فن تشكيلى



المرحلة الزرقاء ايف كلاين

المرئى .. وغير المرئى للجسد فى الفن التشكيلى

بالأقمار الصناعية

فاطمة اسماعيل

أثارتنى فكرة المعرض الذى يقام هذا الشهر بمعهد **"الفنون البصرية الدولية"** بلندن تحت عنوان **"المرئى وغير المرئى إعادة تقديم الجسم البشرى فى الفن المعاصر والمجتمع "**.وتذكرت مقولة الفنان الألمانى **بول كلى " مهمة الفن أن يجعل غير المرئى مرئيا "**.

ثم تداعت عندى الذاكرة التاريخية منذ احتياج الفنان والشاعر والموسيقى لأن يثور على الاعتياد وأن يخلق الأوضاع وأن يعيد صياغة الأشياء أو يقتحمها أو ينفيها ، بحثاً عن لغة جديدة تتلاءم مع الآليات التى طرحتها التكنولوجيا أو التى طرحتها تلك الثنائية الممثلة فى التكنولوجيا من الاحساس بالتعاسة الانسانية.

ويعود الفضل فى محاولات هذه الثورة منذ أوائل القرن العشرين بصورة عملية على يد الفنان الفرنسى " **مارسيل دى شامب**" ، عندما سخر من قاعات عرض الفن ، ووضع " المبولة" على قاعدة خشبية وقام بتفريغها على هذا النحو من مخزونها الذى نعرفها به ، ثم تبع ذلك أولى محاولات الخروج من داخل قاعات العرض إلى خارج قاعات العرض حين بدأت **الدادا** عام ١٩١٦ بعد الحرب العالمية الأولى تعلن عن كراهيتها لكل ماهو قائم ورفضها لكل ماهو منطقى ، وبدأت تخرج إلى الهواء الطلق وسط الحياة اليومية تلون الأشياء والعناصر وهى تتحرك وأيضاً وهى تتلاشى مثل الرسم فوق قطار أو على عجلة بخارية.

منذ ذلك التاريخ تواترت المحاولات ليس فقط للتغلب على شكل الفن وإنما أيضاً لتغيير الآليات المحيطة به ، السوق ، الذوق العام ، وأيضاً على الفرضيات التى وضعها الضغط الاقتصادى مثلاً فى مقتنى اللوحات.

كان هناك بعد الحرب الأولى والثانية من ينادى بملاقاة رجل الشارع ، وهدم قاعات العرض ، والغاء المتحف، وبرغم أن الثورة التى بدأها **مارسيل دى شامب** كانت ضد البرجوازية فى الفكر والمجتمع ، إلا أن بعضها كان يعكس غلافاً رومانسياً ظل ملازماً لتلك الحركات منذ بدأت.

الذاكرة التاريخية للجسد فى الفن المعاصر

إذا كانت هناك مقولات تعلو الآن

لإعادة تقديم الجسم البشرى فى الفن المعاصر والمجتمع" فمن الأحرى أن نتتبع العلاقة الأولى بين الفن والجسد فى الفن المعاصر .. هناك علاقة قديمة منذ نشأ الفن مع الجسد .. ولكننا سنعيد اكتشاف تلك العلاقة فى الفن المعاصر ، والتى ارتبطت بالمفاهيم الجديدة التى وضعها **أولدنبرج** فى الخمسينات " للجسد" من خلال فن " **البيرفورمانس**" و"**روشنبرج وايف كلاين** ،ثم كان هناك فى نفس الوقت الفنان الأمريكى **فيليب جوسطن** الذى وضع مصطلح "**الفن القبيح**" أو " "vgly Art

أيضا **جوزيف بويز**فى الستينات من هذا القرن الذى بدأ فى وضع مفهومه الخاص بتسييس الفن أو الفن السياسى وذلك من خلال تقديم " الجسد" فى مشروع جديد للفن .. نذكر من بين ماقدمه **بويز** العرض الخاص الذى أقامه بنيويورك فى افتتاح قاعة خاصة وجديدة .. انتقل بويز من ألمانيا **مغلفاً جسده بخامة اللباد** - وهى خامة عازلة تماماً - ركب الطائرة فى ذلك الوضع ثم انتقل من المطار وحتى قاعة العرض فى سيارة اسعاف - وحين وصل إلى القاعة كان هناك قفص من الحديد فى حجم الغرفة المتوسطة معداً لاستقباله بداخل القفص حيوان " ذئب " - وهو الرمز المقدس للهنود الحمر - وعلى جانب من أرض القفص تم وضع عناصر خاصة بالفنان قفاز ، قبعة ، عصى . وأيضاً بعض من الجرائد الأمريكية التى صدرت صباح نفس اليوم.

استمر العرض أسبوعاً كان خلالها يتم تغيير الجرائد يومياً والفنان والحيوان لايبرحان القفص .

بدأت علاقة الفنان بالحيوان برفض تام من الذئب .. فى اليوم الأول كان يتجول بحذر شديد ملتصقاً بالسور الحديدى يشم الجرائد والقفاز والقبعة .. ويبعثر " التبن " الموجود فى تلك الأثناء كان الفنان يقوم بحركات بين التجول فى القفص ثم يلف جسده مرة أخرى باللباد حتى رأسه ويخفى معالمه بالكامل إلا من العصى التى يظهر جزء منها أعلى رأسه من فتحة ضيقة جداً فى الغطاء الذى يلف جسده .. ثم يقوم بعمل حركات (جسدية) بالانثناء أو التكور والتكوم أو الرقود أو الجلوس كل ذلك ببطء شديد .. يغلب على الذئب الفضول فى بادئ الأمر ثم الإثارة



جوزيف بويز
كيف تصف لوحة لارنب ميت

بمحاولة الكشف عن زميله فى القفص ثم الغضب لعدم قدرته على استحضار جسده وهيئته كما تعود عليها .. وبعد يأس يتأكد أن هناك كائن غريب فى القفص وليس صاحبه الذى شاهده بعينيه وهو يتخفى .. فيبدأ بمهاجمته وتمزيق الغطاء وحين يستعصى عليه الأمر ينسحب إلى كومة التبن مستسلماً لثورة مكتومة .. يبدأ الفناء فى خلع الغطاء وكشفه ثم يتجول فى القفص ويذهب فى اتجاه الذئب محاولاً ايجاد حوار صامت بينهما يعيد الكره بارتداء الجوانتى والقبعة ويتكرر موقف الذئب فى التغيرات السلوكية تجاه حركة الجسد عند **جوزيف بويز** بين (الظهور والاختفاء) .. تتغير علاقة الذئب بالفنان يوماً بعد يوم حتى يصبح الاثنان فى نهاية المعرض أصدقاء يتبادلان الأدوار فاذا بالذئب يلعب بالقبعة والقفاز والعصا ويتهلل بلعبه الإختفاء والظهور التى يمارسها الفنان من وقت لاخر ، ويداعب الفنان .. وتحولت ثورة الذئب من وجوده مع هذا الكائن الغريب إلى ثورة على فضول المشاهدين الذين كانوا يمثلون قدراً كبيراً من الإزعاج له ولصديقه فى القفص .

انتهى العرض بعد سبعة أيام وغلف بويز جسده مرة أخرى باللباد وانتقل فى سيارة اسعاف من القاعة وحتى الطائرة ولم يكشف غطاءه إلا بعد وصول طائرته إلى ألمانيا بينما حزن الذئب حزناً شديداً برحيل صديقه وذكرت بعض الصحف التى انتقدت التجربة بعنف أن هذا الحيوان البرئ قد امتنع عن الطعام حتى فارق الحياة.

ماذا كان يعنى **جوزيف بويز** بعرضه هذا فى التخفى والظهور الجسدى ؟ وماذا كان يعنى باحداث هذا النوع من التفاعل الجسدى الغريب بينه وبين الحيوان البرئ؟ .. وماذا قصد من اختيار الذئب وهو - الإله المقدس - للهنود الحمر ، الذين ذاقوا الهلاك على يد" الرجل الأمريكى" ..؟ .. ماهى المعايير الجمالية الجديدة - والمختلفة تماماً عن جماليات الفن التقليدية - التى وضعها بويز فى هذا العرض الجرئ ..؟

معرض " الظاهر والخفى " فى الفن المعاصر

نعود مرة أخرى للمعرض الذى يقدمه هذا الشهر " **المعهد الدولى للفنون البصرية** " بمنطقة **أوستون** .. فى هذا المعرض يعيد الفنانون اكتشاف الجسد فى الفن المعاصر والمجتمع وذلك من خلال مجموعة عروض بالقمر الصناعى تجهيز فى الفراغ **"In-stattation"** و**"Events"** وعروض حديثة مثل **"PerFormance"** و **"Hopening"**

يعد هذا المعرض الأول من نوعه بانجلترا حيث يجمع أعمال خمسة عشر من أشهر فنانى العالم فى هذا المجال ، يقدم فيه كل فنان رؤيته الخاصة حول " الجسد" كعنصر جديد يعاد طرحه فى الفن والمجتمع بصورة تتناقض مع المفهوم التقليدى عن الجسد عند الفنانين وذلك من منطلق أوسع فى ثقافة الجسد فى الطب ، فى العلوم ، فى العمارة ، فى تراث الأديان المختلفة.

يقام المعرض بعيداً عن إطار القاعات التقليدية متفاعلاً أكثر فى صميم الحياة وذلك فى منطقة مفتوحة بمدينة أوستون.

من أهم المشاركين فى العرض الفنان **لويس بورجواز - وبروس نومان وفيرجينيا نيماركوه** وغيرهم .

يستمر المعرض ثلاثة أشهر بانجلترا ثم ينتقل فى جولة بأوروبا.

مشاغبات



الذى يجب أن نتذكره

ليس احتجاج رئيس الوزراء الاسرائيلى «بنيامين نتنياهو» على قيام القوات المسلحة المصرية بمناورات «بدر ٩٦» ، هو أول احتجاج إسرائيلى حول هذا الموضوع، فقد سبق له أن أشترك فى الضجة التى أثيرت فى الولايات المتحدة، بمناسبة ما نشر عن شراء مصر لصواريخ «سكود» ،كما سبق له الاحتجاج على قيام القوات المسلحة السورية المتمركزة فى لبنان بعملية لاعادة الانتشار، على الرغم من التأكيدات الرسمية العربية، بأن هذه التحركات والمناورات هى لأهداف عملية وتدريبية محضة، ولا تعنى أن العرب عدلوا عن التزامهم بمسيرة «السلام».

ولا يكفى أن نذكر السيد «نتنياهو» بأنه تلقى وما يزال يتلقى من الولايات المتحدة الأمريكية مئات الآلاف من أطنان السلاح، وأنه عقد فى زيارته لواشنطن اتفاقا مع كلينتون، لربط إسرائيل بشبكة الدفاع الجوى عن الولايات المتحدة ذات نفسها،وأن هناك اتفاقا استراتيجيا بين البلدين يتعاونان بمقتضاه على تطوير السلاح، وأنه فضلا عن هذا كله، يرفض توقيع معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، ويرفض أى تفتيش دولى على مفاعلاته النووية، وأنه يحرك قواته المسلحة نحو الجنوب اللبنانى حين يشاء ، ويقوم بما يشاء من دون أن يحتج أحد من العرب، أو يسأله : ثلث الثلاثة كام؟.

ولا يكفى أن نقول له أنه ليس من حقه هو بالذات، أن يعترض على المناورة«بدر ٩٦» بدعوى أنها تهدد السلام، فتتخذ لها نفس الأسم الكودى الذى اتخذته حرب أكتوبر، أو لأنها كانت أكبر من المناورات السابقة، بل واشتملت على صد هجوم من «الشرق».. أما وهو صاحب نظرية الأمن أهم من السلام، فلا محل للاعتراض، بل هناك محل للشكر، لأن الأقطار العربية ومن بينها مصر، اعتنقت نظريته، وتنبهت إلى أن لها أمنا قوميا، ينبغى أن تستعد لحمايته ، وأن السلام لا يعنى أن تترك حدودها من دون حماية..

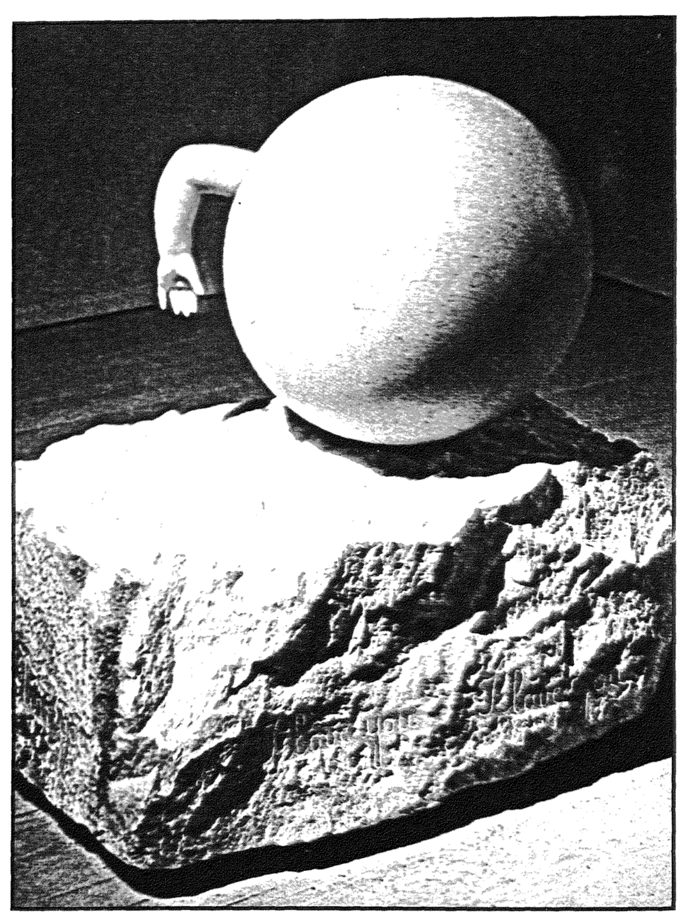
وليس من حق عظمته- فضلا عن هذا- أن يتحدث عن تهديد مسيرة السلام، وهو الذى وضع العصا فى عجلتها، باعلانه أن الجولان والقدس والدولة الفلسطينية ليست موضوعاً للتفاوض، وبمصافحته لياسر عرفات وهو يسد أنفه، وبتصريحاته الاستفزازية بأنه لا يتعجل إتمام عملية السلام، إذ لا معنى لاخراج كل هذه الأمور من دائرة التفاوض، إلا أن السلام ذات نفسه قد خرج من دائرة التفاوض!.

ذلك كله لا يكفى ، لأن «نتنياهو» يعرفه، أما الذى ينبغى أن نعرفه، أو نتذكره نحن العرب، فهو أن «نتنياهو» لا يقول هذا الكلام من فراغ، ولكنه يتعامل مع مفهوم للسلام، يسود منذ عام ١٩٧٧، وهو أن من واجب العرب، أن يكفوا عن تسليح أنفسهم، إلا بالأسلحة التى تكفى لاثارة الحروب الأهلية فيما بينهم، لطمأنة الاسرائيليين بأنهم جادون فى مسألة السلام، ومعالجة عقدهم النفسية،حتى لو أدى هذا لتخفيض عدد الجيوش العربية،وتشغيل ما تبقى منها فى الخدمة المدنية، أو توظيفها فى إطار حلف الاطلنطى، لتكون جناحا- أو ذيلا- جنوبيا له، وبذلك نصبح زيتنا فى دقيقنا، نحن وأمريكا واسرائيل، ويصبح أمن إسرائيل من أمننا،وأراضينا المحتلة، بين أيديها فى الحفظ والصون .

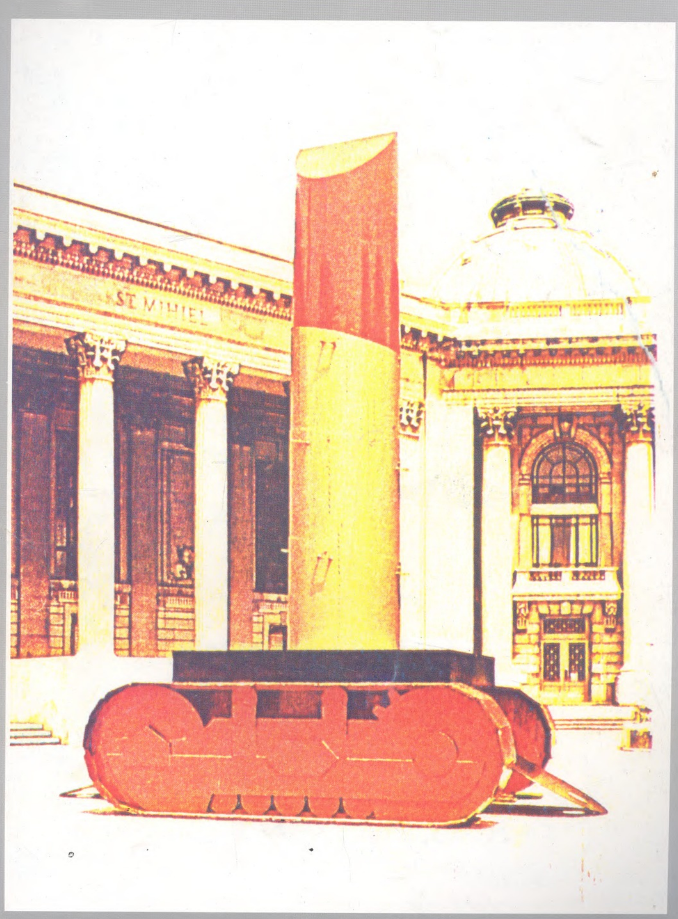
ولأن «نتنياهو» واسلافه، قد تعودوا على هذا النوع من التفكير الاستراتيجى العربى، فقد أزعجه أن العرب قد تنبهوا إلى أن الاستقلال بدون قوة تحميه كلام فارغ، وأن السلام مع رجل مثله، بدون أمن كلام بذئ!.

وربما لهذا السبب اندفع فى تصريحاته الوقحة،التى تدعونا لتذكيره بأن الوجه الآخر لشعار« الأمن فضلوه على السلام» «الأدب فضلوه على العلم»!.

صلاح عيسى



لويس برجواز (بدون عنوان) ١٩٨٩



أولدنبـرج - ١٩٦٩